تصميم وتنفيذ

البحوث الاجتماعية

تأليف

دكتور
غريب محمد سيد أحمد

دكتور
علي عبد الرازق جلبي

دار المعرفة الجامعية

تصميم وتنفيذ

البحوث الاجتماعية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

يهدف العلم الاجتماعى الى تكوين نسق من القضايا المبرهنة أو القوانين العلمية التى تمكنه من فهم أنشطة الانسان والتنبؤ بها والتحكم فيها . ولكى تصبح هذه القضايا والقـوانين على درجة عالية من الصحة والصـواب ، ينبغى أن تخضع للاختبار الامبريقى الذى يعتمد على أساليب وأدوات بحث عالية الدقة والثبات . والاختبار الامبيريقى هـذا لا يتضمن مجرد تجميع الحقائق التى تعمل على بناء القضايا وتكوينها ، ولكنه يشتمل أيضا على الملاحظة المقننة للمادة العلمية المرتبطة بالظاهرة موضع الدراسة . وبالرغم من ندرة الاختبار النموذجى ، وبالرغم من عدم التوصل الى نموذج مثالى له ، فمن الضرورى لنا أن نقتنع بوظيفة البحث التى لا تنحصر فى تجميع الملاحظة التى تثبت فروضنا أو تبرهن على صدق قضايانا ، ولكن علينا أن نهتم كذلك بالملاحظات التى تنفى هذه الفروض والقضايا .

وللبحث الأجتماعى اهميته سواء فى اثراء التراث النظرى أو فى حل بعض المشكلات التى تتفـاقم فى عالم اليـوم . ومن حيث التراث النظرى تسهم الدراسات الميدانية فى اضافة الكثير من النتائج والتوصيات وتحدد الاطر والنماذج التى يمكن أن تساعد على فهم ووضع أطر نظرية فى مجالات متنوعة وميادين متعددة . ومن حيث الحلول العلمية فالبحث الاجتماعى بدخوله فى مجالات الخدمة الاجتماعية والعمل الاجتماعى يستطيع أن يقدم كثيرا من الحلول لمشكلات الحياة اليومية ومشكلات التخطيط والتنمية .

وهنا نشير الى خطأ يقع فيه معظم الباحثين ، بل وتقع فيه هيئـات

علمية على مستويات لا بأس بهـا من القدرات والامكانيات ، ذلك الخطأ الذى ينصب على مايفهم من البحث • ولهذا الخطأ وجهان : أولهما أن ينظر الباحث أو هيئة البحث الى الدراسة كما لو كانت دراسة تطبيقية دون تحديد أو تخطيط سابق • فمنذ البداية يسعى الباحث الى تحـديد أدوات جمع البيانات مسبقا قبل أن يخوض فى المشكلات النظرية أو المنهجية المتعلقة بالبحث ، وكأنه فى هذه الحـالة يرمى الى تكديس مجمـوعات هائلة من البيانات لايعى كيف جمعت وكيف يمكن الاستفـادة منهـا ، اللهم أن ثمة استمارة للبحث أو دليل للمقابلة أو مجرد المعايشة الجماعية ، ويقول أن الهدف كامن فى مقصده ومرماه • أما الوجه الثانى من المشـكلة فهو ذلك المتعلق بجمع البيانات بناء على خطة موضوعة أو مشروع موضوع ، وكأن غاية البحث جمع هـذه البيانات فقط دون ما تحـديد لكيفية تحليلها أو معالجتها رغم أنها قد بوبت • ومعنى هذا أن هناك مرحلة سابقة لتنفيذ البحث تحدث فيها أخطاء ، ومرحلة أخرى لاحقة لتنفيذ البحث تحـدث فيها أخطاء كذلك • بل لقد وصل الامر ببعض الباحثين الى أن يروا أن أى مشكلة يمكن الاجابة عليها عن طريق استمارة بحث أو دليل مقابلة فيحددون الاسئلة مسبقا ويهمون بطبع الاستمارة دون تحديد لقيمة البيانات التى يمكن أن يفاد منها من جانب ، ودون تحديد أيضا للبيانات التى يمكن أن تكون تجميع حاصل ، بمعنى أنها بيانات لا تستحق أن يكلف البـاحث عناء فى جمعها ، لانها لا تفيد هدف البحث أو تحديد مشكلته عن قرب أو عن بعد • ويرجع كل من هذه الاخطاء الى سوء المعالجة المنهجية للبحث والى عدم الالتزام بالمراحل الاساسية والخطوات الاجرائية لتنفيذ بحث فى موضوع خاص • ورغم هذا فقد يكون الباحث على بينه من أمر هذه الخطوات وتلك الاجراءات • فالبيانات بوجه عام تكتسب قدرتها وقيمتها بقدر ماتلقى من الضوء على المشكلة وبقدر ما تساعد على ايجاد حل لها •

ان عملية تنمية فروض البحث وامكانية اختبارها سواء فى نفس البحث أو تمهيدا لبحوث مقبلة ، ينبغى أيضا أن تسير ملازمة لعملية جمع البيانات ومعنى هذا أنه فى مرحلة الاختبار المبدئى لادوات جمع البيانات ــ وليكن

معروفا أن الاختبار المبدئى لا يعنى اختبار استمارة البحث فقط ، ولكنه قد يعنى كذلك اختبار مدى ملائمة أدوات جمع البيانات سواء كانت استمارة بحث أو مقابلة أو ملاحظة أو بالبريد أو بالمناقشة الجماعية ، كل هذه الادوات والتكنيكات لابد من اختبارها مبدئيا ـ هناك من يزعم أنه على صلة وثيقة بموضوع البحث الا أنه مخطىء لان أى موضوع فى علم الاجتماع بوجه خاص وعلوم السلوك البشرى بوجه عام لا تتحكم فيها خبرة سنوات قلائل ، لان مشكلة البحث فى تغير ، ولان الباحث نفسه فى تغير آخر باعتباره جزء من المجتمع وباعتباره مطلع من جانب آخر ، لابد وأن ينمى الباحث من فروضه تأكيدا أو رفضا أو تعديلا أو تغييرا أو وضعا بصورة جديدة ، أو وضع فروض جديدة بصفة خالصة . فالباحث فى دراسته الكشفية أو الاستطلاعية لا يحاول أن يضع فروضا ليتأكد من صحتها أو كذبها،ولكنه يحاول أن يضع استفسارا أو أن يضع سؤالا يجيب علية . ونحن نعلم أن غاية البحث الاستطلاعى ترمى الى الخروج بفروض تظهر واحدا تلو الآخر أثناء تلك المرحلة من البحث .

أما البحث الوصفى أو البحوث التى تختبر الفروض السببية فانها تبدأ بفروض ، ومع ذلك تنتهى بنتائج ذات قيمة ودلالة ، وربما تنتهى بفروض كذلك تمهد لبحوث أخريات . ونقول ان استخلاص تلك الفروض أو وضعها يتم كذلك خلال مرحلة تنفيذ البحث .

والكتاب الراهن خلاصة تجربة نظرية وبحوث ميدانية ومكتبية قام بها الباحثان ـ المؤلف ـ منذ ستينات هذا القرن .وهو فى ذات الوقت نتاج تدريس مقرر مناهج البحث وتصميم البحوث وتنفيذها منذ أكثر من عشرين عاما . بالاضافة الى محاولة الكاتبان الكتابة فى هذا الموضوع منذ أن صدرت الطبعة الاولى فى عام ١٩٧٤ بالاشتراك مع أ.د. عبد الباسط محمد عبد المعطى استاذ علم الاجتماع بكلية البنات ـ جامعة عين شمس ، وتوالت الطبعات فى البحث الاجتماعى لثلاثتنا مجتمعين أو منفردين أو ثنائيات . وهنا تبدو الثنائية فى التاليف حيث جمعنا مقتطفات متناسقة متناغمة من مؤلفى أ.د. غريب سيد أحمد و أ.د. على عبد الرازق جلبى لتعطى

سمفونية البحوث الاجتماعية بين التصميم والتنفيذ في اربعة عشر فصلا مقسمة على ثلاثة أبواب . يهتم الاول باجراءات البحث وخطواته واختيار مشكلة البحث ووضع خطته . ويخصص الباب الثانى لعملية تصميم البحوث الاجتماعية مؤكدين على نوعية كل بحث وتخصصة وتفرده كالبحث الاستطلاعى والوصفى والتقييمى والتاريخى والتجريبى . ويعرض الباب الثالث لعملية تنفيذ البحوث الاجتماعية ، موضحا نوعية البيانات الميدانية والمكتبية والاحصاءات التى تخدم البحوث الاجتماعية ، وكيفية تفريغ البيانات وعرضها وتحليلها وتفسيرها . لينتهى الكتاب بتوضيح كيفية اخراج البحث فى تقرير .

وقد حرصنا أن ننسب كل فصل الى صاحبه فى بدايته ايمانا بالجهد المشترك والعمل العلمى المتواصل . والله نسأل الهداية والصواب والنفع لطالب العلم .

سيدى جابر ـ الاسكندرية
سبتمبر ١٩٩٥ .

المؤلفان

محتويات الكتاب

الباب الأول

مشكلة البحث وخطواته

الباب الثانى

تصميم البحث الاجتماعى

الباب الأول

مشكلة البحث وخطـواته

الفصل الاول : أهمية البحث الاجتماعى وتطوره .

الفصل الثانى : اجراءات البحث الاجتماعى .

الفصل الثالث : مشكلة البحث الاجتماعى وتحديدها .

الفصل الرابـع : خطة البحث الاجتماعى .

الفصل الأول

أهمية البحث الاجتماعى وتطوره

اولا ــ أهمية البحث الاجتماعى :

١ ــ البحث الاجتماعى ومشاكل الحياة اليومية ٠

٢ ــ قواعد الالتزام بالدراسة العلمية ٠

٣ ــ البحث الاجتماعى وتقدم العلم ٠

٤ ــ البحث الاجتماعى والتخطيط ٠

٥ ــ البحث الاجتماعى والتنمية ٠

ثانيا ــ تطور الاهتمام بالبحث الاجتماعى :

١ ــ الاراء الفلسفية ٠

٢ ــ العصور الوسطى فى أوربا ٠

٣ ــ اتجاهات البحث فى العالم العربى ٠

٤ ــ الثورة الفرنسية والبحث الاجتماعى ٠

٥ ــ مولد علم الاجتماع ٠

أهمية البحث الاجتماعى وتطوره(*)

اولا ـ اهمية البحث الاجتماعى :

لا يختلف البحث الاجتماعى فى خطـواته اختلافا كبيرا عن طرق حل المشكلات اليومية التى تصادفنا باستمرار ، والتى تعترض كل منا فى حياته الخاصة والعامة . فكل من خطوات البحث الاجتماعى والخطوات التى تتبع فى حل مشكلات الحياة . تحتـاج الى اجراءات منطقية تتـدرج من حيث التفكير والقياس وكلما انحرفت طريقة الحل عن الاساليب المنطقية السليمة أو الصحيحة ، بعدت النتائج عن الصواب .

ومن الطبيعى ألا يوجـد بحث بدون مشكلة ، فالشـعور بالمشكلة أو بوجودها أو الحاحها وسيطرتها ، هـو الحافز الطبيعى الذى يحفز العقل البشرى على البحث والاستقصاء ، ومـا الاختراعات والاكتشافات الا نتائج لحاجات ماسة شعر بها الانسان منذ القدم . فخوف الانسان على حياته جعله يفكر فى مأوى يلجأ اليه . وحاجته الى الدفء جعلته يبحث فى توليد النار .

ان الطرق العلمية للبحث ، هى طرق منتظمة لاختبار الحقائق والحكم عليها والتوصل الى نتائج قد تكون هى نفسها محل بحث واختبارات علمية أخرى . للتاكد من صحتها ومدى تعميمها للوصول الى نظريات وقوانين جديدة . فالباحث بما لديه من الاسـاليب العلمية التى تمكنه من اخضاع الظواهر الطبيعية والاجتماعية لسـلطانه . يستطيع تغيـير ما اكتسبه من المجتمع من مفاهيم وتصورات . كما يستطيع ـ كذلك ـ التحكم فى مشاعره

(*) اعد هذا الفصل أ.د. غريب سيد أحمد .

واتجاهاته عند دراسة هذه الظواهر وفى ضوء مايصل اليه من حقائق علمية . وعلى هذا تتمثل المرحلة الاولى للبحث الاجتماعى فى صياغة مشكلة البحث بوضوح . أى وضع مشكلة البحث فى صورة يتمكن العقل البشرى من فهمها، وربط المتغيرات التى تتكون منها بعضها بالبعض الاخر مما يسهل عملية تحليلها وتفسير دلالاتها .

وهكذا تتمثل المرحلة الثانية للبحث الاجتماعى ، فى تصميم اجراء مقنن لملاحظة المادة العلمية وتجميعها وتصنيفها وتحليلها ، بحيث ينبغى تحديد فئة الشواهد Events التى تدرس بطريقة صالحة سليمة ودقيقة ،كما ينبغى تحديد كل الظروف التى يمكن أن تؤثر بوضوح على هذه الشواهد . وينبغى أخيرا ملاحظة وقياس العلاقة بين الظروف والشواهد موضع البحث بطريق أكثر صوابا . وفى الواقع ، فان هذه النقاط الثلاث تمثل هدف البحث الذى يسعى الى تحديد الظروف التى من خلالها تتضح شاهدة معينة بحيث يمكن التنبؤ بهذه الشاهدة – فى المستقبل – اذا توافرت لها نفس الظروف . وقد تتعدد هذه الظروف أحيانا مما يجعل التحكم فى الشاهدة أمرا ممكنا . وعندما يمكن التنبؤ بشاهدة ، أو بظاهرة ما ، والتحكم فيها ، فسوف يصل البحث العلمى الى غايته بنجاح .

ويرجع الفضل الى اميل دور كايم فى تحديد أسس الدراسة التى يجب أن يلتزم بها الباحث . وقد أوضح دور كايم هذه الاسس فى كتابه «قواعد المنهج فى علم الاجتماع» ويمكن تلخيص هذه الاسس أو المبادىء كما يلى :

١ – يجب دراسة الظواهر الاجتماعية بوصفها أشياء . بمعنى أنها تدرس بالطرق التى تدرس بها الظواهر الطبيعية .ومن هذه القضية نستطيع أن نوضح أسلوب أو طريقة معالجة الظواهر وخصائصها . وانطلاقا من هذه القضية أيضا نستطيع أن نفسر اختلاف المداخل أو المناهج التى ينتجها كل باحث أو كل مدرسة فى علم الاجتماع . وهذا يوضح بالتالى أساس التفسير واطاره ، بمعنى أن بداية البحث تحدد نهايته ، أو أن التفكير فى علاج أو تناول ظاهرة ما يحدد آخر مراحل البحث ونعنى التحليل والتفسير / فاذا اعتمد الباحث على مجرد الملاحظة فانه يتخذ أسلوبا وصفيا فى العادة وقد

ينتمى الى مدرسة يطلق عليها المدرسة الصورية أو الشكلية Formal حيث يعالج الظاهرة من الخارج على أساس اطارها العام . هذا ان أخذنا تشبيه الظاهرة الاجتماعية بالطبيعية من هذا المنظور . أما اذا فهمنا أن التشبيه يقوم على تحليلها من الداخل فاننا نتمى الى مدرسة أخرى تحليلية نطلق عليها مدرسة التفاعل Interaction بمعنى التفاعل الذى يحدث داخل اطارها . واذا نظرنا فى علاقة الظاهرة بظواهر أخرى فاننا ننتمى الى مدرسة العلاقات . واذا تفهمنا الظاهرة الطبيعية من خلال معاملاتها الاحصائية وتشبهنا بذلك عند دراسة الظاهرة الاجتماعية فاننا ندخل فى علم الاجتماع الرياضى .

٢ - يجب عدم التسليم بصدق قضية ما ، مالم تدرس بوضوح تام.بمعنى مالم يدرك الباحث أنها صادقة . أى يجب أن نشك فى كل حكم يصل الينا أيا كان مصدره . وهذه النقطة تذكرنا بما ذهب اليه ديكارت حينما قال «انما على الباحث أن يبدأ قضاياه كما لو كانت رأسه صفحة بيضاء» حيث يبدأ بحثه دون أن يضع قضية معينة يحاول اثبات تصديقها بالذات أو يحاول تكذيبها . عليه أن يبدأ بحثه بقضية يطلق عليها اسم «الفرض العلمى» الذى يتأكد صدقه أو كذبه وفقا للواقع المدروس فيه . وعلى هذا يتضح أن الاساس الثانى من أسس الدراسة التى يجب على الباحث أن يلتزم بها له أصول فلسفية بل وان شئنا له أصول منطقية . لان المنطق يؤكد أن الواقع هو الذى يفرض الحقيقة وليس العكس . أى أن القضايا المتخيلة أو المتوقعة هى التى تشكل الواقع وفق وجهة نظرنا .

٣ - ويتأتى من المبدأ السابق أنه يجب على الباحث أن يتحرر من كل فكرة سابقة يعلمها عن الظاهرة الاجتماعية موضع الدراسة حتى لا يكون أسيرا لافكاره الشخصية أو متحيزا لمدرسة فكرية معينة ، كما يجب الا يتأثر الباحث بمشاعره وتجاربه الخاصة . وهنا تطبق قضية هامة تثار عند تحليل البيانات بصفة خاصة . تلك التى تفترض أن العلم تراكم معرفى أو أنه انبثاق من الواقع الاجتماعى أو أنه تجربة شخصية للباحث ؟ تلك أسئلة ثلاثة يحاول الباحث العلمى ايجاد اجابات لها . فتذهب مدرسة فكرية الى أن

العلم أو البحث يبدأ من حيث انتهى بحث آخر على أن تتراكم القضايا والنتائج لتكون نسيجا نظريا دون النظر الى متطلبات الواقع أو المحدادت الايديولوجية • بينما تذهب مدرسة آخرى الى أن الواقع بظروفه وتاريخه وايديولوجيته يحدد الباحث فى اطار مرجعى ليتعين عليه أن يؤكده لا أن يمحوه • وتتضح هذه النزعة فيما كتب عن اليوتوبيات أو المثاليات أو المدن الفاضلة التى تصورها مؤلفون مثل الفارابى فى الفكر الاسلامى وأوغسطين وكمبانيلا صاحب «مدينة الشمس» فى العصر المسيحى وتوماس مور صاحب «اليوتوبيا» وماكيافيلى صاحب «الامير» فى العصور الوسطى • تلك تخيلات وضعها أصحابها طموحا فى واقع آخر وهروبا من واقع موجود • أما الاتجاه الثالث فيتضح بصفة خاصة فى عصر النهضة وما وراءه من حقبات وان كانت ثمة أفكار يركز عليها هذه الاتجاه أمتدت جذورها الى عصور سابقة • فيبدأ الكتاب الذين يطلق عليهم «المصلحون الاجتماعيون» فى وصف الحياة الاجتماعية بحسناتها ومساوئها • ومن الانصاف أن تقول انهم حاولوا اظهار المساوىء أكثر من اظهارهم لحسنات للنظم الاجتماعية أو حتى السياسية السائدة فى عصورهم • ومن الاتجاهات الثلاثة السابقة ومن تفحصها بدقة تتاكد قضيتان : هل الفكر تعبير عن الوجود الاجتماعى ؟ أم أنه تعبير عن المعاناة الشخصية ؟ ان هذه القاعدة (الثالثة) تؤكد عدم التحيز أو المسايرة لاى شق من شقى السؤال السابق •

٤ – يجب أن يضع الباحث فى ذهنه فكرتى التحليل والتركيب • بمعنى أن يقسم كل نقطة من نقاط البحث الى عدد من الاقسام ثم يخطو فى البحث خطوات بحيث تكون كل نقطة من نقاط البحث بمثابة المقدمة للنقطة التى تليها • وفى نفس الوقت على الباحث أن يبتدىء بالقضايا البسيطة صاعدا الى القضايا المركبة الاكثر تعقيدا • وهذه القضية توضح أن البحث لايبدأ بقاعدة عامة لكنه يبدأ بحقائق جزئية متفرعة تتراكم لتكون المركب الذى نطلق عليه اسم قاعدة أو قانون • حيث أن هذه الخطوه أشبه ماتكون بعملية التوليد السقراطى أو بعملية الجدل الصاعد والنازل لدى افلاطون • فالقضايا الكبرى يجب أن تحلل الى قضاياها الفرعية من جانب • ومن الجانب المقابل أو المناقض يجب أن تتراكم هذه القضايا لتكون القضايا الكبرى •

٥ ـ وعلى ذلك يجب أن تكون الغاية من البحث واضحة جلية ، لان الغرض من البحث اذا كان غامضا وغير محدد تخبط الباحث وأضاع وقته ومجهوده سدى • ثم ان دراية الباحث بالمسائل المتصلة بموضوعه وأهدافه، تعينه على تحديد مايتطلبه الحل وتلقى أضواء على النواحى المجهولة •

٦ ـ يجب أن تكون أجزاء البحث مماسكة بحيث يفسر بعضها البعض الاخر من غير تناقض • وهذه القضية ترتبط الى حد ما من حيث منطقيتها بالقضية الرابعة • فاذا كانت القضية الرابعة توضح تقسيم البحث الى نقاط بناء على فكرتى التحليل والتركيب ، فان القضية السادسة تؤكد على تماسك الموضوع ، بمعنى تسلسل البحث بعد الانتهاء منه ، واذا كانت القضية الرابعة تتعلق بتنفيذ البحث فان هذه القضية ترتبط بتقرير البحث •

٧ ـ يجب الا يشتمل البحث على تعريفات لاتمت بصلة وثيقة الى موضوعه أى يجب الا يدخل فى البحث ماليس فيه أو يخرج منه ماهو جوهرى له • وهذه النقطة تتعلق أيضا بموضوع تحديد مشكلة البحث وابعادها ، كما ترتبط بتحديد المفهومات المفسرة التى تحدد الاطار المرجعى للتفسير والتحليل • بمعنى أنها ترتبط أيضا بتحليل البيانات وتفسيرها بالاضافة الى ارتباطها بتحديد المشكلة •

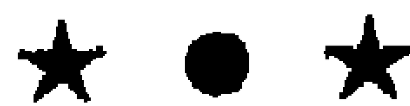
٨ ـ يجب على الباحث أن يكون على علم بالقوانين والنظريات العلمية التى توصلت اليها العلوم الاجتماعية الاخرى • ذلك لاننا عند دراسة أية ظاهرة اجتماعية ، سواء أكانت سوية أو معتلة ، فاننا نتبين من الدراسة ومن تحليل النتائج تنوع الاسباب أو العوامل المؤدية الى ظهور هذه الظاهرة بالذات فى هذا الوقت وفى ذاك المجتمع بالذات • ونظراً لتعدد العوامل وتنوع الاسباب • تتعدد نظريات التفسير • وليست العوامل أو الاسباب وقفا على علم دون غيره ، فعوامل ارتكاب الجريمة مثلا متشعبة متعددة : بيولوجية جسيمة ونفسية عقلية واجتماعية • ومعنى هذه أنه يمكن أن تدرس ظاهرة الجريمة من خلال ثلاثة علوم علمة كعلم الاجتماع وعلم الاحياء وعلم النفس بما يتضمنه كل علم من علوم متخصصة • ففى مجال

علم النفس مثلا يمكن أن يدلى الطب العقلى بدلوه فى دراسة هذا الموضوع ، كما يمكن لعلم نفس الشواذ أن يفعل ذلك أو علم النفس الكلينيكى وما الى ذلــــك ٠

واذا اقتصر الباحث على نظريات علم معــين دون آخر وضع نفسه فى حتمية العامل أو السبب ٠ أى أنه يفسر السلوك بفعل عامــل عقيم ٠ ومن الخطأ أن يفسر السلوك البشرى بهذه الطريقة ، فبحثه عن العوامل يؤدى به الى الالمام بمختلف النظريات والقــوانين والقواعد ، أو بكلمة شــاملة بالاتجاهات النظرية والمذهبية فى تفسير موضوع بحثه أيا كان انتماء هذه الاتجاهات الى علم معين ٠

٩ ـــ يجب أن يضع الباحث موضع اعتباره الا يقتصر على منهج واحد فى دراسته للظواهر ٠ فالقضية السابقة تؤكد على الاتجــاه النظرى وعدم اتخاذ موقف محدد بل موقف يتسم بالحيادية والموضوعية العلمية ٠ أمــا القضية الراهنة فتؤكد على مبدأ المرونة المنهجية لان فى دراسة أية ظاهرة اجتماعية عن طريق مناهج متعددة ، قد يتخذ الباحث واحدا منها ، وقد تصلح هذه الطريقة فى موضوعات ذات طبيعة خاصة أو هدف خاص٠فعملية حصر السكان رقميا لاتحتاج الا الى المنهج الاحصائى ٠ ولكن ان كــانت النتائج ستعرض فى صورة الجداول مع التحليل الكيفى ، فانه يحتــاج الى جانب هذا الى منهج آخر مثل المنهج الوصفى أو التاريخى ٠ وهكذا تتعدد المناهج عند معالجة موضوع معين ٠ ووفقا لمبدأ المرونة المنهجية على الباحث إلا ينحصر فى منهج محدود ٠

١٠ ـــ ومجاراة للمبدأ السابق يجب أن يحــدد الباحث أفضل الطرق والوسائل التى ينبغى الالتجاء اليهــا فى دراسته العلمية ، وكذلك مصادر البيانات اللازمة لتحديد أهــداف البحث ٠ غير أن الالتزام بمبــدأ المرونة المنهجية السابق الاشارة اليه ينبغى أن يتحقق أيضا عندما يحــاول تحديد وسائل جمع البيانات ، تلك الوسائل التى تختلف باختلاف موضوع البحث ومنهجه ومصادر البيانات ذاتها ٠



اذا كان العرض السابق يؤكد أهمية البحث الاجتماعى بالنسبة لتقدم العلم وتطوره ، فإن مناهج البحث ذات أهمية عملية كذلك ، ذ أنها تفيد فى اجراءات التخطيط القومى والمحلى الذى تنجم عنه عمليات التنمية الاجتماعية والاقتصادية ورفاهية المجتمع وتقدمه . والتخطيط يعتمد على تقديرات ومؤشرات مختلفة للموارد الطبيعية والبشرية والدخل القومى والانتاج بالقطاعات المختلفة، وكذلك فى مجال الخدمات والرعاية الاجتماعية.

وتتوقف دقة التقديرات على أسلوب البحث المتبع فى الحصول على البيانات الاحصائية اللازمة لخطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية . كما أن متابعة الخطة وتقويمها تحتاج الى اتباع أسلوب البحث الاحصائى فى تحليل نتائج الخطة ، وتحقيق الفروض والاهداف المتفق عليها والوقوف على مدى نجاحها وعلى ما اعترض سبيلها من عقبات فنية وادارية .

لذلك يقتضى الامر وضع برنامج ومنهج للبحث الاحصائى لخدمة ادارات التخطيط حتى يلم القائمون بالتخطيط بمنهج وأسلوب البحث العلمى . ويجب أن ترتبط مصادر البحث بالجهاز الذى يقوم بالتخطيط ، ورسم برامج التنمية الاجتماعية والاقتصادية على المستوى القومى . كما يوجه الجهاز ادرات البحث العلمى فى ادارات الحكومة والمؤسسات والهيئات العلمية ومراكز البحوث وجهة مثمرة تساعد فى عمليات التخطيط .

وتشترك معاهد ومراكز البحث العلمى فى التخطيط الطويل الامد لبرامج التنمية الاجتماعية والاقتصادية على النحو التالى :

١ ــ تقديم الاقتراحات الى الهيئات الحكومية المختصة بتجهيز الخطة القومية فيما يختص بوسائل التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى المجالات المختلفة نتيجة للابحاث والدراسات التى قامت بها هذه الهيئات .

٢ ــ الاشتراك المباشر فى عمل الهيئات التخطيطية الحكومية عن طريق مندوبين عنها من بين الاخصائيين فى البحوث العلمية .

٣ ــ النهوض بجمع البيانات الاحصائية ذات الاهمية فى مشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

٤ ـ تطوير البحوث الاساسية ومناهج البحث بقصد تحسين النظريات والاساليب الفنية المستخدمة فى البحث العلمى ومراحل التطور التكنولوجى .

٥ ـ القيام بالدراسات التى تهدف الى القاء الضوء على المشاكل الاجتماعية والصعوبات الفنية التى تعترض العاملين فى قطاعات الاقتصاد القومى المختلفه واختبار جودة الانتاج .

٦ ـ الوقوف على الاحتياجات الاجتماعية والضرورات الاقتصادية لافراد المجتمع وكذلك أنماط الاستهلاك ومرونة السلع الاستهلاكية ومدى المساهمة فى خطة الاستثمار عن طريق الادخار ودراسة التجارة الخارجية وميزان المدفوعات وعمل المقارنة بالدول الاخرى .

٧ ـ دراسة العرض والطلب للموارد البشرية ودراسة الاستثمار فى مجال التعليم وتنمية القوى العاملة واعدادها للاسهام فى الانتاج والتنمية الاقتصادية والاجتماعية على النحو الذى يتفق مع اطار الخطة .

٨ ـ التنسيق بين الابحاث التى تقوم بها الهيئات المختلفة فى الميادين الاقتصادية والاجتماعية لخدمة الخطة القومية .

ثانيا ـ تطور الاهتمام بالبحث الاجتماعى :

تعتبر الاراء الفلسفية لسقراط نقطة تحول فى التفكير البشرى . لان تلاميذه حاولوا دراسة ظواهر الانسان والمجتمع مبتعدين ـ بعض الشىء ـ عن دراسة مسائل الطبيعة . فقد عنى أفلاطون وأرسطو بدراسة المجتمع والنظم الاجتماعية والسياسية من منظور فلسفى . ومثال ذلك أن أفلاطون قد حاول ايجاد تحليل يفسر به للدولة والفرد معا . فرأى أن للدولة مبادىء أربعة هى الحكمة والشجاعة والعفة والعدالة ، وفى كل منا «نفس المبادىء الاصلية التى فى الدولة»(١) . ويتساءل أفلاطون . هل تتم كل الاعمال بقوة واحدة سائدة فينا ؟ أو أن هناك قوى ثلاث تعمل كل منها على حدة

---

(١) أفلاطون ، الجمهورية ، ترجمة حنا خباز ، مطبعة المقتطف والمقطم ١٩١٩ ، ص ١١٠ .

فى أعمالنا المختلفة ؟ فنتعلم باحداها ونغضب بأخرى وبثالثة تتفوق نفوسنا الى لذائد الطعام والشراب والتوليد ؟ أو أننا نعمل كلا من هذه الافعـال بمجموع قوى النفس كتلة واحدة ؟(١) . وينتهى أفلاطون من هذه التساؤلات - وغيرها - الى أن للنفس قوى ثلاث هى القوى العاقلة والقـوى الغضبية والقوى الشهوية ، مثلما تتلخص وظائف الدولة فى الحكم والحماية وسـد الحاجات . واذا ماسايرنا مبدأ تقسيم العمل والتخصص فـانه ينبغى أن تقابل تلك الوظائف الثلاث ، ثلاث طبقات من سـكان الدولة ، تقوم كل طبقة بوظيفة محددة . وكما أن للنفس ثلاث قـوى ، كذلك فى الدولة ثلاث طبقات تتميز كل منها بسيطرة احدى هذه القوى الثلاث ، وهذه الطبقات هى طبقة الحكام وطبقة الجند أو المحاربين وطبقة العمال .

كذلك ، نظر أرسطو الى الدولة على أنها مكونة - بطبعها - من أناس مختلفين بنوعهم، لانها لاتتكون من أشباه ونظراء(٢). وهو يشبه عناصر الدولة بأعضاء الحيـوان ، اذ أن أول عنـاصر الدولة المزارعون ، يليهم العمال والتجار ثم الاجراء والمحاربين(٣) . ويضع أرسطو عدة طبقات أخرى يتخيل وجودها فى دولته المثالية ، مثلما ذهب أفلاطون فى هذا الصدد .

وعليه ، فأن آراء كل من الفيلسوفين كانت تعبر عن رغبة فى اصلاح الدولة وتقويمها . ان آراءهما لم تكن سوى رغبة أو أمنية، ومعنى هذا انهما بمثابة مصلحين يرغبـان فى نقد النظام الاجتمـاعى والسياسى السـائد فى عصرهما بصورة يوتوبية ، متخيلين مجتمعا مثاليا يسوده الرخاء . والذى يهمنا من أرائهما ، أنهما كان يتبعان أسلوبا منطقيا فى التفكير يحاولان به اعادة تصوير المجتمع بناء على ملاحظتهما للواقع الذى عايشه كل منهما .

---

(١) المرجع السابق ، نفس الصفحة ، أوغسطينوس بربارة البوليسى، بيروت .

(٢) أرسطو ، السياسات ، ترجمة الادب ، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الانسانية ، ١٩٥٧ ، ص٤٩ .

(٣) المرجع السابق ، ص ١٩٠ .

وفى العصور الوسطى كان الطابع الدينى الفلسفى هو الطابع الغالب على التفكير سواء فى أوربا أو فى العالم الاسلامى ٠

ففى أوربا كان القـديس أوغسطين ، أقـوى من عرفت الكنيسـة من المدافعين عن العقائد التى أدت الى الاضطهاد ٠ فهو يرى أن العالم أثر الله تتالق فيه الصفات الالهية ، كالوحدة والحقيقة والخير والجمـال ، ناقصة متفاوته بسبب نقص وتفاوت موجوداته(١) ٠ ولقد ضمن آراءه كتابه «مدينة الله» يدافع بها عن المسيحية ،ويبين أن تاريخ البشرية وليد الصراع والتنافس الناجمين عن مجتمعين أو مدينتين ترجع اليهما سائر المجتمعات البشرية : المدينة الارضية والمدينة السماوية أو مدينة الله ٠

وفى أواخر العصر المدرسى ، نهضت الكنيسة لمقاومة التيارات العقلية ، وبدأت حركة الاحياء العلمى فى وقت ساده الانحـلال الخلقى ٠ فاتجهت الحركة الكنسية الى ارجـاع الدين الى الكتب المقـدسة ، ورفض التسليم باحتكار الكنيسة لتفسير نصوصها من جانب ، وحقها المزعوم بصدد غفران الذنوب من جانب آخر ٠ ومن أعلام هذه الحركة مارتن لوثر الـذى أعلن بطلان الصكوك ، وامتدت ثورته الى البابوية نفسـها ، فأعلى أنها بدعة خلا منها عهد الرسل الاولين ٠ وارتأى سيطرة الدولة على مرافق الحياة ، وتبع ذلك ثورات ،واضطرابات اجتماعية وسياسية لحقتها اتجاهات التسامح الدينى فى انجلترا ، وفرنسا بوجه خاص ٠

وهكذا كانت مسارات التفكير فى أوربا بين تأييد التعسف الكنسى وبين المناداة بالحرية والاصلاح ٠ كانت هذه المسارات تؤكد قضية هامة شغلت ـ وما زالت ـ الاذهان حول انبثاق الفكر عن الوجود الاجتماعى والظروف السائدة فى المجتمع الذى يعيشه كل مفكر(٢) ٠

وفى العالم الاسلامى : انقسم المفكرون بصدد البحث السياسى الاجتماعى -

---

(١) توفيق الطويل ، قضية الاضطهاد الدينى فى المسيحية والاسلام ، دار الفكر العربى ٠ ١٩٤٧ ، ص ٥٧ ـ ٥٨ ٠

(٢) غريب سيد أحمد ، الطبقات الاجتماعية ، الجزء الاول ، دار الكتب الجامعية ، ١٩٨٢ ، ص ١٩ ٠

الى قسمين ٠ قسم كان متأثر بالدين ، وخلط جوهر الموضوعات بالتاملات الدينية ، وكان ضعيفا فى تحليل الحقائق تحليلا علميا ٠ فجاءت آراؤه أقرب الى التاملات والوصايا والحكم ، منها الى النظريات والمذاهب ٠ وقد ذهب بعض مفكرى هذا القسم الى آراء يوتوبية على نحو ما فعل الفارابى فى «أراء أهل المدينة الفاضلة» ٠ وقسم الثانى كان أدق تحليلا واسبر غورا للحقائق ، وعالج الموضوعات علاجا تاريخيا فى ضوء المناهج الاقرب الى العلمية ، ولو أنه لم يتجرد بحكم طبيعة العصر والظروف من اثر الدين ٠ ويمثل هذا القسم أصدق تمثيل ابن خلدون(١) ٠

لم يقتصر ابن خلدون ـ مثلا ـ على تعداد مختلف الظواهر الاجتماعية ، بل نص على الطريقة المثلى التى يجب استخدامها فى دراسة المجتمع ومايطرأ على نظمه وأحواله من تغير وتطور ٠فلقد كان القدماء من المؤرخين يعتمدون على طريقة النقل ورواية أفكار العامة ،وكانت ثقتهم باراء السلف ورواياتهم أكثر من ثقتهم بعقولهم وبالحقائق اليومية التى تكشف لهم عنها الظواهر الاجتماعية فى عصرهم ٠ وهؤلاء ينظر اليهم ابن خلدون على أنهم كثيروا الخطأ وضحية سؤ الفهم ولذلك أوصى بطريقة علمية تعتمد على دراسة القوانين التى يخضع لها المجتمع ،وعلى المقارنة بين أنواع المجتمعات ومختلف الشعوب حتى يمكن كشف القوانين التى يمكن استخدامها فى تفسير الماضى والتنبؤ بالمستقبل٠وفى هذا ربط ابن خلدون بين التاريخ وعلم الاجتماع(٢)٠

ورغم المحاولات المبكرة ، لم يخرج علم الاجتماع الى حيز الوجود وكان من الضرورى أن تاتى محاولات عديدة تمهد لنشأة هذا العلم الجديد ٠ وكان عصر النهضة والاستعمار الاوربى من العوامل التى ساعدت على التعجيل بهذه النشأة ٠ فعندما تحررت شعوب أوروبا من السيطرة الكنسية واستردت سلطانها واستقلالها أدى ذلك الى وجود علوم انسانية عديدة كعلم

---

(١) مصطفى الخشاب ، النظريات والمذاهب السياسية ، مطبعة لجنة البيان العربى ، ١٩٥١ ، ص ١٢٥ ـ ١٢٦ ٠

(٢) محمود قاسم ، المنطق الحديث ومناهج البحث ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ، ص ٣٠٠ ـ ٣٠١ ٠

الاثار وعلم الادب المقارن والاقتصاد السياسى .. وبذلك اتسع مجال البحث والمقارنة أمام الباحثين فى القرنين السابع عشر والثامن عشر . ومع ذلك غلب الطابع الفلسفى على الدراسات الاجتماعية ، واختلط البحث فى أمور المجتمع بنظرة فلسفية يطلق عليها اسم فلسفة التاريخ وخاصة لدى فيكو ومنتسكيو وجان جاك روسو(١) .

ولقد مهدت أفكار بيكون وديكارت الى الحركة العلمية الحديثة فى القرن السابع عشر ،وخلصت العلم من أثر العادات والتقاليد والعقائد والميتافيزيقا ، واظهرت ضرورة اخضاع العلم بكلياته وجزئياته للملاحظة العلمية .

وعندما انتهت الثورة الفرنسية بتقويض أسس المجتمع القديم حاول بعض المفكرين أمثال سان سيمون وأوجيست كومت بناء المجتمع الجديد على أساس علمى . فكانت هذه آخر المحاولات التى مهدت لنشاه علم الاجتماع وتحديد منهج البحث فيه . والملاحظ أن لدى هذين المفكرين رغبة فى دراسة طبيعة المجتمع قبل اصلاحه . وان كان ثانيهما أكثر اهتماما من صاحبه بالدراسة العلمية التمهيدية(٢) .

ولقد جاء الفيلسوف الفرنسى سان سيمون فى مستهل القرن التاسع عشر حيث يؤكد فى بحوثه أن العلوم هى الصورة الحقيقية للتفكير الانسانى وأن العلم لابد أن يخضع للملاحظة وأن يقوم على أساس موضوعى بعيدا عن التحيز الشخصى . كما أشار الى ضرورة استخدام المنهج العلمى فى العلوم الانسانية وأن البحوث التى قامت وفق هذا المنهج هى التى أدت الى ظهور علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الاخرى . وجاء بعده أوجيست كومت ليؤكد هذه الحقيقة ويخرج تعاليم أستاذه سان سيمون الى حيز الوجود ويقرر أن الهدف الاساسى لعلم الاجتماع والبحث العلمى هو تفهم حالة المجتمع والوقوف على الظواهر الطبيعية والباثولوجية (علم الامراض

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٠٤ .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣١٥ .

الاجتماعية) السائدة به ويعتمد فى ذلك على جمع المعلومات وفقا للمنهج العلمى الذى من خصائصه الاعتماد على الملاحظة والتحليل ٠

والملاحظة والمشاهدة هى أساس كل بحث علمى وهى الاداة الاولية لجمع المعلومات والتصفيفات فى العلوم الطبيعية كالكيمياء والميكانيكا ، حيث يمكن اخضاع الملاحظة لنوع معين من الضبط باستخدام التجربة المعملية ٠ ولكن فى العلوم الانسانية يصعب استخدام التجارب واخضاع الكائنات لظروف خاصة لاتتغير ٠ اذ أن الكائنات البشرية متغيرة ومتباينة فى شخصيتها وعواطفها ومدى استجابتها للمؤثرات المختلفة ٠ ويعتمد الباحث على ادراكه الفردى بدون استخدام أجهزة معملية ٠ وكثيرا ما يختل هذا الادراك الفردى والتقدير الشخصى ، ولكن امكن رغم هذه الصعوبات استخدام التجارب العلمية فى بحوث العلوم الاجتماعية ٠

ولما كان موضوع علم الاجتماع أكثر تعقيدا من موضوعات العلوم التى سبقته ٠ فانه ينبغى أن يعتمد على أساليب منهجية متنوعة ، حيث يعتمد على الاسلوب الرياضى أحيانا وأساليب المنهج الطبيعى أحيانا أخرى ، وبذلك يعتمد على الملاحظة ٠ غير أن استخدام الملاحظة يعتبر أمرا عسيرا بالنسبة للباحث الاجتماعى ٠ لانه يعيش وسط الظواهر التى يلاحظها ، ولا تكون الملاحظة جيدة الا اذا وضع الباحث نفسه خارج الشىء الذى يلاحظه ٠ والسبيل الى ذلك هو أن يقارن بين الظاهرة التى يلاحظها وبين ظاهرة أخرى ٠ بشرط أن تخضع هذه المقارنة لفكرة أو نظرية عامة عن طبيعة الظواهر الانسانية(١) ٠

وهكذا يتضمن المذهب الوضعى لدى أوجيست كومت ، كبقية المذاهب الاخرى ٠ أسلوبا لاستنباط الاحكام بطريقة منهجية ٠ ولكن هذا الاسلوب لايعتمد على التجريد والمنطق ، وانما يعتمد على الحقيقة والتاريخ(٢) ٠

---

(١) المرجع السابق ٠ ص ٣٢٦ ٠

(٢) ليفى بريل ٠ فلسفة أوجست كومت ٠ ترجمة محمود قاسم والسيد بدوى ، مكتبة الانجلو المصرية ٠ ١٩٥٢ ٠ ص ٣٥٦ ٠

يرى أوجيست كومت أن الملاحظة والتجربة والمقارنة ليست الا أساليب ثانوية فى مجال علم الاجتماع ٠ وأنه من الضرورى أن تسيطر عليها وجهة نظر فلسفية عامة عن تطور النوع البشرى ، ولاتتحقق هذه النظرة الفلسفية الا بدراسة التاريخ الاجتماعى الذى يبين لنا المراحل التى تمر بها ظاهرة معينة فى مختلف مراحل تطورها ٠ وهذا ما أخذته مدرسة دور كايم عند دراسة الظواهر الاجتماعية(١) ٠

ويعتبر فردريك لوبلاى من أكثر الباحثين فى منتصف القرن التاسع عشر الذين استخدموا طريقة البحث العلمى للتوصل الى التخطيط الاجتماعى ٠ كما قام بدراسة التقدم التكنولوجى والرفاهية الاقتصادية ٠ وبحث اثار التصنيع على جماعات العمل فى فرنسا ثم فى بعض الدول الاوربية ٠ وقد أدرك لوبلاى منذ البداية أن تحديد وحدات معينة للدراسة والتحليل الدقيق ، وعن طريق هذه الوحدات الصغيرة ، يمكن دراسة الجوانب الاساسية للمجتمع الكبير ٠ فالتقدم الفكرى هدف أساسى من أهداف البحث العلمى ، كما أنه نتيجة حتمية من نتائجه ٠ الا أنه لايحدث دائما أن يهدف الباحث الى اكتشاف حقائق جديدة ، بل قد يرمى فى كثير من الاحيان الى تنظيم الحقائق والنظريات التى سبق اكتشافها مما يضطره الى فحص الصفات والميزات التى تتسم بها الحقائق والبيانات العلمية المختلفة وتوضيح العلاقات القائمة بينها ٠ والباحث فى كل هذا يستخدم الوسائل والاسس الاحصائية التى تمده بالوصف الموضوعى الدقيق وتوضح له العلاقات التى تتطلبها بحوثه توضيحا بعيدا عن العوامل الشخصية ٠ والباحث الذى يعتمد على مجرد الملاحظة الشخصية ٠ غالبا ما تقوده هذه الملاحظة دون أن يقصد أو يشعر الى نتائج لاتنطبق على الوقائع العلمية انطباقا تاما ٠ ومن هنا كان الاحصاء فهو يعد الاشياء ويحسب المجموع ويستخرج النسب المئوية والمتوسطات ويقارن ويصف٠ذلك لانه يرى أن هذه العمليات تقوده الى الادراك الواضح لمحتويات البيئة ، والى الاسباب الصحيحة فى

---

(١) المرجع قبل السابق ٠ ص ٢٢٧ ٠

الوصف والمقارنة . وما العمليات التى يقوم بها الانسان فى حياته الا صورة مصغرة للبحث العلمى الذى يهدف الى أدق وصف وأسلم مقارنة وأكثر النتائج بعدا عن الاثر الشخصى . فالباحث محتاج فى تصميم بحثه الى أساس يمكنه من أن يستخلص النتائج التى يهدف اليها وتحقيق الفروض التى يبدأ بها . وأن يستبعد بقدر الامكان جميع العوامل غير المرغوب فيها والتى قد تؤثر فى النتائج وفى سير البحث ، ثم فى حساب المعاملات والنتائج الجزئية التى يحتاج اليها فى الخطوات المتتابعة للبحث كالمتوسطات ومقاييس التشتت ومعاملات الارتباط ومقاييس الدلالة وما الى ذلك .

الفصل الثانى

اجراءات البحث الاجتماعى

أولا : تصميم واجراء البحث الاجتماعى ·

ثانيا : تصنيف مقترح ·

اجراء البحث الاجتماعى(*)

مثلما اختلفت تصنيفات خطوات المنهج العلمى ـ كما سبقت الاشارة ـ اختلفت أيضا تصنيفات التصميم والاجراء فيما يتعلق بالبحوث الاجتماعية. بل اننا نجد أكثر من تصنيف فى كل مؤلف من كتب مناهج البحث الاجتماعى، ويحاول كل باحث أو مشتغل بمناهج البحث أن يعرض الكثير من هذه التصنيفات ، محاولا التوصل الى تصنيف يعتبره نموذجيا من وجهة نظره . وسوف نحاول فى هذا الصدد ، عرض أهم التصنيفات محاولين الجمع بينها ، ومفسرين للباحث المبتدىء ـ بالذات ـ الخطوات المرحلية التى ينبغى أن يمر بها البحث الاجتماعى من حيث التصميم والاجراءات .

أولا : يرى جورج لندبرج أن الانسان اذا عمل كباحث ، فان عمله هذا يجعله يحدث نفسه عن اسئلة يرغب الاجابة عليها فى مجال الصناعة والمؤسسات ومعاهد البحوث التى قد يعمل بها . ويصدق نفس القول ـ تقريبا ـ على الباحث الاكاديمى الذى يحاول اختبار نظرية واسعة المدى من خلال عدد من البحوث . ويستطيع الباحث الكفء أن يحدد المشكلة الجديرة بالدراسة ، كما يستطيع أيضا أن يحدد أنسب أدوات البحث ووسائله لكى يصل الى حل مناسب لهذه المشكلة . ويستطيع ـ أخيرا ـ أن يحدد الاسئلة التى تفيد اجابتها فى حل مشكلة البحث[1] . وهذا يتطلب من

(*) اعد هذا الفصل أ.د. غريب سيد أحمد .

(1) George A. Lundberg, Social Research, Op. Cit., pp. 34-45.

الباحث أن يضع فى اعتباره الضروريات التالية(١) :

١ ـ عندما يتحدد موضوع الدراسة بدافع من اهتمام الباحث أو عن طريق غيره ، على السواء ، فمن الضرورى تحديد المظهر أو المظاهر التى يجب دراستها ، والتى يمكن دراستها كذلك • وهـذا يحدد نوع السؤال والاجابة ودرجة الدقة المرغوب فيها • ومن المهم أن نتـذكر أن المعطيات السلبية لاتقل أهمية عن المعطيات الايجابية التى ياتى بها البحث ، فكثير من مشروعات البحوث يصيبها الفشل نتيجة عدم التزامها بالموضوعية فى عرض المعطيات • وهذا لايعنى أن الموضـوعات التى تتميز بالعمـومية والاتسـاع ، لا تعمل على تحديد هـدف البحث ولكنها تفيـد على الاقل ـ كدراسة استطلاعية ـ فى صياغة مشكلات جديدة تصلح لبحوث أخرى •

٢ ـ عندما يتحـدد موضوع البحث ، فمن الضرورى القيام بدراسة استطلاعية مبدئية لمعرفة المتاح من البيانات ، ومدى ارتباط مشروع البحث بغيره من المشروعات ، ولتحديد الهدف العملى والتطبيقى من البحث عن طريق توجيه بعض الاسئلة مثل :

أ ـ الى من والى أى مدى تصلح النتائج ؟

ب ـ هل ستكشـف النتائج عن فروض جـديدة ؟ أو انها تنتهى الى رفض بعض الفروض ؟

جـ ـ هل تقتصر النتائج على أهداف علمية بحتة ؟ أم أن لها جوانب تطبيقية ؟

٣ ـ ومن الناحية العملية ، فـان كل بحث يرتبط بـوقت محدد ، وبميزانية محـددة أيضـا • وهنـا يجب أن يتخلى البـاحث عن النظرة الرومانتيكية التى تتطلع الى مزيد من المعلومات ومزيد من الوقت ، بحيث يضع فى اعتباره عاملى الزمن والميزانية عند وضع مشروع الخطة • . .

---

(1) Ibid., pp. 35-39.

٤ ـ يجب أن يحدد الباحث مبدئيا ، المناهج والاساليب والادوات ، وجمع المعطيات ، وأساليب التحليل ، وغيرها من المراحل التى تفيد عند صياغة التقرير النهائى للبحث ·

ثانيـا : واذا كانت خطوات التصميم والاجراء ، كما تصورها لندبرج تركز على الدراسات الاستطلاعية بالذات ، فان الدكتور ابراهيم أبو لغـد والدكتور لويس مليكة يركزان خطوات البحث الاجتمـاعى على البحوث الوصفية والتشخيصية ، ويحددانها فيما يلى(١) :

١ ـ تحديد أهداف الدراسة تحديدا دقيقا،يوضح نوع البيانات المطلوبة والادوات التى تستخدم ·

٢ ـ تحيد طرق جمع البيانات ، مثل الملاحظة والمقابلة والاستبيانات والاساليب الاسقاطية ·· الخ ·

٣ ـ اختيار عينة البحث ·

٤ ـ جمع البيانات والتأكد من اكتمالها ، ومن ثباتها ، ومن مراعاة الامانة فى جمعها ، ثم تصنيفها طبقا لنظام تصنيفى مناسب ·

٥ ـ تحليل النتائج وتفسيرها ·

٦ ـ كتابة تقرير عن نتائج البحث ·

وعندما تحدثا عن خطوات المسح الاجتماعى(٢)،فاننا نجدهما قد عالجا هذه الخطوات كما لو كانت هى بالضبط خطوات البحث الاجتماعى ، اذ تبدأ بخطوة «التخطيط» التى تشمل تحديد الاهـداف والادوات البحثية واختيار العينة والباحثين ، وخطوة «جمع البيانات» ومراجعتها ، وخطوة

---

(١) الدكتور ابراهيم أبو لغد والدكتور لويس كامـل مليكة ، مرجع سابق ، ص ٢٣ ـ ٢٤ ·

(٢) المرجع السابق ، ص ٦٢ ـ ٦٨ ·

تفريغ البيانات وتصنيفها وتبويبها ، وخطوة «تفسير البيانات» ، وتنتهى هذه الخطوات بكتابة التقرير وعرض النتائج .

ولعل هذه الخطوات التى حددت ، كانت أكثر تفصيلا من سابقتها . الا أن تلك اشارة توجه نظر الباحث المبتدىء الى أن هنـاك خلطا كبيرا ـ لدى عدد من المشتغلين بالبحوث الاجتماعية ـ بـين البحث الاجتماعى والمسح الاجتماعى .

ثالثا : تذهب بولين يونج الى أن البحث العلمى ـ كما يرى المناطقة ـ يبدأ بالتعرف على مشكلة معينة ، «عندما يكون هناك شيئا غير مرضى ، وعندما لاتعرف الحقـائق الضرورية لحل مشكلة ما ، وعنـدما لاتتناسب المعتقدات التقليدية مع شرح المشكلة» . وهنا يبدو السؤال الذى يهم البحوث العلمية : هل الحقائق الضرورية لشرح المشكلة ، حقائق معروفة أو متاحة للعلم ، وهنا يبدو ـ أيضا ـ للمشتغلين بعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرهما من العلـوم الاجتماعية ، الحـاجة الى مايطلقـون عليه «البحث المكتبى Library Research» والحاجة الى النظرة المتعمقة لمشكلة السلوك البشرى من وجهات متعددة(١) .

ثم تأتى الخطوة التالية للبحث ، وتتمثل فى التفكير الجاد فى المشكلة موضوع الدراسة .

وهنا يخطر لنا ماقاله فريدريك لوبلاى Frederic Le Play العـالم الاجتماعى الفرنسى فى القرن التاسع عشر ، حيث يشـير الى هذه الخطوة (التفكير من خلال عملية البحث) على أنها عملية معقولة رشيدة Reasoning وتعنى أن الاجراء العلمى يتأسس فقط على الحقائق Facts التى تخضع للملاحظة المتسقة ، وكذلك يتأسس على الاستنتاجات الآتية أو المنبثقة من هذه الحقائق خلال التعقل القوى .

---

(1) Pauline V. Young. Seientific Social Surveys and Research, New Dlhi, Printice-Hall of India Private Limited, 1973, p. 5.

فما هى الحقائق اذن ؟ ان الحقائق والمعطيات Data يشار اليها غالبا فى الكتابات العلمية ، على أنها مصطلح صعب التحديد • ومع ذلك يمكن تحديد معنى الحقائق على أنها «ذلك الذى حدث فعلا فى الواقع» • وعلى هذا تصبح المعطيات عبارة عن حقائق معروفة ومتاحة ، أو بمعنى آخر فانها معلومات(١) •

أما الخطوة الثالثة فى البحث فهى تحديد استراتيجية Strategy of the Study الدراسة • وترتبط هذه الخطوة بالطبقة التى تهتم بها الاستراتيجية هذه أكثر من ارتباطها بخطة البحث أو القرارات والتوصيات التى تصل اليها الدراسة • ان الاستراتيجية تشير أيضا الى القيم الشخصية ومستويات السلوك التى تحدث خلال اجراء البحث • حقيقة أن الباحث يحاول الوصول الى معطيات صادقة وموثوق بها وقابلة للقياس ، ولكنه أيضا يجب أن يفعل هذا بدون ارتباك أو ارهاق للاخباريين Informants أو هيئات البحوث التى سوف تقوم بعمليات المراجعة والتحليل(٢)• وتتطلب الاستراتيجية ـ أيضا ـ مقدرة واتجاها موضوعيا للتعرف على الحقائق التى قد تتناقض مع ما كان يعتقده الباحث •

ولكى يحاول الباحث الاجتماعى حل مشكلة ما ، فانه يحاول أن يضع تخطيطا للدراسة • وعند بداية وضع الخطة يجب أن يضع فى اعتباره انها قابلة للتعديل والتغير كلما تقدمت الدراسة وازدادت عمقا• ان خطة الدراسة يجب أيضا أن تضع فى اعتبارها مايلى(٣) :

عم تدور الدراسة وما هو نوع المعطيات التى تحتاج اليها ؟

لماذا تجرى الدراسة ؟

أين توجد المعطيات التى تحتاج اليها الدراسة ؟

أين تنفذ الدراسة ، أو فى أى مكان تجرى ؟

---

(1) Ibid., pp. 9-1(

(2) Ibid., p. 11.

(3) Ibid., p. 12.

متى تجرى الدراسة ، وماهى الفترة التى سوف تستغرقها ؟
ماذا تتكلف الدراسة وكم عدد الحالات التى تحتاج لدراستها ؟
ماهى أسس اختيار مجموعات الدراسة ؟
ماهى أدوات جمع البيانات المستخدمة ؟

وهكذا نرى أن أسئلة مثل ، أين ومتى وكيف وكم كلها أسئلة يقوم عليها تصميم البحث أو وضع الخطة ، ويمكن القول بأن تصميم البحث يتضمن مايلى(١) :

١ ـ مصادر المعلومات ٠
٢ ـ طبيعة الدراسة ٠
٣ ـ موضوعات الدراسة ٠
٤ ـ السياق الاجتماعى الثقافى للدراسة ٠
٥ ـ المناطق الجغرافية التى تجرى فيها الدراسة ٠
٦ ـ الفترة الزمنية الكافية لاجراء الدراسة ٠
٧ ـ أبعاد الدراسة ومحكاتها ٠
٨ ـ أسس اختيار المعطيات ٠
٩ ـ أدوات جمع البيانات ٠

ان تصميم البحث عبارة عن تخطيط منطقى ومتسق يوجه البحث ، وان التصميم ينتج من ترجمة نموذج علمى عام الى اجراءات بحثية مختلفة ومتنوعة ٠ ان تصميم البحث يحتاج الى الوقوف على الامكانيات ، والوقت المتاح ، والمعطيات المتاحة وامكانية الحصول عليها ، والامكانيات المالية ٠ وكلما تقدمت الدراسة فان هناك مظاهر جديدة ، وظروف وعلاقات جديدة بين المعطيات ، وهذا يتطلب ضرورة تغيير الخطة وفقا لمتطلبات الظروف٠ يضاف الى ذلك ، أن أكثر الدراسات أهمية وجدوى ، تلك التى تنبع من

(1) Ibid., pp. 12-13.

وجهة نظر محددة ، ومع ذلك فان وجهة النظر هذه ، تتغير وتتعدل كلما تقدم البحث فى اجراءاته(١) .

وتحاول بولين يونج أن تعرض لتصنيفين لخطوات التصميم،لكى تخرج منها ببعض الاعتبارات . التصنيف الاول يضعه ستوفر Samuel Stouffer فى دراساته عن «الجندى الامريكى» ويتحدد بالخطوات الآتية(٢) :

١ ـ اثارة الانتباه نحو مشكلة تحتاج الى دراسة .

٢ ـ الاتصال والمناقشة الشخصية مع ذوى الخبرات بموضوع الدراسة.

٣ ـ استطلاع مشكلات ومواقف الدراسة عن طريق الملاحظة والاختبار والمسح بطريقة عامة .

٤ ـ المقابلات الغير رسمية مع عدد من أفراد البحث .

٥ ـ مناقشات أولية مع هيئة البحث حول المعطيات المطلوبة للبحث.

٦ ـ تصميم استمارات الاستخبار أو الجرد بصورة مبدئية .

٧ ـ الاختبار المبدئى لاستمارات الاستخبار أو الجرد .

٨ ـ اختبار نتائج الاختبار المبدئى لتعديل أداة جمع البيانات .

٩ ـ وضع استمارات الاستخبار أو الجرد فى صورة منقحة مبدئية .

١٠ ـ المناقشة مع هيئة البحث وجامعى البيانات حول توضيح واستكمال مشروع الدراسة .

١١ ـ وضع استمارات الاستخبار أو الجرد فى صورة نهائية .

١٢ ـ تحديد اطار مجال المقابلات .

١٣ ـ تحليل المعطيات المجمعة .

١٤ ـ كتابة التقرير النهائى فى صورة مبدئية .

أما التصنيف الثانى،فهو ما وضعته ماتيلداريلى Matilda White Riley

---

(1) Ibid., p. 131.

(2) Ibid., pp. 131-132.

متمثلا فى الخطوات التالية(1) :

١ ـ طبيعة البحث ٠

٢ ـ عدد الحالات المدروسة ٠

٣ ـ السياق الاجتماعى ٠

٤ ـ الاساس الجوهرى فى اختبار الحالات (العينة) ٠

٥ ـ عامل الزمن ٠

٦ ـ نطاق ضبط الباحث للنسق موضوع الدراسة ٠

٧ ـ المصادر الاساسية للمعطيات ٠

٨ ـ أدوات جمع المعطيات ٠

٩ ـ عدد الخصائص المستخدمة فى البحث ٠

١٠ ـ أساليب تناول هذه الخصائص ٠

١١ ـ معالجة نسق الخصائص ٠

وتنتهى بولين يونج من عرض هذين التصنيفين الى بعض الاعتبارات مثل(2) :

١ ـ طول الفترة التى يتطلبها استيفاء الاستمارات أو غيرها من أدوات جمع البيانات ٠

٢ ـ طريقة اختيار وتدريب الباحثين وتوجيههم من خلال مشروع بحث متكامل ٠

٣ ـ التكاليف والاحتياجات ، وصورة الجداول ، وطبع الاستمارات وغيرها ٠

٤ ـ الوقت اللازم لجمع البيانات والتحليل ٠

٥ ـ تحديد الدراسة فى ضوء مجالها وموضوعها ومصادر المعلومات ٠

---

(1) Ibid., pp. 132-133,

(2) Ibid., p. 133,

٦ ـ التنسيق بين الدراسة وغيرها من الدراسات المتعلقة بها ٠

رابعا : يضع جود وهات تصنيفات لخطوات تصميم البحث الاجتماعى مـؤداه(١) :

١ ـ دراسة تراث البحث فى موضوع الدراسة ٠

٢ ـ تحليل المشكلة عن طريق الكليات والمدرسين ،وخاصة اولئك الذين يعملون فى مجال المشكلة ٠

٣ ـ محاولة الحصول على المادة العلمية الغير منشورة أو مشروعات البحوث التى تدور حول نفس الموضوع ٠

٤ ـ محاولة تنفيذ خطوات البحث وفقا لاطار تصورى رسمى ٠

٥ ـ تطوير الفروض وتنميتها ، بما يتضمن علاقتها بالنظرية الاجتماعية ٠

٦ ـ الاتصال الواقعى ، كلما أمكن ذلك ، مع الظاهرة موضوع الدراسة ٠ وينتهى جود وهات الى أربعة محددات للنتائج الامبيريقية ، يجب على الباحث أن يضعها فى اعتباره وهى(٢) :

١ ـ النظرية الاجتماعية ، وخاصة فى اتجاهها العام نحو الظواهر التى يدرسها علم الاجتماع ٠

٢ ـ النتائج الامبيريقية الاولية ٠

٣ ـ التحليل التصورى ٠

٤ ـ ما يتطلبه البحث من وقت ومال وجهد مما يسهل التطبيق ٠

خامسا : قبل أن يعرض آكوف Ackoff نموذجا مثاليا لتصميم البحث الاجتماعى ، فانه يتساءل : مامعنى كلمة تصميم ؟ ويرى أنها كلمة تعنى الانشاءات أو اقامة البناء ٠ واذا كان لدينا اطارا أو تصورا لهذا البناء ،

---

(1) William J. Goode & Paul K. Hatt; Methods in Social Research, New York, Mc Graw-Hill Book Com., Inc., 1952, p. 92.

(2) Ibid., p. 93.

فان هذا التصور هو فى حد ذاته تصميم لخطة يتبعها الباحث • ويجب أن يكون البحث مصمما بطريقة منهجية ، بمعنى توضيح المدى الذى على أساسه يكون البحث مخططا قبل ذلك ، وبمعنى توضيح المدى الذى عنده يصبح منهج وأسلوب اجراء البحث مقيما أو قابلا للتقييم • واذا وضع هذا التصميم فى نموذج رمزى فبالامكان تسميته بنموذج البحث Research Model (١) •

وينبغى أن يتضمن التصميم النموذجى للبحث محددات أساسية لظروف واجراءات البحث • وهذا يتضمن أيضا ايجاد حل أو اجابة لبعض الاسئلة مثل ماذا سوف افعل؟ولمن ؟ وتحت أية ظروف ؟ ولاى شيء سيتركز نظرى؟ وبمعنى آخر فان تصميم البحث يتطلب بعض المظاهر مثل(٢) :

١ — موضوع أو موضوعات الملاحظة •

٢ — البيئة أو البيئات التى ستتم الملاحظة خلالها •

٣ — الدافع أو الدوافع الى الملاحظة •

٤ — الاستجابة أو الاستجابات الملحوظة •

وينتهى آكوف الى أن خطوات تصميم البحث هى(٣) :

١ — اختيار المفهومات الوثيقة الصلة بالموضوع • وهنا يجب أن نحدد محكات الصلة بالموضوع ، ومحكات التعريف ومضمون مختلف التعريفات المستخدمة •

٢ — ثبات أو تغير المتغيرات القيمية المستخدمة • وهذا يتطلب تحديد علاقة السببية والارتباط بين المتغيرات •

٣ — تحديد المتغيرات الكمية والمتغيرات الكيفية • وهذا يتطلب تحديد

---

(1) Russell L. Ackoff, The Design of Social Research., Chicago. The Univeristy Press, 1953, pp. 5-6.

(2) Ibid., p. 50.

(3) Ibid., pp. 51-76.

بعض المقاييس والمعالجات الاحصائية ، كما يتطلب تصنيف البيانات والقيم المســـتخدمة •

ومع أن هناك عديدا من التحليلات الناضجة لعملية البحث ، الا أن آكوف يتفهم البحث بمنظور مخالف ، حيث يرى أن البــاحث الاجتماعى يهتم بالتفاعلات التى تحدث بين الافراد والجماعات والبيئات ، بمعنى أنه يذهب الى صياغة مفاهيم البحث على أنها عملية اتصال A. Communicative Process ويضع لذلك رسما كروكيا لنموذج تصميم البحث من وجهة نظره عندما يحاول البحث حل مشكلة معينة •

والملاحظ للرسم التوضيحى اللاحق ، يجد أن هناك أربع نوعيات لاولئك الذين يتصلون بعملية البحث • وأول هذه النوعيات «جمهور البحث» أو الذين يستفيدون من اجرائه ، وقد يكون المستفيد هو الباحث نفسه ،عندما يوجه بحثه لهدف علمى أو نظرى فقط • أما ثانى هذه النوعيات فيتمثل فى الباحث المتخصص «أو العالم Scientist » • كذلك يشترك فى الاتصال بالبحث «جامع البيانات» أو القائم بالملاحظة Observer ، وتنتهى هذه النوعيات «بموضوع الملاحظة» مثل الظواهر والجماعات والانساق والنظم الاجتماعية التى تخضع للملاحظة •

ومن ناحية أخرى ، فان كل من أولئك الذين يتصلون بعملية البحث ، يقوم ببعض الاجراءات المحددة • حيث يقوم جمهور البحث بنقل المشكلة واحالتها الى الباحث المتخصص ، ذى يقوم بتدريب الملاحظين والاشراف عليهم ، ويقوم جامعوا البيانات باستثارة حوافز ودوافع كامنة فى موضوع الملاحظة الذى يعطى بالتالى استجابات ، يقوم جامعــوا البيانات بنقلها وتسجيلها وتبويبها ، وتنتهى هذه الاجراءات عند الباحث المتخصص الذى يضع التقارير ويعرض النتائج •

كذلك فان حل مشكلة البحث يمر بعدد من الخطوات والمراحل • اذ يبدأ بوجود المشكلة أو الشعــور بها ، وهذه الخطــوة تتمثل لدى جمهور البحث أو الباحث الراغب فى دراسة موضوع معين • ثم تصاغ المشكلة ويوضع تصميم للبحث وتخطيط له ، وهذه الخطوة يقوم بها الباحث المتخصص أو

العالم . وتتمثل الخطوة الثالثة فى التحرك والانتقال نحو البيئة التى ستجرى الملاحظات من خلالها ، ويقوم بهـذه الخطوة جامعـوا البيانات ، الذين يقومون ـ أيضا ـ بتسجيل الاستجابات والمعطيات والوقائع . ليقوم الباحث المتخصص بمعالجتها لينتهى ببعض الاستخلاصات العملية والتطبيقية ، التى يجد فيها جمهور البحث امكانية الاختيـار ـ من مختلف الاساليب ـ لحـل المشـكلة .

سادسـا : حاول ابيلسون Apelson أن يضع صورة لخطوات البحث نوجزها فيما يلى(١) .

١ ـ الموضـــوع :

ويقصد به تحديد مجال البحث بدقة كافية ، بمعنى أن يحدد الباحث موضوع بحثه واضحا فى اعتبـاره الشرطين اللذين سبق أن ذكرناهما عنـد تحديد مشكلة البحث . وهما ألا تكون المشكلة ضيقة ضيقا يجعلها تافهة ، وألا تكون متسعة اتساعا يصعب معه دراستها .

٢ ـ اختيار المشكلة :

وفى هذا يوضح الباحث أسباب اختيـار المشكلة ومبرراتها كما يوضح أهميتها واهمية البحث ذاته ، بالاضافة الى أهمية النتائج التى سوف يصل اليها البحث سواء كانت سلبية أو ايجابية . وعلى الباحث أن يحدد أيضا مجال المشكلة وحدود هذا المجال على أن يفرض قيودا أو يضع تعريفات سواء كانت متفق عليها أو متعارفة ، وسواء كانت تعريفات اجرائية يضعها الباحث بقصد تحديد المشكلة موضع الدراسة أو تحديد وحدة الدراسة أو تحديد اطار تاريخى يجرى البحث من خلاله . فاذا كنا بصدد بحث المشاكل الاجتماعية لدى عمال الصناعة مثـلا ، علينا أن نحـدد بادىء ذى بدء ما المقصود بالمشكلة الاجتماعية وما المقصود بالعامل وما المقصود بالصناعة

---

(١) جمـال زكى والسيد يس ، أسس البحث الاجتمـاعى ، مرجع سابق ، ص ١١ ـ ١٢٠ .

(أ) وجود المشكلة
١ نقل المشكلة واحالتها
(ب) تصميم البحث وتخطيطه
٢ تدريب الملاحظين والاشراف عليهم
(ج) التحرك نحو البيئة ومواقف الملاحظة
٣ استثارة جوافز ودوافع الملاحظة
(د) موضوع الملاحظة
٤ الاستجابة
(هـ) تسجيل الاستجابات
٥ نقل الاستجابات وتسجيلها
(و) معالجة المعطيات
٦ وضع التقارير وعرض النتائج
(ز) استخلاصات علمية وتطبيقية

جهود البحث
الباحث المتخصص
جامع البيانات

(نموذج البحث عند آكوف)
Ibid., p. 9.

وأى نوع من الصناعة ندرس : هل هى صناعة كيماوية أو غذائية أو استهلاكية ام تحويلية ٠٠٠ الخ ٠

٣ ـ **خطوات العمل :**

ونقصد بها الاجراءات التى يتبعها الباحث عند اجراء بحثه موضع التنفيذ ٠ وتقابل هذه الخطوة مرحلة تنفيذ البحث حسب التصنيف السابق وتتلخص فى التحليل المنطقى لعناصر المشكلة موضع الدراسة مع مراعاة أن يدون هذا التحليل مرتبا ترتيبا منطقيا ومتسلسلا من موضوعات عامة الى موضوعات تكشف عن مسائل محددة حسب التعريفات الاجرائية او المتعارف عليها والتى حددها الباحث فى المرحلة أو الخطوة السابقة ٠ عليه اذن أن يوضح عناصر المشكلة وتوزعها وأقسامها التى يمكن أن تنقسم اليها ٠ ففى المثال السابق بعد أن حدد الباحث مقصوده بالمشكلة الاجتماعية وبنوعية عمال الصناعة فعليه بعد أن يدرس المشكلة الاجتماعية بصورة عامة ، أن يحدد مشاكل فرعية مقسمة ، فعليه مثلا أن يدرس مشكلة الغياب أو التغيب أو التأخير عن العمل ، وعليه كذلك أن يدرس مشكلة التمارض أو الاستهداف للحوادث ، وعليه أيضا ان أراد أن يتعمق مشكلة العلاقات الانسانية لدى عمال الصناعة وحددها من ذى قبل، وهكذا من المسائل الفرعية أو التصنيفات التى تتخذ صورة منطقية يحاول فيها الباحث أن يضع فى اعتباره أن بحثه لن يوضع فى خزينة المكتبة ولكنه بحث متداول يقرأه من يشاء ٠ ولذلك فعلى الباحث أن يضع فى اعتباره أمرين **أولهما** المشكلة التى يدرسها ونوعيتها وأهميتها ومدى تفاقمها ومدى الحاجة الى دراستها ٠ **ثانيهما** أن يضع فى اعتباره لمن يجرى البحث ومن ذا يقرأ ، وبعدئذ يوضح الباحث الخطوات التى يتبعها فى حل المشكلة أو فى دراستها أو تعيينها (عينة) (ان كانت الدراسة استرشادية أو استكشافية أو استطلاعية) ٠

كما عليه ـ أى الباحث ـ أن يحدد الاقسام الفرعية أو الحلول الجزئية التى ينبغى أن توصل احداها الى الاخرى لتكون نسيجا متسقا لايمله القارىء ولايخل بالمعنى ٠ وعليه بعدئذ أن يبلور آرائه حسب مقدرته ومهارته وخبرته ، وفى هذا يحدد نوعية البيانات المطلوبة والحقائق التى

يرغب اثباتها والمعلومات التى يتطلب البحث ايجادها . وكل من البيانات والحقائق والمعلومات يجب أن تكون متصلة وفى أتساق مع المشكلة موضع الدراسة والتقصى . هذا ، وحسبما يذهب ابيلسون يبدأ الباحث فى الحصول على البيانات بعد أن يكون قد حدد وسائلها ويصنفها ويرتبها ويعرضها ثم يختبر الفروض التى وضعها سلفا . والمعروف أن الفرض قد يكون فى صورة جملة اخبارية يوافق عليها البحث أو ينكرها ، كما قد يكون الفرض فى صورة سؤال يحاول البحث الكشف عنه ، وأخيرا قد يكون الفرض فى صورة تساؤل غير محدد بسؤال أو بجملة اخبارية حين لايعرف الباحث شيئا عن موضوع دراسته .

٤ ـ النتائج :

وفى هذه المرحلة من البحث يضع الباحث فى اعتباره أمرين يرتبط الاول بالنتائج المتعلقة بالفرض الذى وضع فى بداية البحث ، ويرتبط الثانى بما ينجم عن هذه النتائج وما يترتب عليها من مخالفة أو اتفاق مع دراسات سبقت ، أو استكشاف لموضوعات جديدة بالدراسة ، أو توصيات يوصى بها البحث الى اللجان التنفيذية فى المشروعات العامة والخاصة ولجان التخطيط .

٥ ـ البحوث السابقة :

وهنا نجد ابيلسون يضع تلك النقطة فى خاتمة تصنيفة ليؤكد على أهميتها . فان البحث كما نعلم لايبدأ من فراغ ، كما أن الباحث لا يكتب آخر كلمة فى العلم . فهو يرى أن الجوث السابقة على بحثه بمثابة حجر الاساس الذى ترتكز عليه دراسته فى بداية الامر ، وأساس التحليل الذى تنتهى به الدراسة فى خاتمة المطاف . وهنا تجدر الاشارة بأن الاطلاع على البحوث السابقة لا يعنى تلك البحوث الملتصقة بالبخث التصاقا تاما ، أو تلك البحوث التى تحسن نفس العنوان أو تدرس نفس المشكلة . فقد يكون هذا صحيحا ان كانت مثل هذه البحوث متوفرة . لكن الباحث بعد أن جزأ مشكلة البحث الى مشكلات فرعية وبعد أن صنفها حسب موضوعاتها الى مسائل متنوعة ، وحتى ان كان بصدد دراسة كشفية استطلاعية ، بل وحتى ان لم يكن قد صنفها بعد ، فعليه أن يطلع على البحوث السابقة سواء مست

الموضوع عن قرب أو عن بعد . فقد يكون فى بحث يخص الصراع الاجتماعى مثلا أداة منهجية أو فكرة محورية تغير أساس البحث فى دراسة الضبط الاجتماعى ، وقد يكون الصراع من أجل المصلحة أساسا فى وضع تشريعات أو قوانين تحددها الطبقة المتحكمة Ruling class لتحمى نفسها من العامة .

يتضح من تلك الخطوات التى حددها ابيلسون أن عملية البحث ماهى الا تطبيق لعملية التفكير المنظم المتبعة فى المنهج العلمى . ومعنى هذا كما أشرنا فى نقطة سابقة أن خطوات ابيلسون يمكن أن تتفق مع التصنيف الرباعى الفلسفى لخطوات البحث التى تبدأ بالشعور بالمشكلة ثم فرض الفروض فغربلتها للتحقيق من صدق الفرض الاخير . ولذلك يرى ابيلسون وجوب أن يكون الباحث دقيقا وموضوعيا وعلى حذر عند وضع النتائج الفرضية لبحثه ، وألا يقيد نفسه بها اذ أن وضع نتيجة معينة أمام الباحث قد يؤدى به الى الوصول الى هذه النتيجة ذاتها والتأثر بها قبل بدء عملية بحثه .

وهذا يعطينا تفسير للقضية التى مؤداها أن الباحث سجين تجربته الشخصية والاجتماعية . فظروف المجتمع وخاصة ان كان الحكم دكتاتوريا تحتم عليه أن يغض الطرف عن مسائل يحرمها المجتمع أو لايتقبل أن تشاع بين الرأى العام(١) . فالشيوعى مثلا لا يمكن أن يبوح بشوعيته فى مجتمع لا يقر حرية التعبير . ولكن الشيوعيون فى تشيكلاتهم السرية يعتنقون ماطاب لهم من آراء وما اتفقوا عليه من أفكار ، فيتكون لدى تلك التشكيلات رأى عام نطلق عليه رأى عام كامن أو مستتر أو غير ظاهر . لكن ان أباح المجتمع حرية الرأى والتعبير وأخرجت تلك الفئة مافى جعبتها من آراء أطلق على رأيهم هذا رأى عام واضح وصريح وظاهر .

وفارق بين الرأيين ، والاساس هنا كما يذهب إبيلسون أن يكون الباحث متحررا من جميع الاتجاهات الفكرية والعقائدية والمجتمعية التى تشكل

---

(١) أنظر فى هذا كتابنا بالاشتراك مع د. عبد الباسط محمد ود. على عبد الرازق جلبى : المدخل الى علم الاجتماع المعاصر ، دار الكتب الجامعية ١٩٧٤ .

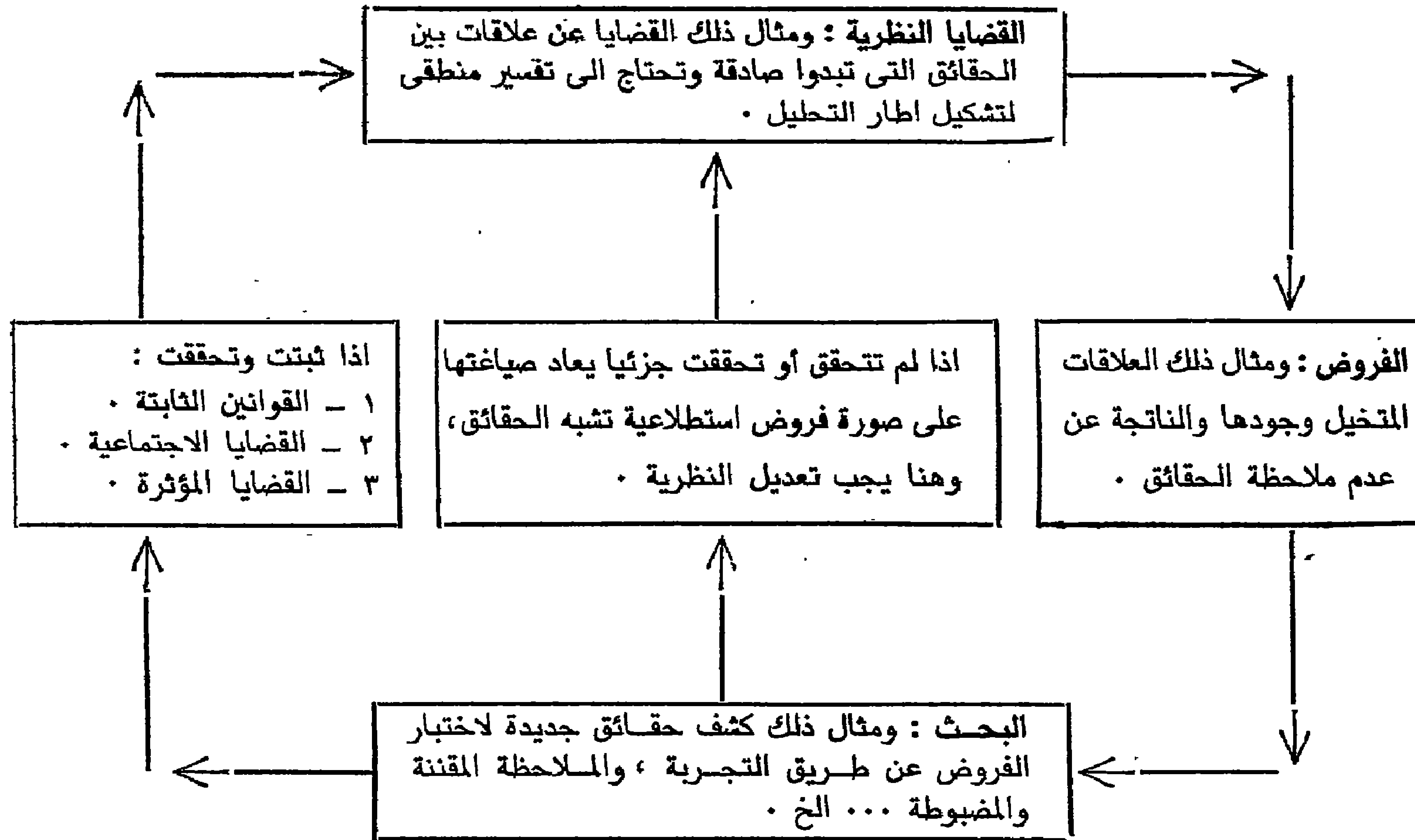
شخصيته وتحدد ايديولوجيته . لكن هذا مطلب لاينجز الا لدى قلة من الباحثين عدوا أنفسهم كصفحة بيضاء ينقش عليها الواقع مايشاء . لكن معظم الباحثين والفلاسفة (والتراث ملىء) سجناء لتجربتهم - فجان جاك روسو مثلا فى اعترافاته وسائر كتبه تظهر نزعته وآرائه خلال مالاقاه اثناء طفولته من بؤس وتشرد وهيام على وجهه فى الطبيعة الجرداء وفى شبابه من زيجات نغصت حياته وافحمته من خلال سلوكها حتى جعلت منه فى نضارته سارقا كما يقول فى اعترافاته . وعلى العكس من ذلك نجد نظريات التفاؤل لدى بعض الباحثين وان كان أمثال هؤلاء قد تاثروا بمسيرة حياتهم وبالظروف الشخصية التى عاشوها ، فهناك أيضا من كانت الاثرة تغلب على الايثار فسان سيمون مثلا تطوع للدفاع عن عمال الصناعة ، وكارل ماركس اكد واتخذ من نفسه مدافعا عن طبقة البروليتاريا متاثرا فى ذلك بآراء سان سيمون من جانب وبالظروف الاجتماعية التى كانت تعترض تلك الطبقة . وما كان بكثير من الباحثين والمؤرخين أن يختار مشكلة بعينها الا وهم سجناء لهاتين التجربتين معا أو لاى تجربة منهما .

وهكذا فان تحرر الباحث من اتجاهاته ومعتقداته مطلبا عسيرا ان لم يكن مستحيلا ، ولكن ينبغى عليه ، كأحد متطلبات البحث العلمى ، أن يجاهد ما أمكن ذلك من أجل تحرره ، ومن أجل كشف الحقيقة لذاتها ، فغاية البحث التوصل الى الحقيقة أيا كان شكلها ، ولو تعارضت مع ميول الباحث ورغباته أو مع مسيرة المجتمع واتجاهاته .

سابعا : ويرى وورسلى Worsley أن البحث الاجتماعي يهدف الى كشف حقائق جديدة لاختبار الفروض عن طريق التجربة والملاحظة المقننة . ولذلك يمر البحث الاجتماعى بمجموعة من الخطوات بحيث تؤدى عملية وضع الفروض الى بحثها واثباتها والتحقق منها ، حتى يمكن الخروج بمجموعة من القضايا النظرية ، ويعطى وورسلى رسما تخطيطيا يوضح ذلك(1) :

---

(1) Peter Worsley, Introducing Sociology, Hazell Watson & Viney Ltd., London, 1974, p. 69.


القضايا النظرية : ومثال ذلك القضايا عن علاقات بين الحقائق التى تبدوا صادقة وتحتاج الى تفسير منطقى لتشكيل اطار التحليل ٠
الفروض : ومثال ذلك العلاقات المتخيل وجودها والناتجة عن عدم ملاحظة الحقائق ٠
اذا لم تتحقق أو تحققت جزئيا يعاد صياغتها على صورة فروض استطلاعية تشبه الحقائق، وهنا يجب تعديل النظرية ٠
اذا ثبتت وتحققت :
١ ـ القوانين الثابتة ٠
٢ ـ القضايا الاجتماعية ٠
٣ ـ القضايا المؤثرة ٠
البحـث : ومثال ذلك كشف حقـائق جديدة لاختبار الفروض عن طـريق التجـربة ، والمـلاحظة المقننة والمضبوطة ٠٠٠ الخ ٠

ثانيا : تصـنيف مقترح :

وأيا ما كانت التصنيفات السابقة لخطوات البحث العلمى والاجتماعى، من حيث عددها ونوعيتها ومدى تطبيقها واتخاذها أساسا لتحديد خطوات التصميموالاجراء ، فانه بامكاننا تجميعها ـ مع بعض التحفظات ـ ودمجها فى صورة تتطابق مع الاجراءات الفعلية للبحث الاجتماعى ، مـع التركيز على عرضها بصورة سهلة مبسطة يستطيع أن يتبعها الباحث المبتدىء .

ويجدر بنا أن نشير منذ البداية أنه لاتوجد قواعد جامدة فى الالتزام بخطوات البحث الاجتمـاعى ، فطبيعة مشـكلة البحث قـد تملى بعض التغيرات فى ترتيب هذه الخطوات ، وفى أهمية كل منها حسب ماتتطلبه المشكلة البحثية من جهة ، والظروف التى يعمل الباحث فى ظلها من جهة أخـرى :

١ ـ اختيار موضوع البحث .

٢ ـ تحديد اطار البحث .

٣ ـ تحديد المفاهيم الاساسية المستخدمة فى البحث .

٤ ـ تحديد هدف البحث .

٥ ـ الاطلاع على البحوث السابقة وتحديد مصادر جمع البينات .

٦ ـ وضع الفروض .

٧ ـ تحديد مجال البحث .

٨ ـ وضع توقيت زمنى للبحث ومراحله .

٩ ـ تقدير الميزانية والامكانيات اللازمة للبحث .

١٠ ـ تحديد منهج البحث وأدوات جمع البيانات .

١١ ـ جمع البيـانات .

١٢ ـ المراجعة الميدانية والمكتبية .

١٣ ـ تفريغ البيانات .

١٤ ـ العرض البيانى والتحليل الاحصائى .

١٥ ـ التعميم وكتابة التقرير ٠

١٦ ـ المراجع المستخدمة وملاحق البحث ٠

والمتعمق لهذه الخطوات يستطيع أن يلمح على الفور أنها تنقسم الى خمس نقاط أساسية : تهتم الاولى بتحديد هدف البحث وتصل الثانية الى توضيح مجاله سواء أكان المجال البشرى أو الفنى أو الزمنى أو حجم العينة ٠

أما النقطة الثالثة فتضع فى اعتبارها تحديد الامكانيات الفنية والبشرية وتوقيتها حسب كل خطوة من خطوات البحث ، ابتداء من اختيار موضوع البحث وانتهاء الى توصيات ينتهى بها البحث من خلال مروره بخطوات أخرى تتمثل فى مراحل الاعداد والتنفيذ وعرض النتائج ٠ وتركز النقطة الرابعة على تحديد منهج البحث وأدوات جمع البيانات وذلك وفقا للمرونة المنهجية التى يتبناها الباحث ، حيث يختار من الوسائل والمناهج مايتلائم مع طبيعة موضوع الدراسة من ناحية ، ويتلائم كذلك مع أسلوب البحث المتبع من ناحية ثانية ، وما يتلائم أخيرا مع الظروف الاجتماعية والنفسية والبيولوجية والتاريخية التى تسيطر على الظاهرة موضوع الدراسة ٠ ومن هنا يبدأ تنفيذ البحث بمعنى جمع البيانات اللازمة بالطريقة التى تتحدد فى النقطة السابقة ، وجمع البيانات لايعنى تسجيلها دون تقدير مدى صحتها أو ثبات الادوات التى تجمع بها ، ولهذا تراجع البيانات المجمعة ميدانيا كما تراجع كذلك مكتبيا ، وفى الحالة الاولى تتاكد هيئة البحث من أن البيانات التى جمعت على جانب كبير من الصحة ٠

وهذا يعنى أن هيئة البحث تتشكك فى الباحث والمبحوث على السواء ٠ ولذلك تضع هذه الهيئة فى اعتبارها نسبة مئوية تعمم على أساسها البيانات أو النتائج التى يمكن استخلاصها ٠ ومعنى ذلك أيضا أن الباحث ربما لم يتلق تدريبا كافيا من أجله يتوحد مع غيره من الباحثين سواء فى طريقة القاء السؤال او تسلسل الاسئلة فى المقابلات الحرة المفتوحة أو حتى فى طريقة ابتداء مقابلته وتقديم نفسه للمبحوث ٠ ففى المراجعة الميدانية يطلب من باحث غيره أن يقوم باعادة استيفاء البيانات وتقارن البيانات التى يجمعها الباحث الجديد بالبيانات التى جمعها الباحث الاول ٠ ففى هذا ضمان

لعدم الشك فى أسلوب وطريقة وأمانة الباحث فى جمع بياناته ، ومن الناحية الاخرى فى هذا ضمان من المبحوث بالا تتغير اتجاهاته نحو الاستجابة لاسئلة محددة على أفضل تفاؤل أو أن يخدع الباحث ويزور فى الاجابة . وقد يكون هذا التزوير راجعا الى أحد أمرين اما تخوف المبحوث من الباحث حين يتخذ البحث صفة التحقيق الجنائى ، واما رغبة المبحوث فى التعاون المخلص مع الباحث فيجيب عن كل شىء كانه يحاول ارضاء الباحث لكنه لايعى شيئا عما يجيب .

وتظهر هذه المسائل فى البحوث المتعلقة بالرأى العام والاتجاهات والقيم ، رغم أنة تمكن الباحثون أخيرا من وضع مقاييس كمية بواسطتها يمكن تحديد مدى الاتجاه Attitude نحو مشكلة معينة أو التمسك بقيمة Value اجتماعية محددة ، هذا عن المراجعة الميدانية .

أما فى المراجعة المكتبية فيتاكد المراجع المكتبى من أن البيانات المطلوب استيفائها قد جاءت فى كشف البحث أو كشف المقابلة أو دليل المقابلة الحرة أو حتى دليل الملاحظات ، لانه كما نعلم عند استخدام الملاحظة أو المقابلة الحرة ينبغى أن يوضع دليلا يتضمن النقاط التى يجب استيفائها وخاصة اذا تعدد جامعى البيانات وتنوعت خبراتهم . ومن الناحية المقابلة تمهد المراجعة المكتبية للخطوة التالية من خطوات البحث ، أعنى مرحلة تفريغ البيانات . فان كانت المرحلة الثانية والمراحل الخمس التى نتحدث عنها قد حددت التفريغ الآلى للبيانات وفق الأمكانيات المادية والفنية ، فان المراجع المكتبى يقوم فى نفس الوقت الذى يراجع استيفاء البيانات ، بتبويبها ان لم تكن مبوبة ثم ترميزها تمهيدا للتفريغ الآلى للبيانات .

وان كانت المرحلة الثانية من مراحل البحث قد حددت التفريغ ليكون يدويا ، فعلى الباحث عند المراجعة المكتبية أن يحذف البيانات التى لاوجود لها فى كشوف التفريغ وأن يضيف متغيرات فى البنود التى يحددها البحث فى مرحلة تفريغ البيانات .

تتبقى اذن مرحلة عرض البيانات التى توصل اليها البحث بعد التفريغ . وأستطرد هنا فاقول ان كنا نعمل بطريقة تحليل المضمون أو اتباع أسلوب

آخر فى البحث سواء كنا بصدد دراسة موضوع كالقيم أو صراعها أو الاتجاهات أو دراسة الشخصية من خلال القصص أو تحليل الامثال العامية أو تحليل مضمون طرائق السلوك الشعبية أو الادب الشعبى ، فعند تفريغ البيانات يتخذ الباحث بنودا محددة لتكون أساسا مرشدا له ، من حيث تكرار عبارات محددة بالذات أو تكرار معنى محدد ، أو تكرار لفظة معينة ساء بالايجاب أو السلب لتحليل شخصية الكاتب . ومثل ذلك عند بحث القيم الاجتماعية سئل كل مبحوث أن يكتب أية قصة يعرفها أو يبتدعها فيما لايتجاوز ثلاث صفحات . وبعد ذلك فرغت بيانات هذه القصة فى جدول أعد خصيصا لوضع أو تحديد القيم الجمالية والاخلاقية والاقتصادية والدينية وغيرها . فكان على الباحث الذى يقوم بتحليل القصة أو تفريغها أن يعمل بطريقة الحزم أمام كل قيمة حددها البحث أو يحاول البحث أن يكشف عنها . وبمجموع هذه التكرارات تتحدد القيم ابتداء من ذات التكرارات العالية وانخفاضا الى أدنى منها .

وهذه المرحلة تحدد كيفية عرض البيانات سواء كانت عن طريق العرض البيانى التى سوف نشرحها ، أو الجداول . وهذا يستلزم تحليلا كيفيا نوعيا بعد العرض الكمى العددى . كما يستلزم تحليلا احصائيا سواء باستخدام مقاييس النزعة المركزية أو مقاييس التشتت . وعلى أساس النتائج وفى ضوء الملاحظات واستقراء الواقع ، يستطيع الباحث أن يعمم . لكن التعميم محكوم بنسبة معينة كما ذكرنا . وعند التعميم فعلى الباحث أن يقارن بين ماوصلت اليه دراسته من نتائج وماوصلت اليه دراسات أخرى سواء اتفاقا أم اختلافا . وتصاغ التعميمات مع تلك النتائج واضعين فى الاعتبار طريقة البحث وأسلوب المعاينة Sampling (العينة) وما الى ذلك عند كتابة تقرير البحث .

وينتهى البحث فى العادة بذكر أهم النتائج أو موجز التوصيات . وأخيرا على الباحث أن يضع فى خاتمة بحثه قائمة بمكتبة البحث . أعنى المراجع التى استخدمها حسب نوعيتها . وتصنف المراجع حسب موضوعات الدراسة أو تصنيف أبجديا . وان صنفت حسب موضوعات الدراسة ، فيجب

أن يكون التصنيف النوعى أبجديا كذلك • كما قد تصنف من الموضوعات العاملة الى الموضوعات المتخصصة الى الموضوعات الاكثر تخصيصا • وقد تصنف رابعا الى مراجع عامة ثم كتب متخصصة فى الموضوع ثم مقالات فى دوريات • ويلحق البحث بمجموعة الملاحق التى قد تكون صورا أو خرائط أو جداول أفيد منها عند التحليل ، كما ترفق كذلك صورة من استمارة البحث أو دليل المقابلة وما الى ذلك من ملاحق هامة •

الفصل الثالث

مشكلة البحث الاجتماعى وتحديدها

أولا : نوعية المشكلات الصالحة للبحث الاجتماعى ٠

ثانيا : مصادر مشكلات البحث الاجتماعى ٠

ثالثا : تحديد مشكلات البحث الاجتماعى ٠

مشكلة البحث الاجتماعى وتحديدها(*)

تمهيــــد :

أشرنا فى الفصل السابق الى خصائص وخطـوات البحث الاجتماعى وقلنا أن البحث يبدأ بسؤال فى ذهن الباحث ، أو يبدأ البحث بعقل متسائل وتواق الى الحقيقة والمعرفة فى وجود وقائع محيرة ومشكلة . وهذا معناه أنه لابد من وجود مشكلة ما تثير فى ذهن الباحث التساؤل أو التساؤلات التى يبدأ بها بحثه ، كما أن هذا يعنى أنه اذا كان علينا أن نتناول عملية البحث الاجتماعى بالتحليل والتوضيح ، وأن نبين كيفية تصميم البحث واجراؤه وتنفيذه فانة من المنطقى أن نبـدأ حديثنا فى هذا الصدد بمشكلة البحث الاجتماعى وكيفية تحديدها ، وذلك قبل أن نفكر فى وضع خطة البحث ، وتحديد البيانات اللازمة ، والاجراءات المنهجية المناسبة،والمجتمع أو العينة الملائمة ، وقبل جمع البيانات وتصنيفها وتحليلها وتفسـيرها أو كتابة أى تقرير بشانها ، طالما كان تصورا للتصميم المنهجى المناسب للبحث يتوقف على معرفة هدف هذا البحث ، أو نوعية وطبيعة المشـكلة التى يقدم على معالجتها .

ولعل أول ما يصادفنا فى الحديث عن مشكلة البحث ، ذلك الخط الذى قد يعلق فى ذهن البعض ، بين مشكلات البحث والمشكلات الاجتماعية على الرغم مما بينها من أختلاف . ذلك لان المشكلة الاجتماعية عبارة عن موقف يتطلب معالجة اصلاحية وينجم عن ظروف المجتمع أو البيئة الاجتماعية ،

(*) اعد هذا الفصل أ.د على جلبى .

ويستلزم تجميع الوسائل والجهود الاجتماعية لمواجهته وتحسينه(١) . أما مشكلة البحث فهى عبارة عن موضوع يحيط به الغموض ، أو ظاهرة تحتاج الى تفسير أو قضية موضع خلاف(٢) أو سؤال يحتج الى اجابة وعن طريق البحث الاجتماعى نستطيع الوصول الى مثل هذه الاجابة ، فضلا عن البون الواضح والشائع بين مشكلة البحث والمشكلة الاجتماعية ،فانه يمكن أن تكون المشكلة الاجتماعية من بين مشكلات البحث الاجتماعى لذلك فالاخيرة أوسع وأعم من المشكلات الاجتماعية وليس العكس وذلك فى ضوء الخصائص التى يمكن أن تتميز بها المشكلات الصالحة للبحث الاجتماعى ، والتى توضح نوعية هذه المشكلات ، ولذلك شنخصص جانبا من هذا الفصل لمعالجة نوعية المشكلات الصالحة للبحث الاجتماعى ، ثم ننتقل بعد ذلك الى الحديث عن المصادر التى يمكن أن نستخلص منها أو نجد فيها مشكلات البحث الاجتماعى التى تثير التساؤل وتحتاج الى تفسير ونختتم هذا الفصل بالحديث عن كيفية تحديد مشكلة البحث الاجتماعى ، والمتطلبات المنهجية التى لابد منها وحتى يتسنى أستنادا اليها السير فى خطوات البحث الاجتماعى بعد ذلـــك .

أولا ـ نوعية المشكلات الصالحة للبحث الاجتماعى :

يجد كثير من الطلاب والدارسين صعوبة فى فهم طبيعة المشكلة التى يمكن اعتبارها صالحة للبحث الاجتماعى . وهذا يرجع فى جانب منه الى أنهم لم يفهموا طبيعة البحث الاجتماعى ذاته وعلى حقيقته . فلقــد سبق أن اشرنا الى أنهم قد يظنون أن مجــرد نقل أى مجموعة من المعلــومات ووضعها فى صورة مقال مكتوب تعد من قبيل البحث . غير أن هذا معناه أنهم يعتبرون النشاط أولا وقبل كل شىء ـ سواء اكان جمع بيانات أو ايجاد علاقة أو مضاهاة بين الجماعات أو المقارنة بين انجازهم ـ يعتبرونه بمثابة العنصر الاصلى بل هو البحث ذاته . والواقع أن احد هذه الاوجه للنشاط

(1) Farichild, Dictionary of Sociology, N., Y, 1944, p. 289.

(2) L. ripple, Problem Definetion and Formulation, in Polansky Social Work Research.

لا تعد بمثابة بحثا كما أن المشكلة التى تبنى كلية حول هذه الاوجه للنشاط لا تعتبر بمثابة مشكلة صالحة للبحث • ذلك لان البحث باعتباره تطبيقا للمنهج العلمى ، أكثر من مجرد نشاط يقوم به الباحث •

وطالما كان البحث يتطلب عقلا مستفسرا أثناء تنقيبه عن الوقائع وحتى بعد جمعها فانه يقــوم بالكشف عن معنى هذه الوقــائع والتعبير عنها فى نتيجة واحدة • وكذلك يقال أنه عندما لا يكون هناك مجال لنضال فكرى يفرض على الواقع أن تكشف عن معــانيها ، فانه لا يكون هناك بحثا • والا أصبح البحث عملا تستطيع الآلة القيام به • وبناء على ذلك يمكن القول أن النشاط الذى ينتهى بمجرد التوصل الى معامل الارتباط بين مجموعة من المعطيات لا يعد بحثا ، لان هذا ما يستطيع الحاسب الآلى القيام به وأن التوصل الى وجود معامل ارتباط بين مجموعتين من المعطيات قدره ٨٢ر٠ مثلا ، ما هو مجرد خطوة على طريق البحث • لانه يــؤكد لنا فقط أن هناك ارتباطا بين هاتين المجموعتين من البيانات ، ولكنه لا يجيب على كل ما يمكن أن يثيره هذا الارتباط من تساؤلات مثل : ما هى طبيعة هذه العلاقة ؟ وما هو السبب الرئيسى لها ؟ فالاجابة على هذه التساؤلات معناها تقديم تفسير لما يعنيه الارتباط المذكور، الامر الذى يتطلب نوعا من الصراع الفكرى الذى يجعل ذهن الباحث يدخل فى معركة مع الحقائق الملحوظة ، أملا فى الكشف عن دلالة ومغزى هذه الوقائع المعبرة عن الارتبــاط وهذا ما لا تستطيع الآلة أن تقوم بــه(١) • واستنادا الى فهمنــا لطبيعة البحث الاجتماعى على هذا النحو نستطيع التقــدم نحو بيان نوعية المشكــلات الصالحة للبحث الاجتماعى :

١ ــ ليست المشكلات التى يمكن الاجــابة عليها بنعم أو لا مشكلات مناسبة للبحث : ذلك لان مواقف نعم أو لا لاتترك أى مجال لتفسير المعطيات، بقدر ماتتطلب عادة مقارنة المعطيات بمعيار أو مستوى معروف ثم اتخاذ قرار مباشر بشأنها • ومثال ذلك التساؤل : هل الجو بارد فى الخارج ؟ قد

---

(1) Paul, D. Leedy, Practical Research, Op. Cit., pp. 46-47.

ننظر فى الاجابة عليه الى الدرجة التى سجلها الترمومتر كمعيار معروف ، وتقرأ الدرجة ٢٠° ، ثم تتخذ قرارا مباشرا ، نعم أن الجو بارد فى الخارج. ولما كانت المشكلات التى يمكن الاجابة عليها بنعم أو لا تقف عند حد المستوى السطحى أو الظاهر ، ولا تتجاوزه الى الاعتبارات التى تكمن على المستوى الاكثر عمقا والذى قد يفسح مجالا للتفسير ، فانها لا تعد من قبيل المشكلات الصالحة للبحث . ولذلك ليس هناك فى السؤال «هل العمل المنزلى مفيد للاطفال ؟» مشكلة تصلح للبحث . لانه أيضا سؤال يغفل النقطة المحورية فى الموضوع ،فليس محور الموضوع ما اذا كان العمل المنزلى مفيد أم لا . انما القضية التى يمكن اخضاعها للبحث ، هى أين تكمن فائدة العمل المنزلى ؟ اذا كان كذلك أو اذا لم يكن العمل المنزلى مفيدا ، فلماذا هو كذلك ؟ بحيث يتخلل البحث فيما ورء المسائل السطحية والتى تحتاج الى تفسير ، وبحيث انه عندما يهتم الباحث بفهم أسباب موقف معين أو الفروق الكيفية التى تميزه عن موقف آخر ، فانه عندئذ يدخل فى ذلك النطاق من المشكلات التى يصلح أن نطلق عليها أسم البحث(١) .

٢ ـ لا تعد مشكلات المقارنة بمثابة مشكلات صالحة للبحث : ذلك لان المقارنة البسيطة فى ذاتها لا لايمكن أن تكون غاية الجهد الذى يبذل فى البحث . وأن المقارنات تمثل خطوات وسيطة فقط فى ترتيب المعطيات من أجل عرضها على ذهن الباحث بطريقة تساعده على ملاحظتها وادراك أوجه الشبه والاختلاف بينها ، وتعينه فى البحث عن الاسباب التى تستند اليها الطبيعة المغايرة والمماثلة لهذه الوقائع . فاذا قلنا مثلا فى أحد البحوث أننا نريد المقارنة بين ظاهرة الارتداد عن النظام السياسى فى ألمانيا الشرقية خلال العشر سنوات من ١٩٥٠ حتى ١٩٥٩ ، وبين مثيلتها خلال العشر سنوات من عام ١٩٦٠ حتى عام ١٩٦٩ . فما عليك الا أن تضع قائمتين اثنتين من الاعداد ، الاولى توضح عدد المرتدين فى العشر سنوات الاولى والثانية توضح عدد المرتدين فى العشر سنوات التالية ، وقد تعتقد بهذا أنك قد أخذت مشكلة للبحث ، وأنك قد أنتهيت من حلها مكتفيا

---

(1) Ibid., pp. 47-48.

بالمقارنة بين الفترتين أستنادا الى الاعداد المتوفرة • واغفلت بهذا ضرورة أن يتخلل البحث فيما وراء هذه المسائل السطحية والتى تحتاج الى تفسير(١) •

٣ ـ المشكلات الصالحة للبحث هى التى يشعر الباحث بأهميتها من وجهة نظره : ذلك لانه من بين ما يدفع الى البحث هو وجود مشكلة يشعر بها الباحث ويقدر أهمية دراستها والبحث عن حل لها ، ولانه بقدر مايكون للمشكلة اهمية بالنسبة له ، بقدر ما يزيد لديه الحافز الذى يدفعه الى التفكير فى جوانبها المختلفة ، ويساعده على المثابرة فى تحليل أبعادها المتباينة ، ويجعله يستمر فى تحمل المشاق التى يحتمل أن تواجهه فى دراستها •

٤ ـ المشكلات الصالحة للبحث هى التى يشعر الباحث بأهميتها للمجتمع الذى يعيش فيه • ذلك لانها جاءت فى الوقت المناسب ، أو لان لها صلة بمشكلة عملية فى الحياة اليومية ، أو تخص السواد الاعظم من الناس فى المجتمع ، و تخص جمهور منهم له تأثيره ووزنه ، أو لها نتائج كثيرة فى مجال أوسع من المشكلات الملحة فى المجتمع(٢) • ولانه بقدر مايكون للمشكلة اهمية بالنسبة للمجتمع أو الناس المحيطين بالباحث من أحد هذه الجوانب ، بمقدر ما يضمن تعاونهم وأتاحة المناخ الملائم لاجراء دراسته ، ومد يد العون المادى والمعنوى له وتوفير الامكانيات التى يحتاج اليها فى البحث •

٥ ـ المشكلات الصالحة للبحث هى التى يشعر الباحث بأهميتها للعلم والتخصص الذى ينتمى اليه : ذلك لانها قد تسد ثغرة فى نتائج البحث فى هذا العلم ، أو تسمح بتعميم النتائج القائمة الى مستوى أكثر تجريد ، أو تصقل تعريف احد المفهومات الهامة ، أو تبرهن عن وجود علاقة بين

---

(1) Ibid, p. 48.

(2) D. C. Miller, Hand Book of Research Design and Social Measurement, David McKay Comp. Inec N. Y., 1964, p. 3.

معطياته ، أو تطور من الملاحظة وتحسن من تحليل المعطيات ، أو توفر فرصة لجمع معطيات معينة تتيح أمكانية ظهور اكتشافات مثمرة فى نطاق هذا العلم أو التخصص(١) • وبناء على أهمية المشكلة بالنسبة للعلم والتخصص الذى ينتمى اليه الباحث من أحد الجوانب السابقة ، يزيد من عائدا وآثارا ونتائج دراسة هذه المشكلة على تقدم البحث العلمى فى نطاق هذا العلم والتخصص ، ويرفع من مكانة الباحث بين زملائه فى هذا التخصص •

٦ ـ المشكلات الصالحة للبحث هى التى يتوافر لها الامكانيات اللازمة : اذ يفترض أن يكون الباحث مدركا للحقيقة القائلة بأن اجراء البحث يحتاج الى امكانيات عديدة ومتنوعة ، وكذلك فان المشكلة الصالحة للبحث هى المشكلة التى يتوفر لها الامكانيات اللازمة والتى تساعد على الاستمرار فى دراستها والتوصل الى حل لها • فالواقع أن اجراء البحث يحتاج الى وقت وجهد ونفقات ، ولابد أن يتأكد الباحث من أنه سيجد الوقت اللازم لتناول مشكلة بحثه • وأنه يستطيع أن يبذل الجهد المطلوب لها ، ويجد جهد الآخرين الذين قد يحتاج اليهم فى جمع البيانات، وتفريغها ومعالجتها احصائيا على الحاسبات الالكترونية أو غيرها ، وأنه سيحصل على النفقات الضرورية لتوفير المراجع العلمية التى تضم الكتابات السابقة حول مشكلة البحث وتعينه على الوقوف على جوانبها المختلفة ، وأنه سيتوفر له تعاون مجتمع البحث ، والمبحوثين فى اتمام البحث ومده بالبيانات التى تلزمه فى هذا البحث •

ثانيا ـ مصادر مشكلات البحث الاجتماعى :

وقد يقع الباحث فى حيرة وتردد وهو يخطو أول خطوة له فى عملية البحث ، ذلك لانه قد يجد من الصعوبة الاجابة على السؤال : أين توجد مشكلات البحث الاجتماعى ؟ أو ما هو النطاق الذى يمكن أن يمدنا بمثل هذا النوع من المشكلات ؟ وهل الباحث حر فى أختيار مشكلة بحثه من أى نطاق ؟ أم أن هناك حدودا للاختيار لايجب عليه أن يتعداها أو يتجاوزها ؟

---

(1) Ibid, p. 3.

والواقع أن الامر لا يستدعى هذه الحيرة والتردد اذا علمنا :

أولا : أن مشكلات البحث قد توجد في كل مكان ، واينما تمعن النظر في العالم المحيط بك تجده مفعما بالمشكلات التى يمكن بحثها . ومهما كان مثار اهتمامك مصدر حبك للاستطلاع وأساس طرحك للاسئلة التى لم تجد أجابة لها أو التى لازالت الاجابة حولها مثارا للجدل والمناقشة ، فانك قد تجد أرضا خصبة للمشكلات التى يمكن اجراء بحوث حولها . أن الانسان لم يقل بعد كلمته الاخيرة في معظم المسائل التى لها أهمية في نظره . كما أن أى قطاع في الحياة أو أى ظرف في العالم الذى يحيط بك ، أو أية ظاهرة تقع أمامك أو أى حدث يمر أمام عينيك فانها تنطوى على مشكلات لاحصر لها تستدعى أهتمام الباحثين(١) .

ثانيا : أن الباحث ليس حرا في أختيار مشكلة بحثه من أى نطاق وانما هناك حدود للاختيار لايجب عليه أن يتعداها أو يتجاوزها . ذلك أن الباحث لا يستطيع أن يختار مشكلات بحثه من بين تلك التى تقع خارج مجال اهتمامه أو بعيدا عن نطاق ميدان تخصصه الذى ينتمى اليه .

وكل ماهو مطلوب منك بعد ذلك أن تذهب الى المكتبة وتقوم بفحص أية مجلد يضم ملخصات البحوث التى أجريت في نطاق الميدان الذى يهمك ، وستشعر مرة واحدة كيف أن عالم الحياة اليومية وعالم البحث يتدخلان ويتشابكان . وتدرك في الوقت نفسه ، وبعد مثل هذه التجربة ، أن كل ما تحتاجه للتغلب على ماقد يعترضك من حيرة وتردد عند التفكير في أختيار مشكلة البحث هو النظر الى مجال اهتمامك وميدان تخصصك نظرة فاحصة ومتانية ، فتستطيع بعدها تبين نوعية المشكلات الصالحة للبحث .

ولقد حاول البعض تسهيلا لعملية البحث الاجتماعى واختيار مشكلته حصر مصادر مشكلات البحث الاجتماعى وتصنيفها الى أربعة ميادين هى : ميدان المشكلات الاجتماعية ، ثم ميدان النظم الاجتماعية ، وميدان المجتمعات المحلية وأخيرا ميدان النظريات الاجتماعية(٢) . وعندما وجد

---

(1) P. D. Leedy, Op. Cit.

(2) M. Stacey, Methods of social Research.

فريق ثان من الباحثين أن هذا الحصر لمصادر مشكلات البحث الاجتماعي ليس شاملا فى نظرهم ذهبوا فى أجابتهم على السؤال : من أين تجىء مشكلات البحث الاجتماعى ؟ الى أن هناك على الاقل ثلاثة مجموعات كبرى من المراقف المشكلة التى تؤدى الى قيام البحث الاجتماعى ، يمكن تصنيفها فى ثلاثة فئات هى : مشكلات السياسة وتعنى بها مشكلات الحياة اليومية فى المجتمع ، ثم مشكلات الفلسفة الاجتماعية أو المشكلات التى يطرحها الفلاسفة والمفكرون والصحفيون ومحبى الفنون وغيرهم ٠ والتى برغم أنها تتميز بطبيعتها الشاملة وتجاوزها نطاق العلم الاجتماعى ، الا أنها تثير البحث الاجتماعى وتحفزه ، وأخيرا المشكلات الاساسية لتنمية العلم الاجتماعى بأعتباره نظاما فكريا ، وهى ذلك النوع من المشكلات التى تتمثل فى أختبار الفروض النظرية وأعادة صياغتها أو تطويرها استنادا الى ما يعرف باسم التجربة الحاسمة(١) ٠

ويضيف فريق ثالث من الباحثين الى محاولات تصنيف مصادر مشكلات البحث الاجتماعى السابقة ، بهدف تسهيل عملية البحث الاجتماعى واختيار مشكلته ، وجهة نظر أخرى تشير الى أن هناك مجموعة متباينة من المصادر التى يمكن أن نستقى منها مشكلات البحث الاجتماعى ، يمكن ردها الى مجموعة الفئات التالية : الخبرات الفردية والتخمينات وقيم الباحث واهتماماته ومعتقداته وميوله ، والمحادثات الشخصية وتبادل وجهات النظر بين الباحثين ، ثم التراث المكتوب من كتب ومجلات ، ونتائج البحوث ، وأخيرا النظريات(٢) ٠

والواقع أنه يمكن أستنادا الى هذه المحاولات السابقة فى تصنيف مصادر مشكلات البحث الاجتماعى ، وأسهاما منا فى تسهيل عملية البحث الاجتماعى وأختيار مشكلته أن نلخص هذه المصادر ونردها الى فئتين

---

(1) J. Bymer & R. M. Stribley, Social Research, Principles and Procedures, Longman, Open, Univer, N. Y., 1979, pp. 46-52.

(2) S. Labovitz, & G. Hagedorn, Introduction to Social Research, See. ed., McGraw-Hill, Book Company. N. Y., 1971, p. 24,

أثنتين ، نطلق على الفئة الاولى ، أسم المصادر الذاتية ، ونعطى الفئة الثانية اسم المصادر الموضوعية . على الا يفهم من هذا التصنيف انه يمكن الفصل تماما بين مصادر مشكلات البحث الاجتماعى فى الواقع ، وانما كل ما نهدف اليه من هذاالفصل هو مجرد الشرح والتفصيل تسهيلا لعملية الفهم.

١ - المصادر الذاتية لمشكلات البحث الاجتماعى :

وتضم مجموعة المصادر التى تعبر عن ذات الباحث وارادته ، والتى تتمثل فى خبراته الفردية والعلمية وقدراته على الحدس والتخمين والبداهة، وقيمه الخاصة فى البحث والحياة واهتماماته ومعتقداته وميوله ومطامحه وما يثيره من مناقشات مع غيره من باحثين .

أ) الخبرات الفردية والعلمية :

تعتبر الخبرة الفردية والعلمية التى يتمتع ويتميز بها الباحث فى مقدمة المصادر التى تمده بمشكلات البحث الاجتماعى ، وكلما أتسعت دائرة هذه الخبرة وتدعمت من خلال الممارسة والملاحظة لموقف الحياة الاجتماعية المتباينة ، ومن خلال الاحتكاك بالدوائر العلمية فى البحث والمناقشة ، ومخالطة الباحثين فى نفس التخصص فى المناسبات العلمية والمؤتمرات ، وكذلك من خلال الاطلاع باستمرار ومتابعة آخر التطورات فى نتائج الجهود العلمية فى ميدان التخصص،كما توفر للباحث مصدرا خصبا لمشكلات الباحث الاجتماعى ، لا يتوفر لغيره من الباحثين الاقل فى الخبرة والدراية بهذه المجالات(١) .

ب) القيم والاهتمامات والميول والمطامح الشخصية :

وتنمو لدى الباحث استنادا الى خبراته الفردية والعلمية ، مجموعة من القيم الخاصة والاهتمامات والميول والمطامح الشخصية ، التى تثير بدورها مجموعة أخرى من مشكلات البحث ، وتعد بالتالى مصدرا خصبا لمشكلات البحث الاجتماعى فاذا كان الباحث يهتم مثلا بالنسق الديموجرافى

(1) Ibid, p. 24.

ويعتقد أنه أفضل الانساق الاجتماعية فانه قد يميل نتيجة لذلك الى أختبار الفرض القائل بأن الجماعة الاجتماعية القائمة على أسس ديموجرافية يزيد مستوى أدائها وقيامها بالواجبات ، أو يعلو الولاء بين أعضائها ، باعتبار هذا الفرض نوعا من أنواع المشكلات الصالحة للبحث الاجتماعى .

جـ) القدرة على الحدس والبداهة والتخمين :

كما قد تسهم الخبرة الفردية والعلمية للباحث فى تنمية قدراته على الحدس والبداهة والتخمين وهذه الاخيرة تعد بدورها مصدرا أساسيا لاشتقاق الفروض العلمية ، التى لا تخرج عن كونها مجرد تخمينات أو حلول مقترحة أو تفسيرات مبدئية تحتاج الى أختبار أو دراسة ، ومن ثم فان هذه القدرات تعد مصدرا آخر يضاف الى المصادر الذاتية لمشكلات البحث الاجتماعى(١) .

٢ ـ المصادر الموضوعية لمشكلات البحث الاجتماعى :

وهى مجموعة المصادر الخارجة عن ذات الباحث وأرادته ، والتى تتمثل فى التراث المكتوب والذى يضم الكتابات التاريخية والادبية والفلسفية ثم نتائج البحوث الاجتماعية السابقة فى ميادين وفروع علم الاجتماع المختلفة ، ثم أخيرا النظريات الاجتماعية .

أ) الكتابات التاريخية والادبية والفلسفية :

ليست المراجع العلمية فقط هى التى توحى للباحث بافكار جديدة بل أن الكتابات التاريخية والادبية والاصلية بما تحتويه من وصف حساس ودقيق لميدان خصب لمشكلات البحث الاجتماعى التى تصلح للدراسة(٢) . ورغم أن الباحث الاجتماعى لا يهدف بالطبع الى استعمال كل الاوصاف البشرية التى تزخر بها هذه الاعمال التاريخية والادبية الشهيرة الا أنه قد يجد فى عالم الادب والتراث التاريخى أفكارا موحية عديدة تشير الى

---

(1) Ibid, p. 25.

(٢) دكتور جمال زكى والسيد يس ، البحث الاجتماعى : دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ص ٩٥ .

متغيرات هامة فى مواقف الحياة الاجتماعية ، تثير التساؤل وتستدعى البحث والدراســـــة .

كما تنطوى الكتابات الفلسفية على مجموعة من التساؤلات والمشكلات التى طرحها الفلاسفة والمفكرون والصحفيون ومحبى الفنون وغيرهم والتى على الرغم من أنها تتميز بالشمول وتجاوزها نطاق ادراك العلم الاجتماعى الا أنها تثير البحث الاجتماعى وتحفزه ومع أن هذه المشكلات الفكرية قديمة قدم الفكر الانسانى ذاته ، الا أن معالجتها فى ضوء المناهج العلمية الجديدة يثرى وينمى معرفتنا ، ولهذا اعتبرت هذه الكتابات مصدرا خصبا لمشكلات البحث الاجتماعى(١) .

ب) نتائج البحوث الاجتماعية السابقة :

اذ ينطوى ميدان التخصص فى العلم الاجتماعى على عديد من الفروع التى تزايد فيها البحث ، وانتهت الى ركام ضخم من النتائج والتى يمكن اعتبارها من أكثر المصادر الموضوعية أهمية لمشكلات البحث الاجتماعى . ومن بين فروع علم الاجتماع على سبيل المثال لا الحصر ، الاسرة والاقتصاد ، والثقافة والقيم ، والسكان ، والسياسة ، والطبقات ، والجماعات ، والتنظيم ، والمدينة ، والقرية ، والتنمية ، والصناعة ، والنظم ، والتغير والمشكلات ، والانحراف ، ... الخ .

ولقد اقتصر بعض الباحثين فى محاولته بيان كيف يمكن اعتبار ميادين علم الاجتماع مصدرا خصبا لمشكلات البحث الاجتماعى ، على نتائج البحث فى المجالات التالية(٢) :

المشـــكلات الاجتماعية :

وهى التى تتمثل فى انحراف السلوك الاجتماعى عن القواعد والمعايير التى يحددها المجتمع للسلوك الاجتماعى الصحيح ، والتى يكون للمجتمع

(1) J. Bymer & K. M. Stribley, Social Research, Op. Cit., pp. 49-51.
(2) M. Stacey, Methods of Social Research, Op. Cit,

رد فعل نحوها يتراوح بين مجرد الاستنكار واللوم ، وقد يصل الى حد العقاب الرادع(١) .

وتأخذ المشكلات الاجتماعية صورا متعددة ، فقد تتراوح المشكلات الاجتماعية بين البساطة كخروج بعض الاشخاص فى سلوكهم عن المألوف وعدم مراعاة الذوق ، وبين الشدة والتفاقم مثل صور السلوك الانحرافى والجريمة المختلفة ، وعموما يواجه المرء فى حياته الخاصة وأثناء معيشته فى الاسرة ، وكذلك فى حياته العامة فى الدراسة والعمل وغيرها كثيرا من المشكلات الاجتماعية ويتخذ من بينها موضوعا لبحثه ، بناء على أدراكه واحساسه بهذه المشكلة وبأهمية دراستها ، أو بناء على ادراك ومعاناة الناس ومجموعاتهم من هذه المشكلة ، أو بناء على ادراك السلطة والحكومة بوطأة هذه المشكلات وضرورة البحث عن حل لها حتى يتسنى لها أن تغير من ظروف المجتمع الى نحو أفضل .

وهكذا يعتبر مجال المشكلات الاجتماعية نطاقا خصبا يستطيع الباحث الواعى والمدرك لظروف مجتمعه أن يختار من هذا المجال واحدة من المشكلات ويتخذ منها موضوعا لبحثة .

وبامكاننا فى هذا الصدد أن نشير الى نماذج من المشكلات الاجتماعية التى يمكن أن يتخذ منها المرء موضوعا لبحثه .

فعلى مستوى الفرد يمكن أن نشير الى مشكلات الخلل العقلى والانتحار والدعارة والاقبال على تعاطى المخدرات والمسكرات وسوء التكيف الفردى، وعلى مستوى الجماعة ، يمكن أن نذكر مشكلات التفكك الاسرى من توتر وطلاق وعدم توافق زواجى ، ومشكلات جماعات العمل وتفكك العلاقات بين أفرادها وعلى مستوى المجتمع ، يمكن أن نذكر مشكلات تفكك المجتمعات المحلية ، حضرية وقروية ، من المناطق المتخلفة والاسكان والمواصلات وغيرها ، والازمات السكانية والتمييز العنصرى وكوارث الحرب والصراع الدولى وهكذا ...

---

(١) دكتور محمد عاطف غيث ، دراسات فى علم الاجتماع التطبيقى ، دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٢ ، ص ٤٤ .

النظم والعمليات الاجتماعية :

وقد يختار الباحث مشكلة بحثه من مجال النظم الاجتماعية أو العمليات ، وذلك بهدف التعرف على الكيفية التى تعمل بها هذه النظم أو الميكانيزم الذى يحكم هذه العملية أو تلك فى المجتمع أو داخل أى اطار اجتماعى آخر والواقع ان التمييز بين النظم الاجتماعية والعمليات يقوم على أساس النظر الى النظام الاجتماعى باعتباره يمثل مجموعة من القواعد والمعايير التى يستعين بها مجموعة من الافراد ويعتمدون عليها فى توجيه جانبا من جوانب حياتهم ٠ أما العملية الاجتماعية فهى تمثل تلك العلاقات التى تتسم بالديناميكية والتى تعمل اما على تجميع أو تفرقة أعضاء الجماعة أو غيرها من صور الحياة الاجتماعية ٠

ومن أمثلة النظم الاجتماعية ، يمكن أن نشير الى الاسرة والاقتصاد والطبقات والتدرج الاجتماعى وغيرها ، ويمكن أن نشير الى عمليات التغير الاجتماعى والتكيف والتنافس والتوافق والصراع وغيرها كأمثلة على العمليات الاجتماعية ٠

المجتمعات المحلية «القروية ـ الحضرية» :

وقد يختار الباحث مشكلة بحثه من مجال المجتمعات المحلية ،او يجعل بحثه مركزا حول دراسة مجتمع محلى معين ككل Community ،ويقصد به مجموعة من الناس يعيشون فى بيئة محددة ، وينتمون الى نسق اجتماعى معين قد يغلب عليه الطابع الحضرى ، بحيث ينصرف اهتمام الباحث فى هذه الدراسة الى معرفة الجوانب المختلفة لحياة الناس فى هذا المجتمع المحلى ، أو الى التعرف على العناصر المكونة للبناء الاجتماعى لهذا المجتمع المحلى ، ومكونات ثقافته ، والكيفية التى تترابط بها هذه المكونات وتتساند معا فى تكوين كلا متكاملا ، أو حتى الكيفية التى لا تترابط بها هذه المكونات والنتائج المترتبة على هذا التفكك وهكذا ٠٠٠

أو قد يجعل الباحث مشكلة بحثه محصورة فى دراسة النظم الاجتماعية أو العمليات المختلفة التى توجد أو تظهر فى مجتمع محلى معين منها ٠

كأن يهتم الباحث بدراسة نظام الاسرة فى الريف أو الحضر ،من حيث أنماطه ووظائفه ومشكلاته ، أو يحدد بحثه فى تناول عمليات الصراع بين العمال والادارة فى مصانع مجتمع المدينة ، أو فى التعاون بين الفلاحين فى مجتمع القرية وهكـــذا(١) ٠

ولكن السؤال الذى يثار هنا هو : أى نوع من نتائج البحـوث السابقة يمكن أن يصلح أكثر من غيره كمصدر لمشكلات البحث الاجتماعى ؟ وقـد يكتفى البعض فى اعتماده على نتائج البحوث السابقة واختياره مشكلة بحثه من نطاقها ، بمجرد تجميع أى عدد من النتائج السابقة المرتبطة بموضوع معين ، ويحدد مشكلة بحثه فى القيام باختيار صحة هذه النتائج فى موقف جديد من حيث الزمان والمكان ، وهو موقف البحث الذى يجريه بمعرفته ، غير أنه كلما كانت نتائج البحـوث السابقة التى يتخـذها الباحث مصدرا لمشكلة بحثه ، تتميز بأنها نتائج متسقة أو غريبة أو غير متوقعة ، كلما ساعد ذلك فى أن تكون لدراسته أهمية كبيرة نظرا لما قد تسهم به هذه الدراسة من تطوير واضافة أفكار جديدة أو اكتشافات مثمرة ٠

فلقد أدى اعتماد دور كايم على النتائج المتسقة حول ظاهرة الانتحار الى بلورة نظريته حول اثر التكامل الاجتماعى أو تضـامن الجماعة على اختلاف معـدلات الانتحار ٠ وأن هـذه المعدلات تختلف اختـلافا عكسيا باختلاف درجة التكامل أو التضامن الاجتماعى ٠

كما أدى اعتماد روبرت ميرتون على النتائج الغريبة فى دراسته لمدينة كرافتاون الى اضافة فكرة جديدة توضح أن الادراك يعتمد على بناء العلاقات الانسانية فى المجتمع ٠

وأدى اعتماد ستوفر على النتائج غير المتوقعة فى دراسته للجندى الامريكى

---

(١) دكتور غريب سيد أحمد ، ودكتور عبد الباسط محمد ، البحث الاجتماعى ، الجزء الثانى ، التصميم والاجراءات ، دار الجامعات المصرية ، ١٩٧٥ صص ٥٨ ـ ٥٩ ٠

الى أكتشافات مثمرة تتعلق بنسبية المفاهيم والتصورات وأختلافها باختلاف الجمـــــاعات(١) .

جـ) النظريات الاجتماعية :

ويكمن المصدر الموضوعى الثالث لمشكلات البحث الاجتماعى فى التساؤلات التى قد تثيرها القضايا النظرية المتراكمة من قبل ولهذا النوع من التساؤلات والمشكلات أهميته ودلالته بالنسبة لميدان التخصص كنظام فكرى ، ذلك لانه يسهم فى تنميته وتطويره ، كما قد يكون له أهميته ودلالته بالنسـبة لحل مشكلات الحياة اليـومية فى الواقع . وينشأ هذا النوع من المشكـلات عن الاختلاف بين القضايا النظرية القائمة وبين نتائج البحوث المرتبطة بها ، أو عن التغيرات التى يمكن أدراكها فى البناء النظرى ، أو عن تعثر البرهان الامبيريقى فى تدعيم القضايا النظرية المقبولة ويتطلب اشتقاق مشكلة للبحث بالتركيز على النظرية وعلى الشواهد أو النتائج المتوفرة فى تراث البحث الاجتماعى حولها ، ويكشف عن الاتفاق والاختلاف أو عن التغيرات أو عن عجز الشواهد الامبريقية عن دعم القضايا النظرية ويقوم بعد ذلك بتوسيع وتطوير البناء النظرى فى ضوء المعطيات الجديدة التى قد يتوصل اليها من خلال ملاحظاته ودراساته الواقعية والامبيريقية(٢) .

ومع هذه الاهمية التى تعلق على مشكلات البحث المستقاة من النظرية ، قد يكتفى الباحث فى هذا الصدد ، بأن ينتقى فرضا واحداً أو نتيجة عامة أو تعميم من نطـاق نظرية من نظريـات العلم الذى يتخصـص فى دراسته ، ويحاول أن يجعل منه مشكلة لبحثه ، ويجتهد فى التحقق من صحته أو عدم صـحته .

والواقع أن تقسيم مصـادر مشكـلات البحث الاجتماعى على النحـو السابق ، الغرض منه محاولة فهم هذه المصادر وتوضـيح جوانبها ، وهو تقسيم لا يقوم فى الواقع الفعلى ، ذلك لان هذه المصادر متداخلة بعضها مع

---

(1) S. Labovitz & Hagedorn Introduction to Social Research Op. Cit., pp. 24-25.

(2) J. Bymer & K. M. Stribley, Social Research, Op. Cit., pp. 50-51.

البعض الآخر لدرجة أن المشكلة الواحدة التى قد يختارها الباحث لدراسته، يمكن أن تقع فى أكثر من مصدر فى وقت واحد فاذا اختار الباحث وفى ضوء خبرته وميله واهتماماته وحدسه مشكلة التصدع الاسرى فى الحضر فانه بذلك يكون قد اختار مشكلة استخلصها من المصادر الموضوعية والذاتية فى الوقت نفسه ، لانها تقع فى نطاق المشكلات الاجتماعية (تصدع الاسرة) والنظم (الاسرة) والمجتمعات المحلية (المدينة) وفى نطاق النظرية وذلك لانه يمكن له بناء على دراستها اختبار نتيجة من نتائج النظرية القائلة بأن الحياة الحضرية والتصنيع يؤثران فى تصدع الأسرة .

ثالثا ـ تحديد مشكلة البحث الاجتماعى :

وبعد أن يفرغ الباحث من أختيار المشكلة الصالحة للبحث فى ضوء الاعتبارات المنهجية السابقة ، يتطلب الامر منه بعد ذلك أن يعرض هذه المشكلة فى عبارة واضحة . لان هذا يسهم أولا فى توضيح الهدف الذى يكمن وراء كل الجهد المبذول فى هذا البحث،ويساعد ثانيا فى الوصول الى النتائج الكافية ووضع التفسير المناسب لها . وهذا يتطلب بدوره من الباحث أن يفهم مشكلة بحثه بوضوح ويكون قادرا على التعبير عنها بعبارات واضحة موجزة دقيقة ، وأن يتمكن من تقسيم مشكلته الاساسية الى مجموعة من المشكلات الفرعية ويعبر عن كل واحدة منها فى صورة سؤال أو فرض كما أنه يكون من الضرورى لفهم مشكلة البحث أن نعرف بدقة معنى المفهومات والمعطيات والمؤشرات المستخدمة فى التعبير عن المشكلة الاساسية والمشكلات الفرعية للبحث ، وما هى المسلمات الاساسية التى يفترضها الباحث جدلا كأساس يستند اليه فى بحثه ، وما هى أهم فروضه ؟ ذلك لان كل هذه الاعتبارات فى مجموعها تكون ما اصطلح عليه التعبير عن مشكلة البحث أو تحديدها .

١ ـ عرض مشكلة البحث فى عبارة واضحة :

وهذا يتطلب أولا وقبل كل شىء أن يكون الباحث قد فهم المشكلة بوضوح ، وأن يعبر عنها بكلمات قليلة بقدر الامكان وفى عبارة لا تنطوى على عيب نحوى . وذلك حتى يتمكن كل فرد من قرائتها وفهمها ، أو حتى

يسهل توصيل مضمونها الى غيرهم من المهتمين • وأن يبعد في ذلك عن العتبيرات غير المكتملة والتى لا معنى لهـا ، والتى قد تمس فقط المشكلة من بعيد أو قريب وأن يقوم بحذف الكلمات التى لا فائدة لها ، وأن يحرص على أن تكون العبارة موجزة ، لان هذا الاختصار يجعلها أكثر حيوية ، وان يختار كلماتها بدقة ، وأن يحسن استخدام أدوات التوضيح اللغوى مثل الفصلة ، والنقطة ، والشرط والاقواس وما اليها •

٢ ـ تقسيم المشكلة الاساسية الى مشكلات فرعية :

يدرك كل باحث واع أن المشكلة الاساسية التى يعالجها تنطوى على عناصر منطقية فرعية تعرف باسم المشكلات الفرعية ، والواقع أن حل هذه المشكلات الفرعية الواحدة تلو الاخرى هو الذى يمهد الطريق نحو حل المشكلة الاساسية للبحث كما تمكن هذه المشكلات الفرعية من النظر الى المشكلة الرئيسية نظرة أكثر شمولية •

على أنه يتعين أن تكون كل مشكلة فرعية مستخلصة من المشكلة الرئيسية قادرة على أن تقف مستقلة باعتبارها مشروعا فرعيا منفصلا فى اطار الهدف الاكبر للبحث • ومن هنا كان من الضرورى التعبير عن هذه المشكلة الفرعية بوضوح ، ودقة ، ولعل أسلوب التعبير عن مثل هذه المشكلات فى صورة سؤال ، يساعد الباحث على تركيز اهتمامه مباشرة على الهدف من بحث هذه المشكلة الفرعية(١) •

ولكن مع ذلك ، يحذر من التمادى فى تفريع أو تقسيم المشكلة الرئيسية ، الى أكثر من عدد محدود قد يصل الى خمسة مشكلات • ويستطيع الباحث تجنب هذا الامر اذا تجنب الخلط بين مشكلات البحث وغيرها من المشكلات المنهجية والتى تعد بمثابة قرارات واجراءات منهجية لازمة لانجاز مشروعه ، وذلك مثل ما هى أفضل طريقة لاختيار عينة البحث ؟ وما هو الحجم الذى يجب أن تكون عليه العينة الممثلة ؟ وما هى الادوات التى يجب الاعتماد عليها فى جمع البيانات ؟ •• الخ ، واذا استطاع الباحث أن يجمع كل

---

(1) P. D. Leedy. Op. Cit.,

مجموعة من المشكلات الفرعية فى مشكلة فرعية واحدة ـ وبطريقة منطقية ، واذا تجنب الوقوع فى خطأ توسيع نطاق بحثه ليشمل مناطق وأهداف يعجز عن اتجاوزها . ومن هنا صار ضروريا على الباحث أن يقوم برسم حدود مشكلته ، ويوضح ما هى الحدود الدقيقة لها وما الذى سيضمنه الباحث فى بحثه ؟ وما الذى سوف لا يدخل ضمن حدود هذا البحث ؟،وما هى حدود تفكيره ؟ وأين تكون النهاية المناسبة للمشكلة ، وكيف تكون البداية المحتملة؟ ذلك لاننا نفترض أن الباحث عندما يعبر عن مشكلته الاساسية ومشكلاتها الفرعية ، يدرك تماما معانيها ومتطلباتها والتزاماتها ، كما يفترض أنه يكون مبتعدا للوقوف بصلابة وراء كلماته ويحاول جاهدا الدفاع عنها ..

٣ ـ توضيح المسلمات :

تستند القضية التى تعبر عن مشكلة البحث ومشكلاته الفرعية الى مجموعة من المسلمات الاساسية ، والتى بدونها لا يكون لهذه المشكلات وجود . والمسلمات هى ما يفترضه الباحث جدلا دون ما حاجة الى برهنة أو تدليل . وان معرفة ما يسلم به الباحث يعد أمرا أساسيا لمتابعة سير العمل ، وتقييم ما يرتبه على هذه المسلمات من نتائج .

وقد يعتقد البعض أن تحديد المسلمات هو تحديد لشىء واضح ، ولكن نتيجة لاننا لا نحاول أن نترك فى البحث شيئا للصدفة،ونحول دون حدوث سوء التفاهم ، نرى ضرورة تحديد المسلمات بوضوح وبدون تحفظ لان هذا سيساعد كما ذكرنا على تسهيل مهمة تقدير المشكلة على نحو أفضل .

٤ ـ تعريف المصطلحات :

يستعين الباحث بعدد من المصطلحات والمفهومات فى التعبير عن معنى مشكلة بحثه ومشكلاته الفرعية . وبدون معرفة ما الذى يعنيه كل مصطلح منها صراحة لا نستطيع تقييم البحث أو تحديد ما اذا كان الباحث قد أجرى بحثه على ما تعنيه مشكلة بحثه أم لا ، ونجد هنا من المناسب أن نتناول هذه الامور بالتفصيل : ونعنى المصطلحات ، وتعريفها وما يثيره كل منها من مشكلات ..

المصطلحات والمفهومات :

تعتبر المفهومات من أكثر الرموز أهمية فيما تنطـوى عليه لغة الفكر الانسانى فى أى مجال من مجالاته فالمفهوم عبارة عن مصطلح أو رمز يمثل أوجة الشبه بين عدد متباين من الظواهر . فبالرغم من أن الرجال يختلفون فيما بينهم فى كثير من سماتهم الفردية ، الا أنهم يصنفون كلهم فى فئة واحدة تعرف باسم الثدييات ، على أساس التماثل فيما بينهم فى خصائص بيولوجية معينة .. وهناك الى جانب المفهوم مصـطلح آخر له أهمية مسـاوية هو المتغير وهو بعد يمكن قياسه للمفهوم مثل طول أو ارتفاع الرجال.وينطوى علم الاجتماع على رصيد ضخم من المفاهيم والمتغيرات التى قد يعتمد عليها الباحث فى التعبير عن مشكلة بحثه ، وذلك مثل مفـاهيم المكانة والدور والمعيار والتفاعل ... الـخ(١) .

التعريفات والمؤشرات :

ولمعرفة المفاهيم والمصطلحات المستخدمة فى التعبير عن مشكلة البحث وفهمها لابد من الوقف على تعريفاتها ومعانيها وتطبيقاتها أو مؤشراتها . اذ تصدر معانى المصطلحات والمفهوم باعتبارها رموزا لغوية عن تعريفاتها والتعريف عبارة عن قول يحدد استخدام الرمز بطريقة معينة ، بمعنى أن التعريف يوضح لنا ما الذى يعنيه المصطلح . فمثلا قد نعرف الانتحار بأنه قتل النفس بالنفس.والتعريفات ليست قوانين علمية أو شواهد تؤدى اليها. ويتسم التعريف بطبيعته التعسفية ولذلك فلا تعد التعريفات صوابا أو خطأ حقيقة أو كذبا . وانما هى مجرد قول قصد بة استخدام المصطلح أو المفهوم بطريقة معينة ، أو هى أقوال اتفاقية . ونستطيع أن نميز بين نوعين من التعريفات : اسمية واجرائية .

وتستخـدم التعريفات الاسمية فى الحـالات التى تكـون فيها الكلمة المقصودة مرادفة لتعبيرات معينة أخرى ، أولها معانى مستقرة بالفعل .

---

(1) S. Labovitz & R. Hagedorn, Introduction to Social Research, Op. Cit., pp. 28-29.

مثال ذلك تعريف التجاذب الشخصى على أنه ما يؤدى الى الاقتراب بين الاشخاص • وفى هذا النوع من التعريفات يمكن ابدال المصطلحات المعرفة بالكلمة المحددة • ويتميز هذا النوع من التعريفات بأنه يمدنا بطريقة اختزالية فى الاتصال(١) •

أما التعريف الاجرائى فيتمثل فى عملية تعيين الابعاد التى يمكن قياسها وملاحظتها فى التعرف على ما يشير الى المصطلح أو المفهوم المحدد • بحيث أنة اذا أمكن تقديم تعريف أجرائى واضح، يمكن التوصل الى نتائج وبالتالى يسهل التحقق من فروضنا • غير أن التعريفات الاجرائية لمفهومات البحث تواجه مجموعة مشكلات منها ، مشكلة تحديد الظواهر موضوع البحث ، فاذا أردنا مثلا تقييم المشاعر التى يكونها أعضاء جماعة صغيرة متماسكة بين بعضهم البعض ، والتى قد توصف بمفهوم التضامن ، وتحدد اسميا بأنها قوة العلاقات الشخصية الايجابية المتبادلة بينهم ، فاننا نواجه بمشكلة التعرف على الاجراء المناسب لقياس هذه القوة أو العواطف الايجابية والمشاعر بين أعضاء الجماعة ؟ • وقد نهتدى الى أن حساب عدد المرات التى يبتسم فيها الاعضاء ويسألون عن صحة وحالة زملائهم الآخرين ، يمثل قياسا لقوة العلاقات بينهم ، ولكن هذه الابتسامات قد يكون بعضها مهذبا والآخر غير ذلك ، فهل يكون القياس منصبا على نوع دون آخر ؟ • كما أن هذه المشكلة تزداد حدتها فى البحوث ذات الطابع الحضارى المقارن، نظرا لاختلاف التعبير بالابتسامة من مجتمع لآخر • كما تعد مشكلة توفر الملاحظين ذوى الكفاءة والمدربين على القياس بمثابة نموذجا آخر على أنواع المشاكل التى تواجه عملية التعريف الاجرائى للمفهومات •

وللتقليل من اللجوء الى التعريف الاجرائى فى البحث ، والتغلب على مشكلاته ، ولربط المتغيرات المجردة بالواقع موضوع الملاحظة ، يمكن استخدام المؤشرات حيث تحدد مثلا لمفهوم مثل القيادة ابعادا عديدة منها الوضع الاعلى والسمعة والقدرة على اتخاذ القرارت، والمشاركة الاجتماعية •

---

(1) Ibid.,

ولما كان من الصعب تحديد كل هذه الابعاد بطريقة اجرائية يكتفى الباحث باختيار مؤشر منها أو أكثر للدلالة على المفهوم ، حتى يسهل عليه ربطه بالملاحظة ويجرى دراسته على أساس علمى . هذا ويعتمد اختيار واستخدام المؤشرات على توافر البيانات ، واحتمال الحصول على أنواع معينة منها ، وعلى النظرية التى توجه الباحث . وتتاكد فائدة المؤشرات عندما تكون المفهومات المستخدمة غامضة ، ولا يتوافر لها المقاييس المباشرة(١) .

٥ ـ صياغة الفروض :

أو بلورة مشكلة البحث فى صورة فرض أو فروض تساعد فى اكتشاف حلها وتهديك فى تحديد الوجهة التى تسير فيها بحثا عن الوقائع . وما الفروض الا مواقف مبدئية أو تخمينات ذكية يقدمها الباحث لتعينه على تنظيم تفكيره فى حل مشكلة البحث ـ ولهذه الفروض أهميتها ، لان الباحث فى حاجة الى بعض النقاط التى يهتم البحث بها والتى من خلالها يتجه نحو البيانات المناسبة ، ولان هذه الفروض تسمح للباحث ولغيره بادراك وفهم مشروع البحث فى جملته التى تحفز الباحث على العمل . هذا وقد يعبر عن المشكلات الفرعية فى البحث فى صورة فروض ، وهنا يكون لدينا عدد من الفروض بقدر ما لدينا من مشكلات فرعية . ولهذا يجب أن تعرض المشكلات الفرعية والفروض بطريقة معقولة . وعلى نحو يوضح الارتباط بين بعضها الآخر فى خطة البحث ومشروعه . على أن ناخذ فى اعتبارنا الشروط المنهجية فى صيانة الفروض العلمية ، واشتقاقها من مصادرها المعروفة وفى تحديد مشكلة البحث الاجتماعى على النحو السابق ، والذى يمدنا بصورة واضحة عن هذه المشكلة ، لا يجب أن يغفل الباحث ضرورة الاشارة الى أهمية البحث ، ويوضح فى اختصار الاسباب التى دفعته الى اجرائه ، ويبين دلالتها وأهميتها النظرية ويشير فى الوقت نفسه الى قيمتها العلمية أو التطبيقية ، الامر الذى سنزيده تفصيلا عند حديثنا عن تصميم خطة البحث الاجتماعى فى الفصل التالى .

---

(1) Ibid.,

الفصل الرابع

خطة البحث الاجتمـاعى

أولا : طبيعة خطة البحث الاجتماعى ومستلزماتها ٠

ثانيـا : وظيفة الخطة وأهمية التخطيط فى البحث الاجتماعى ٠

ثالثـا : هـدف وأسلوب الخطة ٠

رابعا : مكونات الخطـــة ٠

خامسا : خصائص الخطـــة ٠

خطة البحث الاجتماعى(*) ·

تمهيـــــد :

كشف لنا توضيح المفهوم الحديث للبحث الاجتماعى وبيان خصائصه عن مدى حاجة البحث الى خطة محددة والى تصميم مسبق وتوجيه مبدئى وبينا عند الحديث عن المفهومات الاساسية فى تصميم البحث الاجتـماعى ، وخاصة مفهوم تصميم البحث ، أن وضع أو تصور هذا التصميم يتوقف على مدى معرفة هدف البحث أو موضـوعه أو مشكلته ، وانـه فى اللحظة التى يفرغ فيها الباحث من تحديد مشكلة بحثه على النحـو الذى أوضحناه فى الفصل السابق يجد من الضررورى عليه أن يشرع فى تصور خطة البحث أو ينشغل فى وضع التصميم المنهجى المناسب ، وهنا نتساءل ما هى هذه الخطة التى يحتاجها البحث ؟ وما هى طبيعتها ،وما هى مستلزماتها أو متطلباتها ؟ وما هى وظيفة الخطة وأهمية التخطيط فى البحث الاجتماعى ؟ وما هى أهداف الخطة وما الاسلوب الذى تكتب به ؟ وما هى العناصر التى تتكون منها ؟ وما هى الخصائص التى يجب أن تتميز بها ؟ ولما كانت مجموعة هذه التساؤلات تتصل فى جملتها بموضوع واحد هو خطة البحث الاجتماعى، خصصنا الفصل الحالى لالقاء الضوء على هذا الموضوع ، ولمحاولة البحث عن اجابة على هذه التساؤلات ، قسمنا الفصل الى العناصر التالية :

أولا : طبيعة خطة البحث ومستلزماتها ·

ثانيــا : وظيفة الخطة وأهمية التخطيط فى البحث الاجتماعى ·

(*) اعد هذا الفصل أ·د· على جلبى ·

ثالثـا : هدف وأسلوب الخطة ٠

رابعا : مكونات الخطة ٠

خامسا : خصـائص الخطـــة ٠

أولا ـ طبيعة خطة البحث الاجتماعى ومستلزماتها :

تعد عبارات مشروع البحث Research Proposal أو مسودة البحث أو معالم البحث أو قضـية البحث أو الخطة المبدئية للبحث بمثـابة تسميات واحدة ومترادفة عرفت فى تراث البحث الاجتماعى وأطلقت على ما نتعارف عليه تحت اسم خطة البحث ٠

وعندما يقوم الباحث بوضع خطة البحث الذى يزعم القيام به ، فانه فى هذا يكون مقدما على القيام بعملية تصميم لهـذا البحث ، ولذلك فان الحديث عن خطة البحث لا ينفصل عن تصميمه ٠

وسبق أن أوضحنا بالمثال فى فصل سابق مبدئيا معنى تصميم البحث ، وذكرنا اننا سنعود اليه مرة ثانية عند الحديث عن خطة البحث ، لنزيد الامر تفصيلا ووضوحا ٠ وقلنا انه عندما يصمم المهندس المعمارى بناء المنزل فانه يأخذ فى اعتباره كل قرار يكون من الـواجب عليه اتخـاذه فى عملية تشييد هذا البناء كان يأخذ فى اعتباره القرار المتعلق بحجم المبنى وعدد الحجرات والمواد التى تبنى منها وهو يفعل كل ذلك قبل أن يبـدأ عملية التشييد الفعلية ٠ والواقع أن المهندس يشرع فى هذا التصميم لانه يرغب فى تصور الصورة الكلية للبناء فى جملته قبل أن يبدأ فى تشييد أى جزء منه ، لانه يستطيع بواسطة هذه الصورة أن يصحح الاخطاء ويدخل التحسينات والتعديلات اللازمة قبل أن يبدأ البناء ومن هنا كان معنى التصميم وضع خطة ، أو كان التصميم بعبارة أخرى عبارة عن عملية اتخاذ القرارات قبل أن يتحقق الموقف الذى سينفذ فيه هذه القرارات ، كما انه يعد عملية توقع مقصودة وموجهة نحو أيجاد موقف يخضع للضبط والتحكم(١)٠

---

(1) R. L. Ackoff, The Design of Social Research, The Univer. of Chicago Press Chicago 1953. p. 5.

وليس من الصعب تطبيق هذه الافكار على البحث الاجتماعى ، اذ يمكن قبل أن يجرى البحث رسم خطة تشتمل على مجموعة قرارات مثل :

- ما الذى تدور حوله الدراسة وما هو نوع البيانات المطلوبة ؟
- لماذا تجرى الدراسة ؟
- وأين يمكن أن نجد البيانات المطلوبة ؟
- وأين أو فى أى المجالات سوف تطبق الدراسة ؟
- ومتى أو فى أى فترة زمنية ستجرى الدراسة ؟
- وما مقدار المادة أو كم عدد الحالات المطلوبة ؟
- ما هى أسس اختيار الحالات التى سندرسها ؟
- وأى طرق جمع البيانات سناخذ بها ؟ ... الخ .

وهكذا تتكون خطة الدراسة أو تصميم الدراسة من الاعتبارات التى تدخل فى اتخاذ القرارات المتعلقة بماذا وأين ومتى وكم وبأى الوسائل ... الخ(١) بحيث يفهم من ذلك كله أنه اذا توقعنا كل ما تحتاجه مشكلة البحث وأمكن لنا أن نقرر ما سنفعله مسبقا بشانها ، فاننا بذلك سنزيد من فرصتنا فى التحكم فى عملية اجراء البحث .

وكما أن المهندس المعمارى لا يستطيع أن يحتفظ بكل قراراته فى ذهنه ، وحتى اذا استطاع ذلك فقد تواجهه صعوبة تصور ارتباط كل هذه القرارات ببعضها . فانه نتيجة لذلك يحرص على تسجيل قراراته مستخدما الرموز والرسومات وما اليها ، بمعنى أنه يسجل ويجد العلاقات المتداخلة بين قراراته اما فى صورة رقمية أو بيانية أو فى صورة نموذجية تأملية ، ويعتبر النموذج المعمارى بمثابة تمثيل بالرسم يوضح العلاقات المتداخلة بين كل القرارات التى قد اتخذت .

ويستطيع المصمم فى العلم الاجتماعى بالمثل أن يسجل باستخدام الرموز

---

(1) P. V. Young. Scientific Social Surveys & Research, Op. Cit., p. 12.

مختلف قرارات البحث التى يتخذها فى صيغة واحدة ، ويطلق على هذا التصور أو البناء الرمزى الناتج والذى يتكون من مفاهيم وتصورات نموذج البحث أو استراتيجية أو مشروع أو خطة البحث كما قد أشرنا فى بداية هذا الحديث(١) .

ويعتبر تصميم البحث بمثابة التخطيط المنسق والمنطقى والموجه لمراحل البحث ، أو هو الخطة الشاملة لتتابع الخطوات التى يقصد الباحث اتمامها أو انجازها لكى يحقق مجموعة أهداف بحثه . وقد ينظر الى التصميم باعتباره تطبيقا اجرائيا للمنهج العلمى ، اذ يعين هذا التصميم منهج البحث والطرق التى يختار الباحث استخدامها فى بحثه ، الى جانب الفكرة أو الاساس النظرى الذى يستند اليه البحث فضلا عن كل الخطوات الادارية اللازمة لتنفيذ هذا التصميم كما تنطوى مسودة التصميم على توقع للطرق البديلة التى يحتمل اللجوء اليها فى تنفيذ بعض خطوات البحث .. الخ وهكذا يعتبر التصميم بمثابة وصف تفصيلى لقرارات الباحث ولاسباب كل قرار منها ، والتى يتخذها استنادا الى المعايير العلمية المتفق عليها(٢) .

ويفهم مما سبق أن عملية تصميم البحث ووضع خطته عملية تقوم فى جوهرها على المعقولية والرشد وتحتاج الى معرفة فنية متخصصة ، أكثر منها نوعا من الفن يمكن أن يكتسب من خلال الخبرة الشخصية والممارسة ، أو متابعة الباحث أثناء قيامه بهذا العمل .

وكما يتلقى المهندسون المعماريون دروسا منظمة فى عملية تصميم المنازل ويتسلحون بالمعرفة المتعلقة بخصائص مواد البناء التى يستخدمها وبالبناء القائم على الجمع بين هذه المواد ، بحيث تفقد قدرة المهندسون المعماريون على الابتكار ويعجزون عن تحقيق أهدافهم النهائية بدون هذه المعارف المتخصصة .

---

(1) R. L. Ackoff, Op. Cit., p. 5.

(2) Robert R., Mayer, & Ernest Greenwood, The Design of Social Policy Research, Prentice-Hall, Englewood Clifs, New Jersy, p. 67.

فان عملية تصميم البحث تتطلب بالمثل معرفة فنية متخصصة بالطرق البديلة وخطواتها وبمعايير تفضيل طريقة على أخرى عند تناول مشكلات البحث ، هذا كله الى جانب القدرة على الابتكار أيضا التى تتطلبها عمليات تصميم البحث وصياغة المفاهيم أو تصور الطرق والمناهج والادوات وأساليب تحقيقها ... الـخ(١) .

ثانيا : وظيفة الخطة وأهمية التخطيط فى البحث الاجتماعى :

وقد يتسائل البعض هنا عن قيمة وضرورة وأهمية ووظيفة تصميم البحث أو وضع خطته او قد يحذر البعض من أن تخطيط مشروع البحث قد يحتاج الى قدر هائل من الوقت والموارد . أو قد يرى البعض الثالث أنه يمكن للباحث أن يدخل الى مشكلة بحثه دون تخطيط مسبق ، وأن ينغمس فى بحثه ويقوم بجمع البيانات حول هذه المشكلة التى يطرحها بحثه . ولقد كشفت لنا الخبرة العملية أن جهود البحث غير المخطط لها أو التى تأخذ بتخطيط جزئى غالبا ما تواجه بنوعين من الصعوبات فهى أما أن تنتهى الى بيانات غير وثيقة الصلة بمشكلة البحث أو توصله الى بيانات كثيرة الى درجة يرتبك معها الباحث برغم أن هذه البيانات لها صلة مباشرة بمشكلة بحثه . وكثيرا ما يشكو الباحثون غير ذوى الخبرة قائلين «لدينا كل هذه البيانات ولكننا لا نعرف ما الذى نصنعه بها» . والواقع أن التصميم يقصد به تجنب مثل هذه الصعوبات وغيرها .

وظيفة خطـة البحث :

يعد مشروع البحث أو خطته أمرا جوهريا يتوقف عليه نجاح البحث كما يتوقف بناء المنزل مثـلا على الرسم الهندسى الذى يقـدمه المهنـدس المعمارى . ولا يستطيع احد البدأ فى تشييد المنزل من خلال الشروع فى حفر بئر فى الارض من أجل تأسيسه . ولكن قبل الاقدام على حفر الارض على هذا النحو ، هناك تساؤلات كثيرة يجب الاجابة عليها ، وقرارات عديدة لالابد من اتخاذها : أى نوع من المنازل تخطط لبنائه ؟ هل سيكـون من

---

(1) Ibid, p. 68.

نموذج : منزل من طابقين ، أم مزرعة مواشى ؟ كيف سيكون وضع المنزل على موقع البناء ؟ أين سيكون اتجاه الفتحات ؟ وهكذا يمكن أن نستمر فى طرح المزيد من التساؤلات ٠٠ ولكل واحد من هذه التسـائلات أهميته النسبية ويجب الاجابة على كل واحد منها خاصة قبل أن نتمكن من البدأ فى تشييد المنزل ٠ وحتى بعد أن تتخذ كل هذه القرارات ، فـلا يمكن أن نبدأ الحفر فى الحال لانة لا تزال هناك جـوانب أولية أخرى ٠ فالمهندس المعمارى يرسم خطة البناء كله ، ويوضح بنسب معلومة بالضبط أين سيكون وضع كل جزئية تفصيلية ولا يترك أى شىء للصدفة ، طالما كان ذلك ممكنا وهذا ما يفعله بالمثل كاتب مشروع أو خطة البحث ٠

ففى القسم من مشروعه الذى يكون عنوانه البيانات ومعالجتها مثـلا يشير بدقة الى كل تفاصيل تنظيم البيانات ومعالجتها احصائيا وتفسيرها ٠ ومع استمرار المماثلة بعمل المهندس المعمارى ، فأنه يقوم بعد ذلك برسم المسقط الرأسى للبناء ، الذى يوضح الوجه الخارجى لكل الجوانب ويحدد بدقة كيف سيبدو البناء عند الانتهاء منه ٠ وهذا ما يفعله الباحث بدقة فى رسم معالم الدراسة المقترحة فى ذلك القسم المخصص لمشروع البحث(١) ٠

ذلك لانه فى بناء المنزل بطريقة أخرى غير التى فرغنا من وصفها ودون سند من التصميم يحتمل أن تزيد التكاليف ، والتعرض للخطأ ويفتح مجال للتخبط ، كما يترتب على هذه الطريقة التى تستند على المحاولة والخطأ ، صرف مبالغ كبيرة من المـال ٠ وهناك أيضا فى أجـراء البحث حاجة الى استثمار الوقت والجهد والمال ، الامر الذى يصعب تحقيقه بدون تصميم مخطط بوضوح ، ولا يمكن أن تترك اجراء البحث للنزوة أو الصدفة وانما يجب أن تتخذ قرارات هادفة وحكيمة ، وينظر بعين الاعتبار وبعناية الى تفاصيل الاجراءات الهامة ويوضع التصميم قبل أن يشرع فى أى عمل لجمع البيـــانات ٠

وينبغى أن يتم التفكير فى كل خطوة هامة من خطوات العملية الشاملة

---

(1) Pauf, D. Leedy; Practical Research; Op. Cit.,

للبحث ، ويجب أن تحدد كتابة وبوضوح كما أنه لابد من اخضاع كل ذلك لنوع من التقييم والدراسة الاولية قبل البدأ الفعلى فى هذا العمل . وتتمثل وظيفة مشروع البحث فى اتاحة الفرصة لهذه الموضوعية والتفكير النقدى .

أهمية التخطيط للبحث :

يعد التخطيط الواضح والمنسق أمرا جوهريا لانجاح البحث على كل مستوى وأهمية التخطيط لجهود البحث لاتقل عن أهمية البحث عن سبب المرض أو وصول الانسان للقمر . وبرغم ان هذه المشروعات الاخيرة أكثر تعقيدا وتطورا عما قد تقوم بتخطيطه ، فان هذا لا يغير الحقيقة القائلة بأن مشروع البحث يحتاج الى تخطيط منسق وشامل قبل أن يبدأ النشاط الفعـــــلى .

ويعتبر مشروع البحث جوهر كل عمليـات تخطيط البحث . ويعـد المشروع أمرا جوهريا لكل جهد يبذل فى البحث مثلما يعتبر الرسم الهندسى أساسا لتشيد البناء فكل منهما عبارة عن خطة أســاسية للعمل وكل منهما يتناول المشكلات ، ويحدد الموضوع ، والتعرف على البيانات والمادة التى يجب استخدمها فى حل الموضوع ويرسم معالم المنهج ، الذى سيفاد به من المادة وسيتم بة معالجة البيانات وتفسيرها(١) .

ولمشروع البحث أهمية كبرى من حيث أنه يمــد الباحث وغــيره من المهتمين بالبحث بالفرصة لتقييم التصميم فى جملته قبل انفاق اى جهد ووقت أو استثمار أى مــال فى المشروع كما أن الفحص الــواعى لمشروع البحث سيكشف عن قدرة الباحث على التفكير فى تفاصيل بحثه وسيوضــح ما اذا كان قد أستطاع تصور أبعاد هذه المهمة وما اذا كان قــد أخذ فىَ اعتباره المشكلات التى تنطوى عليها عملية التوصل الى البيانات وما يلى ذلك من معالجة وتفسير ... ويحول مشروع البحث الجيد دون الوقوع فى الخطأ ، والشعور بالاحباط المترتب على الجهــد الذى أسىء توجيهه فى بحث غــير مفهوم . وكما تستطيع النظر الى الرسوم الهندسية وتوضح لنا ما اذا كان

---

(1) Ibid, p. 70.

البناء المقترح سيكون كافيا للهدف الذى وضع من أجله ، فهكذا ومن خلال النظر بعناية الى مشروع البحث يمكن أن يقول لنـا الباحث ما اذا كانت مناهج البحث التى أشار اليها والبيانات التي سوف يوفرها ستؤدى الى الحل المحتمل لمشكلته .

وتعتبر القدرة على بناء مشروع بحث فعال بمثابة مهارة يتزايد الطلب عليها كما أن المقدرة على عرض الافكار من الاهمية بمكان مهما كان الميدان الذى يتخصص فيه البـاحث . ويساعد كتـابة مشروع البحث على تركيز التفكير على التفاصيل الهامة والحاسمة ، وعلى فصل القضـايا المحورية وعلى الاهتداء الى أفضل اجراء يمكن القيام به فى حل المشاكل .

ثالثا : هدف وأسلوب البحث وخطته :

يهدف مشروع البحث الى عرض المشكلة المراد بحثها بوضوح وبدون غموض ، ومناقشة الجهود السابقة للبحث التى قام بهـا باحثون آخرون لتناول مشكلات ذات صلة بمشكلة البحث أو مشتركة معها ، وتحدد بدقة البيانات الضرورية لحل المشـكلة ، وتشير الى الكيفية التى ستعـالج بها البيانات وتفسيرها على وجه الخصوص . ويجب أن يشير مشروع البحث كذلك الى أسباب الدراسة ، ويقـدم فكرة عن الباحث ، ويشـير الى قائمة أساسية بالمراجع الصادرة فى ميدان مشكلة البحث .

فلا يجب أن يكون مشروع البحث بمثابة عناصر محكومة بغير نظام ويعوزها الترابط . وانما يبدأ مشروع البحث بقضية واضحة المعالم تعبر عن المشكلة المراد بحثها ، قضية تقف على قدميها ولا تحتاج الى أية دعامات تفسيرية . ولا تكون هناك ضرورة لمقدمة أو تمهيد أو توضيح الاسباب التى أصبح من أجلها البـاحث مهتما بالمشكلة ، أو يشـعر بالحاجة الماسة الى دراستهـــا .

وينبغى أن نستبعد كل ما ليس من شانه أن يسـهم مباشرة فى تناول المشكلة وحلها . ويشبه مشروع البحث الرسم الهندسى من حيث أنه واضح واقتصادى ، ولا يحتوى الا على كل ما هو ضرورى ويزيد على ذلك من تفاصـــيل .

وليس الرسم الهندسى عملا فنيا ، وكذلك مشروع البحث لا يعد من قبيل الانتاج الادبى وذلك لان مهمتهما ليست فنية ، وانما يهدفان كلاهما لتوصيل الفكرة بوضوح ، وكما تعرض الرسوم الهندسية فكرة التشيد مع الاقتصاد فى الخطوط والدقة فى القياس ، فكذا مشروع البحث يعرض المشكلة مع الاقتصاد فى الكلمات والدقة فى التعبير ،ويشير الى الكيفية التى يجب بها أدارة مشروع البحث وانجازه ولا يعطى الفرصة للتعبير الفنى أو التكوين الادبى ولا التعبيرات اللفظية الزائدة عن الحد ٠ وانما على العكس تماما ، أن مشروع البحث عموما يكتب بأسلوب صارم ومعبر عنه بطريقة غير مثيرة ، ويتيح الفرصة للتعبير عن الافكار والمعتقدات والاجراءات فى قضايا واضحة ودقيقة ويتيح لكاتبه فرصة توضح الى أى حد يستطيع التعبير بوضوح ودقة عن مشكلة البحث ، وكيف يستطيع أن يصف بدقة الاسلوب العلمى فى معالجة البيانات وباى طريقة يستطيع تحقيق الصدق المنطقى لنتائجه وعادة ما يتم تنظيم أفكار البحث من خلال أسلوب يعرف باسم تحديد المعالم ، وحيث توضع فى هذا التنظيم الافكار الاساسية قريبة من بعضها ثم توضع الافكار الثانوية والاقل فى الاهمية الى جانب بعضها ويعطى لكل فكرة رقما يلى السابق لها ويوضح مستوى الاهمية النسبية لكل فكرة وأن كان لهذا الاسلوب عيوبه أو حدوده فهو لا يسمح الا بالتعبير عن مجموعة من الكلمات أو بجملة مختصرة للدلالة على الفكرة ٠

وأن كان أسلوب الكتابة التقليدى بالفقرات يسمح لنا باتباع طريقة العناوين التى يستطيع القارىء فهمها مباشرة بحيث يمكن تنظيم الافكار بالاعتماد على طريقة العناوين والذى يبدأ بالعنوان المحورى الذى يعبر عن المشكلة الاساسية ، ثم العناوين الجانبية يليها عناوين الفقرات الفرعية ٠٠٠٠ وهكـــذا ٠

مكونات الخطة :

هناك محاولات عديدة فى تراث البحث الاجتماعى حاول بها أصحابها وضع تصميمات لبحوث متباينة وتحديد العنـاصر التى يجب أن ينطوى عليها التصـميم المنهجى للبحث ، وكلها محـاولات ، لها قيمتها فى هذا

الصدد(١) . ولقد أتضح بناء على هذه المحاولات أن هناك طرقا كثيرة يمكن الاعتماد عليها فى تنظيم وتحديد العناصر المكونة لكل خطة بحث .

ولكن لوحظ أن هذه المحاولات كانت تشترك فيما بينها فى أعتمادها على معايير البساطة والمنطقية(٢) والمحافظة على سير الباحث فى الطريق الصحيح المؤدى الى بلوغ الهدف فى تحديد عناصر الخطة وتنظيم مشروع البحث(٣) .

وعلى ضوء هذه المعايير،يتصور البعض عملية تصميم البحث بأعتبارها تمر بعدة مراحل متعاقبة ، تمثل تتابع العمل الذى يلتزم به الباحث فى ضوء مسودة التصميم هى :

١ ـ تبرير البحث باعتباره حلا لمشكلة .

ـ تاريخ المشكلة .

٣ ـ الاطار التصورى للمشكلة .

٤ ـ أهداف البحث .

٥ ـ المجتمع المدروس .

٦ ـ البيانات المطلوب جمعها .

٧ ـ أجراءات جمع البيانات .

٨ ـ تحليل البيانات التى تم جمعها .

٩ ـ تنفيذ البحث(٤) .

وليس معنى هذا أن تصميم البحث الذى يشتمل على هذه المراحل هو وحده التصميم الصحيح أو الفريد ، وانما يمثل تصميم البحث حلا وسطا

---

(1) Ibid.

(2) Leedy, Op. Cit.,

(3) Young, Op. Cit.,

(4) R. R. Mayer, & E. Greenwood, Op. Cit.,

تمليه أعتبارات عملية كثيرة فى مقدمتها نوعية المشكلة التى يقوم ببحثها . والخلفية النظرية والمنهجية للباحث وما اليها(١) .

ولهذا عندما يقدم الباحث تصميمه للآخرين فى صورة مشروع بحث مكتوب ، فانه قد لا يلتزم بهذه الخطوات أو العناصر أو حتى بالتتابع الذى جاءت به . ومن هنا قد تختلف البحوث فى درجة تركيزها على المراحل المتباينة لتصميم أو خطة البحث فقد يتطلب بعضها اعطاء الاطار التاريخى قدرا بسيطا من الاهتمام ، بينما قد يكون لهذا الاطار فى بحث آخر دورا حاسما فى حل مشكلته ومع أخذ هذه التحفظات فى الاعتبار يمكن أن نعتمد على هذا التصور لمراحل عملية تصميم البحث أو مكوناته ونعالج كل مرحلة منها بالتفصيل على النحو التالى :

١ ـ التبـــرير **Justification** :

تبدأ عملية التصميم بمحاولة الباحث ايجاد صلة وثيقة بين البحث الذى يقترحه وبين النظرية ذات الصلة أو مشكلات التطبيق والبحث الذى يبدأ بعيدا عن هذه المحاور لا يصل الى نتائج ذات قيمة نظرية أو تطبيقية ، اللهم اذا حدث ذلك أتفاقا أو كانت له نتيجة غير مباشرة ومهمة الباحث فى هذه المرحلة هى أن يحدد ما اذا كان البحث الذى يقوم به ضروريا فى الواقع لحل مشكلة ما تواجه التطبيق أو مــدى أهميته فى حل بعض المشكــلات النظرية فى نطاق تخصصه(٢) .

وتجعل مرحلة التبرير فى عملية التصميم الباحث يحتاط من العمل فى بحث ليس له فائدة محتملة فى حل مشكلة أو غاية أو بلوغ هدف أيا كان أو من القيام بعمل لايدفع له أى مقصد أو غاية .

٢ ـ التــــاريخ :

وبعد ذلك يستعرض الباحث كل المحاولات التى تناولت المشكلة المطروحة للبحث وينبغى أن يشمل هذا الاستعراض ما يلى :

---

(1) Young, Op. Cit., 131.
(2) R. R. Mayer & Greenwood., Op. Cit., p. 69.

أ) البيانات المتوفرة على مراحل زمنية والتى تكشف عن الاتجاهات التى سارت فيها المشكلة المدروسة ٠

ب) الجهود السابقة فى صياغة هذه المشكلة وتوضيح أبعادها ونتائج بحوث الاخرين فى تقويم وسائل استخدمت سابقا لتحقيق أهـداف مماثلة ويمد الاستعراض التاريخى الباحث بالمعلومات عن كل ما هو معروف لكى يؤرخ للمشكلة والطرق المستخدمة فى تناولها ويفيد مثل هذا الاستعراض فى حماية الباحث من الاجابة على تساؤلات سبق أن توفرت عنها فعلا أجابات من قبل أو على تساؤلات ليست هناك ضرورة لدراستها ٠

ومن هنا فأن المعلومات المتجمعة تمد أيضا الباحث بخلفية أو أساس لتحديد سير المراحل المتبقية من التصميم ٠

٣ ـ الاطـــار التصـــورى :

تساعد الخبرة التى يكتسبها الباحث بنفســه من المرحلتين الاثنتين السابقتين لعملية تصميم البحث ، أن يقوم ببناء أطارا منطقيا لبحثه المقترح وينبغى أن يتضمن مثل هذا الاطار على كلا من القضـايا التى يسلم بها كمعطيات أو باعتبارها قضايا معروفة (وتمثل المسلمات التى يستند اليها هذا البحث المتوقع) وتلك القضايا التى ينظر اليها على أنها غير معروفة (ومن ثم فهى تتطلب برهانا من خلال البحث)(١) ٠

وسيعين هذا الاطـــار :

أ) المتغيرات المعتمدة والتى تشمل هدف البحث ٠

ب) المتغيرات المستقلة والتى تضم وسائل تحقيق الاهداف ٠

جـ)الصـلات العلية أو السـببية التى تربط بين هذين النـوعين من المتغيرات وبالمتغيرات المحتملة الاخرى التى تدخل جانبا فى التحليل ويحدد الاطار التصورى الحـدود المنطقية للبحث ويمثل الـدليل الذى يمكن به للباحث أن يحكم على ما هو ذا صلة ببحثه أو ما هو غير ذلك ٠

---

(1) Ibid, pp. 69-70.

٤ ـ أهـداف البحث :

كما يمكن الاطار التصورى الباحث من صياغة أهـداف البحث الذى يُخطط له ونعنى بمصطلح أهـداف البحث القضايا المحـددة التى تمثل موضوع البحث وتعد هذه القضايا بمثابة عبارات تتعلق بالعلاقة بين الاهداف والوسائل ذات الصلة بمشكلة البحث والتى تترتب مباشرة على الاطـار التصورى وتأخذ صورة تساؤلات تحتاج الى أجابة أو فروض مطلوب التحقق منها ، وتحدد الوجهة التى يسير فيها البحث وكذلك تشير أهداف البحث الى الوحدات التى تنصب عليها الملاحظة ، وما الذى يجب ملاحظته بصدد هذه الوحدات وكيف تتم عملية الملاحظات من أجل تحقيق هذه الاهداف وتتبلور هذه القرارات فى الخطوات الباقية من تصميم البحث ٠

٥ ـ جمهـور البحـث :

ويتطلب تصميم مرحلة جمهور البحث أتخاذ أربعة قرارات :

أ) تعيين وحـدة الملاحظة ٠

ب) تصميم جمهور الوحدات الذين سيتم ملاحظتهم ٠

ج) تبنى اجراء لاختيار أو ترتيب الوحدات من أجل الملاحظة ٠

د تحديد عدد الوحدات التى ستلاحظ(١) ٠

وينبغى على الباحث فى انجاز هذه المرحلة أن يميز بين جمهور البحث أو المجموع الفعلى من الاشخاص والاهـداف أو الاحداث الذين يخضعون للملاحظة ، وبين الجمهور الهدف target population الذين سيتمكن الباحث من أن يطبق عليهم فعلا أدواته فى البحث أو ملاحظاته وغالبا ما لا يكون هناك فرقا بينهما وهذا يتوقف على درجة التماثل بينهما والتى تحدد المدى الذى يمكن به أن تنطبق نتائج ملاحظات جمهور البحث على جمهور الهدف٠

٦ ـ البيـانات :

ينبغى على البـاحث أن يعين البيانات التى يلزم جمعها من جمهور

---

(1) Ibid, pp. 70-71.

البحث ويتم تحديد البيانات من خلال التعرف على المفاهيم الاساسية التى يشتمل عليها منطوق أهداف البحث أو بعد بلورة تعريفات أجرائية على هذه المفـــاهيم ٠

وتأخذ هذه التعريفات الاجرائية شكل المتغيرات ، والتى تشير بدورها الى البيانات المطلوب جمعها ٠ وتفيد هذه المجموعة من التحديدات المفصلة فى حماية الباحث من جمع بيانات غير ضرورية أو ليس لها صلة بالموضوع فى النهـــاية ٠

٧ ـ جمـــع البيـــانات :

ومع تحديد البيانت التى يجب جمعها ، ينبغى على الباحث أن يقرر فيما بعد الاجراءات المناسبة لعملية جمع البيانت ، مع أخذ ظروف البحث فى الاعتبـــار ويجب علية أن يصف بالتفصيل الاساليب اللازم أستخدامها والادوات وتعاقب الخطوات التى يجب اتباعها فى أستخـدام هذه الطرق والادوات ٠ واذا كان لابد من استخدام أدوات معينة ، يجب أن يقوم بوصف طرق بناء هذه الادوات وسوف يتقوف على تصميم أجراءات جمع البيانات لدرجة كبيرة ثبات وصدق البيانات التى تجمع(١) ٠

٨ ـ تحليل البيانات :

وعندما يتم البيانات التى يجب جمعها على الباحث فى نفس الوقت أن يحدد الاجراءات المناسبة لتحليلها وهنا عليه خاصة أن يقرر كيف سيتم تصنيف البيانات وتنظيمها فى مجموعات من المتغيرات المحددة وكيف يتم التاكد من وجود نوع من العلاقة بين المتغيرات٠ولاتخاذ مثل هذه القرارات، يتوقع الباحث بعض النتـــائج التى تتطلبها أهـداف البحث وعلى هــذا الاساس يختار الاجراءات التى يحتمل أن توصل اليها ٠ وفى الحقيقة تمثل هذه الخطوة لتحليل البيانات أختبارا حقيقيا لتصميم البحث والذى يتطلب أيضا من الباحث أن يتوقع حدود الاستنتاجات التى سيستخلصها ٠

---

(1) Ibid, pp. 71-72.

٩ ـ ادارة وتنفيذ البحث :

فى اللحظة التى يعرف فيهـا الباحث الجمهـور المدروس ، وطبيعة البيانات التى يجب جمعها وأنواع الاجراءات المستخدمة فى جمع وتحليل هذه البيانات هنا يتوافر للباحث أساسا لاتخاذ سلسلة من القرارات الادارية:

فعلى الباحث أن يقدر المال والوقت والافراد والتنظيم الذى سيتطلبه البحث المقترح ويلاحظ أن طبيعة هذه القرارات هى التى ستحدد ما اذا كان هذا البحث ملائما أو معقولا وهى التى تعين لنا الفـوائد التى تعود علينا من بحث مخطط ، مثل هذا الامر الذى لايمكن التوصل اليه بدونه ، على أنه يجب أن تزيد هذه الفـوائد على التكاليف الادارية لاجراء هـذه الدراسة وهذا لا يمنع أحيانا من أنه قد تفوق تكاليف التوصل الى نتائج البحث كثيرا الفوائد المترتبة عليه ٠

وقد ينظر الى هذا العدد الفعلى من مراحل التصميم المشار اليها سلفا على أن ينطوى على نوع من التعسف وقد يختلف الباحثون ذوى الخبرة وهيئات التمويل عن بعضهم الآخر فى هذا الصدد ٠ وهكذا ، قـد يجمع بعضهم مثلا بين المرحلتين الثالثة والرابعة (الاطـار التصورى وأهـداف البحث) فى مرحلة واحدة٠وقد يجمع غيرهم بين المرحلتين (٧ ، ٨) ونعنى جمع البيانات وتحليل البيانات فى مرحلة واحـدة ، وبالمثل قـد يختلف الباحثون فيما بينهم فى تأكيدهم النسبى على المراحل المتباينة ولكنهم فى النهاية يعتبرون المراحل من ٤ الى ٩ (أهـداف البحث وجمهـور البحث وتحديد البيانات وجمعها وتحليلها وأدارة البحث) وهى الجوانب الفنية فى البحث يعتبرونها جوانب جوهرية فى تصميمه ٠

وقد يحذف الكثيرون المراحل الثلاثة الاولى (التبرير والتاريخ والاطار التصورى) غير أن هذا الموقف الاخير فى اعتقادنا ينطوى على غلطة خطيرة، لاننا نرى أن لهذه المراحل الثلاث الاولى من تصميم البحث اهمية خاصة

بالنسبة للبحث العلمى وذلك لان الفشل فى تقديم تبرير للبحث معناه تعريض الفائدة المحتملة للبحث المقترح للخطر(١) .

وعدم استعراض تاريخ مشكلة البحث قد ينجم عنه اعادة اكتشاف الباحث لخبرة موجودة بالفعل ، كما أن القيام بالبحث دون أطار تصورى يعنى العمل بدون معيار للصدق والذى سيجعل من الصعب فى النهاية على الباحث أن يميز بين نتائج البحث الصادقة لتحقيق أهدافه وتلك غير الصادقة .

وكما أشرنا سلفا أن الترتيب الذى قدمنا به مراحل التصميم قد يختلف عن الترتيب الذى تنظم به مشروعات البحث الاخرى . غير أن التتابع الذى أستخدمناه يعد بمثابة التتابع العلمى والفعلى المعمول به عند التخطيط للبحث وعندما يقوم الباحث بكتابة مشروع البحث يمكن له أن يعيد ترتيب هذه المراحل لتناسب ما تمليه عليه الهيئة الممولة والتى ستلتزم به أو تحقق المستويات المطلوبة(٢) .

وعموما يجب أن يكون التصميم ملائما للوقت المتاح للبحث وللطاقة والمال المخصصان له ، ومتمشيا مع امكانية توافر البيانات اللازمة ،وتعاون الاشخاص أو التنظيم الاجتماعى الذى نلجأ اليه للحصول على البيانات المطلوبة .

خامسا ــ خصائص الخطة :

وقد يفهم البعض من عرض مكونات الخطة ومراحل تصميم البحث على النحو السابق أن خطة البحث ما هى الا سلسلة من الخطوات المحددة والمتعاقبة أو المتراكمة ، الامر الذى قد يضفى عليها طابع الثبات والاستاتيكية . غير أن المفهوم الحديث للبحث وخطته بالتالى قد أوضح لنا الطبيعة الديناميية التى يمتاز بها البحث . فمن أهم خصائص خطة البحث وتصميمه أنها تعد فى واقعها عملية دينامية ، بمعنى أنها من ناحية

(1) Ibid, pp. 71-72.
(2) Ibid., p. 72.

قابلة للتغير Tentative ومن ناحية أخرى تنطوى على تفاعل وتاثير متبادل بين عناصرها أو مراحلها أو مكوناتها .

١ - اذ يعتبر تصميم البحث أو خطته أمرا قابلا للتغير باستمرار وتمر هذه الخطة بتعديلات وتغيرات كلما تقدمت الدراسة وتعمق الاستبصار بموضوعها ، حيث أنه كلما تقدم العمل فى هذه الدراسة ظهر الى النور جوانب جديدة لم تكن معروفة منذ البداية ، وحدثت ظروف جديدة لم تكن متوقعة وتكشفت علاقات وثيقة ، ولذلك كان من الضرورى تغيير الخطة كلما أستدعت الظروف ذلك(١) . لذلك قرر البعض أن جمود وتعقيد وعدم مرونة الخطة يمكن أن يقضى تماما على فائدة البحث فى جملته . كما أن الانغلاق يمثل خطرا يهدد التصميم ولذلك ينبغى أن يكون الباحث متفتحا ومدركا للحاجة الى ادخال تعديلات على تصميم البحث أثناء تنفيذه ، ومن هنا كان البحث الذى أحسن تصميمه على نحو يسمح بالتعديل أكثر احتمالا لتحقيق الاهداف من غيره الذى يفتقر الى مثل هذا النوع من التصميم(٢) .

٢ - ويعتبر تصميم البحث أو خطته بمثابة عملية دينامية تنطوى على تفاعل وتاثير متبادل بين عناصرها أو مراحلها .

فمثلا تتبع منطقيا المراحل الثلاث الاولى - التبرير - والتاريخ - والاطار التصورى - الواحدة منها الاخرى أو تسهم فى عملية تعيين أهداف البحث فى المرحلة الرابعة كما تنطوى عملية التطبيق الفعلى للخطة على عمليات تفاعل هام أو تداخل أو تاثير متبادل . فمثلا ، يترتب على استعراض تاريخ المحاولات السابقة لمعالجة المشكلة المدروسة بالضرورة تعديل فى الطرق البديلة والمحددة فى الخطوة الاولى . وبالمثل ، عندما يحاول الباحث بلورة الاطار التصورى فسوف يطرأ على فهم الباحث للمشكلة (فى المرحلة الاولى) بالضرورة بعض التعديل - لذلك من المفيد أن ننظر الى هذه المراحل الثلاث باعتبارها مجموعة فرعية وتقوم بتنفيذها فى

---

(1). P. V. Young, Op. Cit., pp, 131-132.

(2) R. R. Mayer, & E. Greenwood, p. 68.

ضوء المشروع المكتوب على انها عملية فرعية واحدة . وهكذا قد يكتب الباحث بعض الملاحظات فقط على مبررات البحث مبنية على اكتشافه لطرق عمل بديلة ومعقولة ، ويستمر بدلا من ذلك فى عرضه التاريخى للمحاولات التى عالجت المشكلة والتى توضح ما تنطوى عليه من علاقات محتملة قبل أن يبدأ فى كتابة عباراته التبريرية واستعراضه التاريخى والاطار التصورى كل فى صورته النهائية(١) .

وبالمثل هناك قنوات تأثير متبادل هامة وتكون عمليات فرعية بين المراحل المتبقية من عملية التصميم،أذ يشير تعيين أهداف البحث فى المرحلة الرابعة الى الوحدات التى تمثل موضوع البحث ، والى خصائص هذه الوحدات التى يجب ملاحظتها والى الطريقة التى تتم بها هذه الملاحظة وكيفية تطبيق منهج البحث .

وهكذا يترتب على العبارات الموضحة لاهداف البحث فى المرحلة الرابعة خطوطا ارشادية توجه نحو جمهور الدراسة فى المرحلة الخامسة وتحدد البيانات التى نحتاج الى جمعها (المرحلة السادسة) والى اجراءات جمع هذه البيانات (المرحلة السابعة) وكيفية تحليل البيانات (المرحلة الثامنة) وكل هذه الواجبات العملية ينظر اليها عادة باعتبارها تكون تصميم البحث الفعلى ، ولكن هنا ثانية تؤثر على واحدة من هذه المراحل المتتابعة فى غيرها بحيث تسهم فى تعديل العبارات الموضحة لاهداف البحث (فى المرحلة الرابعة) .

فمثلا فى تحديد جمهور الدراسة ، يجب أن يجد الباحث مجموعة من وحدات الملاحظة والتى يكون من السهل فعلا أجراء الملاحظة عليها وهذا الجمهور الذى يمكن التوصل اليه قد يختلف من بعض الجوانب عن ذلك الذى قصد اليه فى العبارات الموضحة لاهداف البحث . ولكن طالما كان هو الجمهور الذى يمكن التوصل اليه والذى ستنطبق عليه النتائج فان هذه

---

(1) Ibid, p. 73.

الاختلافات يجب أن تؤثر في المرحلة الرابعة أو يكون لها نتائجها على هذه المرحلة بحيث تعدل العبارات الموضحة لاهداف البحث طبقا لذلك ٠

وبالمثل فى الخطوة السادسة عندما تتم صياغة المفاهيم التى تنطوى عليها العبارات الموضحة لاهداف البحث بطريقة أجرائية فى صورة متغيرات يمكن قياسها أو ملاحظتها فانها تأخذ معانى أكثر دقة وأحيانا أكثر أختلافا بعض الشيء عن تلك المعانى التى تنطوى عليها صورتها الاصلية ٠ وهذه الاختلافات قد يكون لها آثارها المنعكسة على المرحلة الرابعة حيث تعدل العبارات الموضحة لاهداف البحث طبقا لذلك وعندما يتم فى المرحلة السابعة تصميم اجراءات جمع البيانات ، قد تتطلب ظروفا معينة مثل خصائص وحدات الملاحظة والاخذ بأساليب ملاحظة معينة من شأنها أن تحدد الجمهور الذى يتم ملاحظته والبيانات التى تجمع ولذلك فان هذه التعديلات لها تأثيرها المرتد على المرحلة الرابعة حيث تعدل أهداف البحث طبقا لذلك(١)٠

وهناك بين المرحلة (٦ ، ٧ ، ٨) تأثيرات متبادلة من نوع خاص اذ يعتمد التحديد الاجرائى للمفاهيم التى نحتاج الى ملاحظتها أو قياسها والتى أخذ بها فى المرحلة السادسة ، تعتمد لدرجة كبيرة على الاجراءات التى نأخذ بها لجمع هذه البيانات ، ذلك القرار الذى يتخذ فى المرحلة السابعة وبالمثل سوف تؤثر القرارات التى تم التوصل اليها فى المرحلة الثامنة (تحليل البيانات) على الصورة التى يتم بها جمع البيانات فى المرحلة السابعة وتحدث كل هذه الخطوات بعض التعديلات فى الادوات المستخدمة٠ كما يجب أن يكون لها تأثيرها المنعكس على المرحلة السابعة حيث يمكن ادخال تعديلات أخرى طبقا لذلك ٠ والخلاصة أنه برغم أن الباحث قد يعالج قرارات المراحل الثلاثة بترتيب ، الا أن نتائجه يجب أن ينظر اليها باعتبارها قابلة للتعديل حتى ينتهى من اتخاذ قراراته فى هذه المرحلة الفرعية وهكذا ينصح بتنفيذ المراحل (٦ ، ٧ ، ٨) باعتبارها وحدة فرعية٠

وتقف المرحلة التاسعة عموما باعتبارها خاتمة عملية تصميم البحث ،

---

(1) Ibid, pp. 73-74.

معتمدة على القرارات المتراكمة التى اتخذت فى كل المراحل السابقة وحتى هنا على أيه حال لا نجد استثناءا : فعنـدما تكون المواد المتاحة لاجراء البحث ثابتة ومعروفة منذ البداية ، فان هذه الحقيقة يجب أن يكون لهـا تاثيرا مرتدا على المرحلة الرابعة لدرجة أن الجوانب الاجرائية من تصميم البحث فى المراحل (٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨) يمكن أن تتاثر بالقيود المالية ٠ وعلى أى الاحوال وبعد ما يتم تقدير تكاليف اجراء البحث فى المرحلة التاسعة ، فان هذا التقرير يجب أن يكون له أثره المرتد على المرحلة الاولى كاختبار نهائى لمبررات البحث المقترح ، ويحدد ما اذا كانت تكاليفة تتجاوز فوائده المتوقعة ام لا ٠

ولذلك من المهم على الباحث أن يجعل التصميم مرنا فى كل مرحلة من مراحل هذه العملية وبدلا من أن يضع عبارات نهائية توضـح كل مرحلة منها ، يجب على البـاحث الواعى أن يقتصر فى كل قسـم على الخطوط المبدئية ٠ وبعد ذلك واستنادا الى المرحلة الاخيرة ، يمكن له أن يعود ويعين القرارات ويعدلها لتناسب بعضها الآخر فى تصميم نهائى متكامل ٠ ويلاحظ أن هذه المراحل التسعة والتى قصـد بها أن تكون موجهات عامة قـد تم التعبير عنها بمصطلحات عامة لكى تناسب معظم مشروعات البحوث وان لم يكن كلهـــا ٠

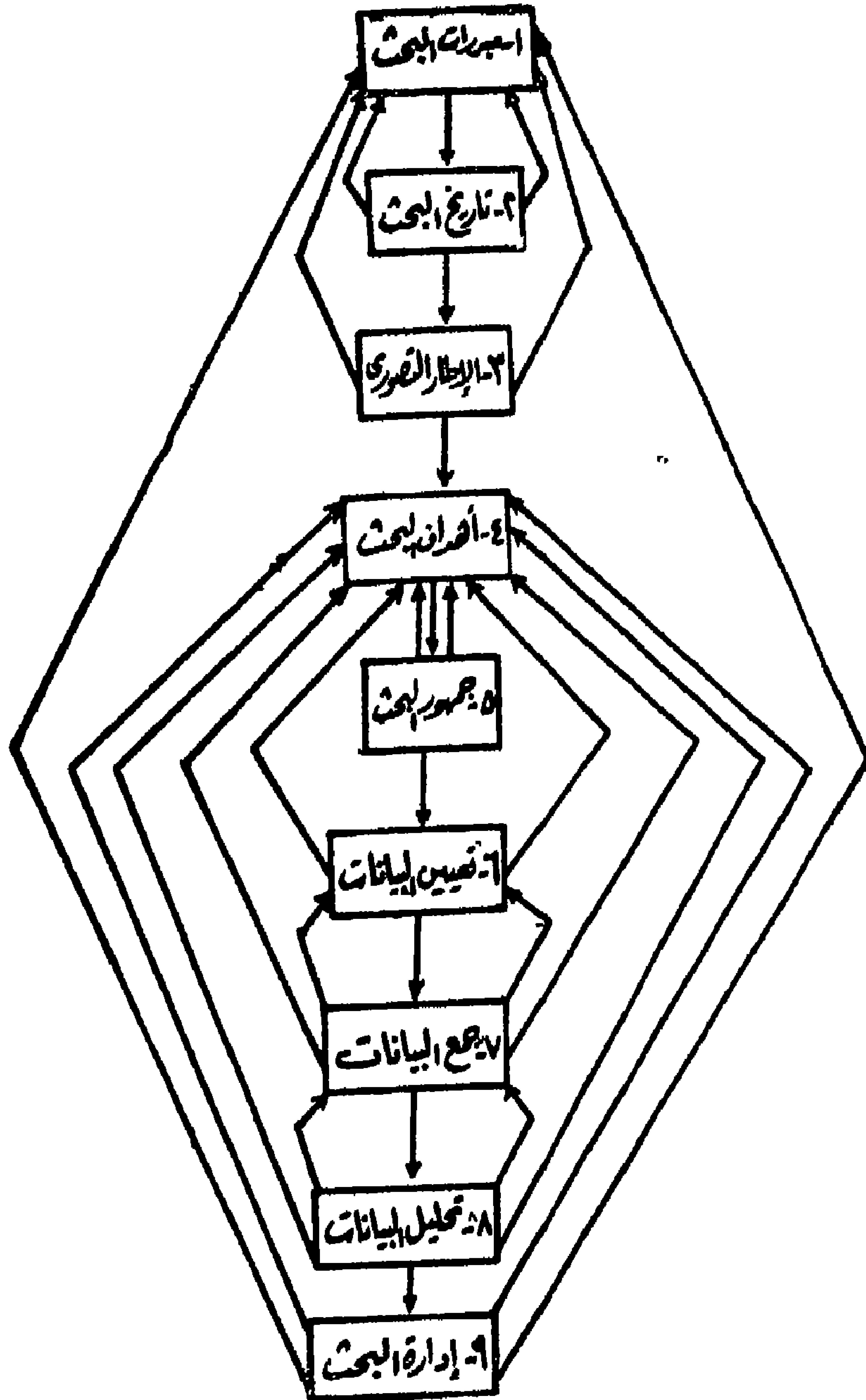
ويضطر الباحث أن يحدد توقعـاته للظروف الفعلية التى يحتمل ان تواجهه فى كل مرحلة من مراحل البحث عند وضع مسودة التصميم ومن ثم يعتبر البحث فى جوهره بمثابة تقريرا وضح مبدئيا ليوضح هذه القرارات الكثيرة قبل أن تواجهنا هذه الظروف الخاصة ٠ ولكن حتى الباحث الاكثر خبرة لا يستطيع أن يتنبأ بكل صعـوبة يحتمل أن تنشأ فى اثنـاء البحث المخطط وهـذا ما يفسر أهمية الدراسة الاستطـلاعية لتصـميم البحث أو التطبيقات على نطاق ضيق التى يمكن من خلالها أن يتعرف الباحث على العقبات والتى ستزيد ــ لا محالة ــ من استبصاره اذ تمكن المعلومات التى توفرها دراسة استطلاعية واحـدة الباحث من أن يعـدل تصميم بحثه أو يعيـــده ٠

ومع هذا ، وحتى عندما يكون البحث مناسبا وقابلا للتطبيق فى النهاية فان الباحث سيكون مضطرا الى اتخاذ بعض القرارات والتى برغم العناية الفائقة بها لايمكن له أن يتنبأ بأهميتها .

ولهذا يعد تصميم البحث الذى أحسن كتابته بمثابة نتاج لقدرة كبيرة على الملاحظة والقراءة والنشاور والتفكير فى المشكلة المدروسة وفى أسلوب تناولها وقتا طويلا(١) .

---

(1) Ibid., pp. 75-76.


١- مبررات البحث
٢- تاريخ البحث
٣- الإطار النظري
٤- أهداف البحث
٥- جمهور البحث
٦- تعيين البيانات
٧- جمع البيانات
٨- تحليل البيانات
٩- إدارة البحث

الباب الثانى

تصميم البحث الاجتماعى

الفصل الخامس : تصميم البحث الاستطلاعى .

الفصل السادس : تصميم البحث الوصفى .

الفصل السابع : تصميم البحث التقييمى .

الفصل الثامن : تصميم البحث التاريخى .

الفصل التاسع : تصميم البحث التجريبى .

الفصل الخامس

تصميم البحث الاستطلاعى وتطبيقاته

أولا : البحث الاستطلاعى بين البحوث الاجتماعية الاخرى ٠

ثانيا : أهداف البحث الاستطلاعى وأهميته ٠

ثالثا : الاجراءات المنهجية فى تصميم البحث الاستطلاعى ٠

١ ـ استعراض التراث ٠

٢ ـ مسح الخبرات العلمية ٠

٣ ـ دراسة بعض الحالات المثيرة للاستبصار ٠

رابعا : تطبيقات على البحوث الاستطلاعية ٠

تصميم البحث الاستطلاعى(*)

تمهيـــــد :

يمثل البحث الاستطلاعى أحد صور البحث الاجتماعى ، ويقف بمثابة حلقة أولى فى سلسلة الحلقات التى تنقسم اليها هذه الصور المتباينة للبحث الاجتماعى ، ويتخذ هذا النوع من البحـــوث وضعا متميزا بـــين غيره من البحوث الاجتماعية ، استنادا **أولا** : الى مجموعة الاهـــداف التى يختص بتحقيقها دون غيره من أنواع البحث الاخرى، **وثانيا** : الى أهميته الجوهرية فى ميدان النظرية الاجتماعية **وثالثا** : الى اعتماد أنواع البحث الاجتماعى الاخـــرى عليه .

وتأسيسا على هذا التمايز فى الاهـــداف والاهمية للبحث الاستطلاعى ينفرد هذا النوع من البحث، باعتماده على مجموعة من الاجراءات المنهجية التى تعينه على تحقيق هذه الاهداف وتأكيـــد تلك الاهمية حيث يعتمـــد البحث الاستطلاعى على أســـاليب استعراض التراث أولا ، ثم يفيـــد من عملية استعراض الخبرات ، وأخيرا يجى دراسة حالة متعمقة لبعض النماذج المفيدة فى هذا الصدد .

والواقع أن التطور فى نطاق البحث الاجتماعى عموما وأنواع البحث الاجتماعى بوجه خاص الذى نشهده اليوم قد انعكس على تلك الاساليب المنهجية ، وأضاف اليها أبعادا جديدة أسهمت فى توضيح طبيعة كل اجراء منهجى منها ، وتنوع الوســائل التى يفيد منها وكيفية تطويعه لاهـــداف البحث الاستطلاعى .

(*) اعد هذا الفصل أ.د. على جلبى .

ولهذا خصصت الفصل الحالى لمناقشة الكيفية التى يمكن بها تصميم البحث الاستطلاعى من خلال توضيح طبيعة هذا البحث وعلاقته بالبحوث الاجتماعية الاخرى والاجراءات المنهجية التى يلزم اتباعها فى تصور التصميم المنهجى له ، والاشارة الى بعض الامثلة التطبيقية فى اجراء البحوث الاستطلاعية .

أولا ـ البحث الاستطلاعى بين البحوث الاجتماعية الاخرى :

توضح العناوين التى وضع تحتها هذا النوع من البحوث، الاستطلاعية أو الاستكشافية (exploratory) طبيعة هذه البحوث وتبين ان التركيز الاساسى لها ينصب على اكتشاف الافكار الجديدة والاستبصارات المتباينة التى تعين على فهم المشكلة المدروسة فى البحث . وهذا معناه أن البحوث الاستطلاعية تنصرف باهتمامها نحو التوصل الى الاستبصارات أو بلورة فروض ، دون محاولة اختبار هذه الفروض أو حتى التدليل على صحتها(١). والواقع أن هذا التحديد للبحث الاستطلاعى يمكن أن يفيدنا فى توضيح علاقة البحث الاستطلاعى بالبحوث الاجتماعية الاخرى فاذا كانت هذه البحوث الاستطلاعية تختص بمهمة استكشاف الفروض فانه يمكن النظر الى هذه البحوث الاستطلاعية باعتبارها أول خطوة فى سلسلة البحث الاجتماعى وأن هناك أنواعا أخرى من البحوث تنصرف باهتمامها نحو اختبار امكانية تطبيق أو التحقق من صحة وسلامة تلك الفروض التى قامت الخطوة الاولى فى البحث ونعنى البحث الاستطلاعى ـ ببلورتها .

وعلى هذا ينظر الى البحث الاستطلاعى فى ذاته باعتباره خطوة أساسية بين مجموعة خطوات أخرى تنطوى عليها عملية البحث الاجتماعى المستمرة ، يتوقف العمل فى مراحل البحث الاخرى التى تلى الدراسات والبحوث الاستطلاعية ، وخاصة الاختيار الواعى للمناهج التى يعتمد عليها فى البحوث الاخرى ، فى جانب كبير منه ، على البداية الصحيحة

---

(1) Claire Selltize, et al, Research Methods in Social Relations New Yew York, 1976, p. 91.

والملائمة التى يخطوها البحث الاستطلاعى ، كما يتوقف على فعالية هذه الخطوة فى التغلب على المشكلات والصعوبات التى قد تواجهها تلك المجموعة من البحوث الاخيرة(١) ٠

ثانيا ـ أهداف البحث الاستطلاعى وأهميته :

يهدف الكثير من البحوث الاستطلاعية الى بلورة مشكلات تحتاج الى بحوث أكثر دقة فيما بعد ٠ كما تهدف هذه البحوث الاستطلاعية الى بلورة بعض الفروض حول هذه المشكلات ، ولكن هذا لا يمنع من أن يكون للبحث الاستطلاعى بعض الوظائف الاخرى ، حيث أنه قد يهدف الى زيادة الفة الباحثين بالظواهر التى يرغبون فى تعمق دراستها باجراء بحوث أخرى أكثر دقة فى مواقف يخططون لاجراء بحوثهم المستقبلة حولها ، وكذلك قد يهدف البحث الاستطلاعى الى توضيح بعض المفهومات ، فضلا عن أنة قد يهدف الى تحديد الاولويات بين الموضوعات التى تحتاج الى بحوث مستقبلة ٠ أو قد يهدف كذلك الى جمع معلومات تتعلق بالامكانيات الفعلية اللازمة لاجراء بحوث على مواقف الحياة الواقعية ، وكذلك قد يهدف البحث الاستطلاعى الى احصاء المشكلات التى قد ينظر اليها المشتغلون بأحد الميادين الاجتماعية باعتبارها مشكلات ملحة تحتاج الى بحث فورى(٢) ٠

وتفرض ظروف الحداثة النسبية التى تميز علوم المجتمع وكذلك ندرة البحوث الاجتماعية ضرورة اجراء المزيد من مثل هذه البحوث الاستطلاعية ، ولهذا فان البحوث الاستطلاعية ستظل تلعب دور الريادة فى مجال البحث الاجتماعى لفترة طويلة ذلك لان الباحثين فى مجال العلوم الاجتماعية يواجهون بعض الصعوبات خاصة تلك المتمثلة فى طابع العمومية الذى لازال يميز النظرية فى هذه العلوم والذى يحتاج الى توفير مزيد من الشواهد والادلة الواضحة من خلال البحث الامبيريقى ، ويحتل البحث الاستطلاعى فى اطار هذه الظروف مكانة هامة وذلك بفضل ما يعلق عليه من أهمية فى

---

(1) Ibid., p. 90.

(2) Ibid, p. 91.

توفير تلك الخبرة الواقعية التى ستكون لها فائدتها فى بلورة الفروض المناسبة والتى تحتاج الى بحوث أكثر تعمقا بعد ذلك ، فلنفرض مثلا أن لدينا إهتماما بالتوصل الى قدر من الفهم والاستبصار بالعمليات التى تؤثر من خلالها البيئة الاجتماعية فى الاضطربات السيكولوجية • وبالرغم من توفر الكثير من الكتابات التأملية حول هذا الموضوع ، وكذلك وجود بعض البحوث الواقعية ذات الصلة غير المباشرة بهذا الموضوع ، فقد يجد القائمون بالبحث الذين يدخلون الى هذا المجال أنفسم فى موقف لا يسمح لهم بتقديم أية فروض دقيقة تتصل بهذا البحث • وتصبح هذه المهمة شاقة وصعبة المنال اذا أقدموا على هذا العمل بدون تسلحهم ببعض المعرفة المتعلقة بهذا المجال والمرتبطة بالمتغيرات الاجتماعية الرئيسية التى تؤثر فى الاضطرابات السيكولوجية ، وكذلك المعرفة التى تدور حول المواقف التى تحدث فيها مثل هذه المتغيرات • ولهذا توصف كل محاولة مسبقة فى هذا المجال لبلورة بعض الفروض بالسذاجة * ومن ثم تكتسب الدراسة الاستطلاعية أهميتها فى مثل هذه المواقف التى يدور فيها البحث حول مشكلات لم يتوافر بصددها القدر الكافى من المعرفة بحيث يكون من المناسب تناول هذا النوع من المشكلات استنادا الى اجراءات البحث الاستطلاعى(١) •

ومن المؤسف مع هذا أن نجد هناك بين المشتغلين بالبحث الاجتماعى اتجاها للتقليل من اهمية البحوث الاستطلاعية والنظر الى البحوث التجريبية على أنها تمثل النوع الوحيد من البحث الذى يكتسب صفة العلمية والواقع أنه اذا كان للبحث التجريبى قيمة نظرية أو اجتماعية فان هذه القيمة مستمدة من توفر مجموعة من القضايا الاعم من تلك التى تتناولها التجارب والتى يمكن استخلاصها من خلال الكشف المدقق عن أبعاد المشكلة وزيادة الاستبصار حولها ، وهذا ما يختص به البحث الاستطلاعى(٢) •

ولقد أشار نورث روب (North Rop) الى أنه كثيرا ما ينغمس الباحثون

---

(1) Ibid, p. 92.
(2) Ibid, p. 92.

فى تناول موضوعات دراساتهم ويرسلون الاستبيانات ويجمعون كما هائلا من المعطيات أو حتى قد يجرون تجارب توصلهم فى النهاية الى مجموعة نتائج لا تحقق الاهداف التى يسعون اليها بقدر ما تثير فى نفوسهم التعجب والتساؤل عن ما الذى يبرهن عليه كل هذا الجهد » كما قد يتاثر البعض الآخر بمدى النجاح الذى يحققه منهجا علميا معينا فى أحد الميادين ثم يتسرعون فى تطبيق هذا المنهج بدون تيقن من جانبهم بطبيعة هذا المنهج، الامر الذى يوصلهم الى نتائج أخرى قد يقفوا ازاءها متعجبين/. وتدل كل هذه الخبرات على أنهم قد أخذوا فى الشروع فى البحث واقدموا على هذا الجهد دون حرص منهم على تقدير أهمية البحوث الاستطلاعية التى يمكن أن يتجنب معها الباحثون كل هذا التعجب والدهشة ، باعتبار هذا النوع من البحث قد يعيننا فى التعرف على امكانية الاستفادة من تلك الاجراءات المنهجية قبل الاعتماد عليها فى البحث .

ثالثا ـ الاجراءات المنهجية فى تصميم البحث الاستطلاعى :

هناك عدد من الاجراءات المنهجية المحددة التى اتضح أنها أكثر اثمارا فى التعرف على المتغيرات الهامة وفى التوصل الى الفروض ذات المغزى والاهمية ، أو بعبارة أخرى ، هناك بعض الاجراءات المنهجية التى تسهم فى مساعدة البحث الاستطلاعى على تحقيق أهدافه ، والقيام بدوره فى نمو المعرفة ، ولذلك من المتوقع أن تشمل كل محاولة لوضع استراتيجية منهجية للبحث الاستطلاعى أو اختيار الاجراءات المنهجية فى تصميم هذا النوع من البحث ، على مثل هذه الاجراءات المنهجية .

وتشتمل هذه الاجراءات المنهجية على :

١ ـ استعراض تراث العلم الاجتماعى الذى له صلة بالموضوع المدروس، وكذلك جوانب التراث الاخرى التى تسمح لنا باستخلاص نتائج تلقى الضوء على هذا الموضوع .

٢ ـ مسح الخبرات العملية بين الاشخاص الذين اهتموا بالمشكلة موضوع الدراسة .

٣ ـ دراسة بعض الحالات التى تثرى من فهمنا وتزيد من استبصارنا بالمشكلة المدروسة(١) .

وقد تستفيد معظم الدراسات الاستطلاعية من واحد أو أكثر من هذه الاجـراءات المنهجية فى وقت واحـد . ولكن مهما كـان الاجراء المنهجى المستخدم والمختار فى هذه الدراسة فانه ينبغى أن ينطوى هذا الاستخدام على قدر من المرونة، حيث أنه من الضرورى مع كل تغير يطرأ على المشكلة المدروسة من حالة كانت تتسم فيها المشكلة بالغموض فى البداية الى حالة تكتسب فيها هذه المشكلة معنى أكثر دقة ، من الضرورى أن تتغـير أيضا اجراءات البحث لتتنـاسب جمع المعطيـات التى تسمح ببلـورة الفروض المتعلقة بهذه المشكلة، والتى تعين فى الوقت نفسه على أخذ الجوانب المتباينة للمشكلة المدروسة فى الاعتبار .

١ ـ استعراض التراث :

تستند أهمية عملية استعراض التراث الى المكانة المتميزة التى يضفيها هذا العمل على الباحثين ، ذلك لانه كلما زاد مقدار ما يعرفه الباحث من نتائج البحوث ذات الصلة بدراسته ، زادت قدرته على تناول مشكلته والقاء الضوء عليها ، وتهدف هذه العملية عموما الى اعادة النظر مرة ثانية فيما هو متـاح من تراث (التقارير التى أعـدها آخرون) فى الميـدان المتعلق بموضـوع البحث أو حتى فى ميـادين أخرى يمكن أن نثرى فهمنا بهـذا الموضـوع(٢) .

ولعملية استعراض التراث أهدافا عديدة ، فهى تساعد الباحث وتعينه على تناول مشكلة بحثه ، باعتبارها محورا لكل جهود البحث ، ذلك أنه فى اللحظة التى يكون فيها الباحث قد اختار مشكلة معينة فانه ينبغى أن يتجه بكل جهده نحو البحث عن حل لهذه المشكلة . ويساعد وقوف الباحث على ما قام به غيره من جهد فى هذا الصدد ، على مده بالاستبصار والمعرفة

---

(1) Ibid, p. 92.
(2) Paul, D, Leedy, Practical Research; Planning & Design Op. Cit., p. 28.

المناسبة التى تعينه على تناول هـذه المشكلة • ويمكن لاستعراض التراث أن يفيد الباحث من النواحى التالية :

١ ــ يمكنه من الكشف عن النتائج التى توصل اليها باحثون سبق أن تناولوا هذه المشكلة وتوضح كيفية معالجتهم لما تنطوى عليها هذه المشكلة من مــــواقف •

٢ ــ يمكنه من الاشارة الى المنهج أو الطريقة التى يمكن بها معالجة مواقف المشكلة كما يمكن أن تقترح عليه أساليب التغلب على الصعوبات المماثلة التى يحتمل أن تواجهه •

٣ ــ يمكن أن يوضح للباحث مصادر المعطيات أو البيانات التى قد لا يعلم عن وجودها شيئا •

٤ ــ يمكن أن يعرفه بالباحثين الذين يشهد لهم بالكفاءة والاهمية ، والذين قد لا يعلم الباحث عن جهودهم فى البحث أى شىء[١] •

٥ ــ يساعد الباحث على أن يكون نظرة تاريخية مقارنة لمشكلة بحثه من خلال ربطها بالمحاولات السابقة التى تناولت نفس المشكلة أو مشكلات شـــــبيهة •

٦ ــ يمكن أن يمد الباحث بأفكار جديدة ومداخل لم يسبق له العلم بهــــا •

٧ ــ يمكن الباحث من تقييم جهــوده فى البحث بالمقارنة بينها وبين الجهود المماثلة الاخرى ذات الصلة •

وعموما تنحصر مهمة استعراض التراث فى الوقوف على النقاط التى انتهى اليها الآخرون قبلنا ، والتعرف على أهم أوجه النشاط التى كانت تشـــغلهم[٢] •

---

(1) Ibid, p. 59.

(2) Ibid, p. 59.

ولهذا كله تعتبر عملية استعراض التراث والتاسيس على الجهود التى قام بها بالفعل باحثون آخرون من بين أهم الطرق التى يمكن من خلالها الاقتصاد فى الجهد المبذول فى أى بحث • وفى الدراسة من النوع الذى نناقشه هنا ينصب الاستعراض على الفروض التى يمكن أن تؤدى الى بحوث أخرى فى المستقبل • وهذه الفروض قد يعبر عنها صراحة باحثون سابقون فى كتاباتهم المختلفة / ومن ثم فان مهمة استعراض التراث هنا تنحصر فى عملية جمع تلك الفروض المتباينة والتى سبق التوصل اليها وذلك حتى يمكن تقييم فائدتها كاساس لاجراء بحوث أخرى فى المستقبل ، والنظر فى امكانية أن تساعد هذه الفروض على بلورة غيرها من الفروض الجديدة ، خاصة وأنه كثيرا ما تهتم البحوث الاستطلاعية بالمجالات التى لم يتم بعد بلورة فروض حولها ، ولذلك فان مهمة استعراض التراث هنا تنحصر فى التعرف على المادة المتاحة والمعطيات المتوافرة وتحسس الفروض التى يمكن اشتقاقها من تلك المادة(١) •

وتاسيسا على هذه الاهمية والاهداف التى يسعى اليها مسح التراث كاجراء منهجى فى تصميم البحوث الاستطلاعية،قد تثار تساؤلات مؤداها : ما هو هذا التراث الذى نقدم على استعراضه ؟ وأين نجده ؟ وكيف يمكن استعراضه والافادة منه ؟

والواقع أنه اذا سلمنا بأن الهدف العام للبحث الاستطلاعى يتمثل فى محاولة بلورة فروض علمية تتعلق بمشكلة جديدة بالنسبة لنا أو مشكلة أخرى تقل خبرتنا النظرية أو التطبيقية بها ونريد أن يزداد فهمنا لها من خلال هذه الفروض ، فان حديثنا السابق عن الفروض العلمية ومصادر تكوينها ، التى تنحصر فى نتائج البحوث السابقة ، والنظريات العلمية ، والكتابات الادبية والتاريخية والفلسفية ، قد يساعدنا فى التعرف على طبيعة التراث الذى ينبغى أن نرجع اليه وتجرى الاستعراض اللازم لهذه الدراسة الاستطلاعية •

---

(1) C. Selltiz, et, al., Op. Cit., p. 93.

اذ هناك مصادر متباينة تمدنا بالمزيد من المعلـومات المتعلقة بنتائج البـحوث السابقة وخـلاصة المناقشات النظرية وتصدر فى صور بحـوث أو مقالات علمية أو ملخصات أو غيرها ، ويمكن أن نذكر من هذه المصادر . الفهارس Indexes (١) والملخصات abstracts (٢) ، والقوائم الببليوجرافية Biliogarfy (٣) والمجـلات والدوريـات العلـمية Journals (٤) وكتب والمراجع العلمية Texts (٥) .

---

(١) من أمثلة هذا النوع من الفهارس والمتـاح فى المكتبة العربية ، تلك التى أعدها المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية :

أ) فهرس بالمقالات التى صدرت فى أعداد المجلة الاجتماعية القومية مايو ١٩٧١ .

ب) فهرس بالمقالات التى صدرت أعداد المجلة الجنائية القومية، العدد الثانى ــ يوليو ١٩٧١ ــ المجلد الرابع عشر .

(٢) ومن أمثلة هذا النوع من الملخصـات ، أ ــ مـا تنطوى عليه رسائل الماجستير والدكتوراه المجازه فى الجامعات المصرية ، وضرورة أن يقدم الطـالب ملخصا باللغتـين العربية والانجليزية لموضـوع رسالته . ب ــ الملخصات الاجتماعية Siciological Abstracts .

(٣) ومن أمثلة القوائم الببليوجرافية :

أ) قائمة باعمـال المشتغلين بعلم الاجتمـاع فى مصر . المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية .

ب) دليل المشتغلـين بالعلوم الاجتمـاعية ، منظمة تطـوير العلوم الاجتماعية فى الشرق الاوسط ــ الجامعة الامريكية ــ القاهرة .

جـ) ببلوجرافية بالدراسات السكانية فى الوطن العربى ، محمد زهره ، معهد البحوث والدراسات العربية .

د)
The international index of Social Sciences & Humsanites.

(٤) ومن أمثلة المجلات والدوريات العلمية .

أ) حوليات كليات الآداب فى الجامعات المصرية .

ب) المجلة الاجتماعية القومية والمجلة الجنائية القومية .

جـ) الكتاب السنوى لعلم الاجتماع فى مصر .

(٥) من أمثلة الكتب والمراجع العلمية ، وما يصـدره المشتغلون بعلم الاجتماع فى مصر سواء العاملين فى الجامعات المصرية ، أو مراكز البحث العلمى ، أو المعاهد القومية ومنها المعهد القومى للتخطيط .

وقد يعتقـد البعض أن استعراض القوائم الببليوجرافية سوف يستغرق وقتا طويلا ، وأن الباحث سوف لا يعثر على بحث له دلالته وأهميته فيما يتعلق بالميدان الذى يهتم به . والواقع أن هذا الاعتقاد بعيدا عن الصواب، وربما كان الذين يتمسكون به هم أولئك الباحثين الذين يفشـلون فى بناء جهودهم استنادا الى جهود باحثين سابقين عليهم . اذ ليس هناك ما يبرر القول بعدم توفر مادة وثيقة الصلة بالموضوع ، بدون البحث المتكامل فى نطاق المجلات التى يحتمل أن تضم مقالات حول الموضوع المختار للدراسة. وكذلك بغـير البحث فى نطـاق منشورات من نـوع الملخصات والقـوائم الببليوجرافية وقوائم رسائل الدكتوراه التى أجيزت فى الجـامعات والتى وضعت نسخ لها فى كافة المكتبات وكذلك ملخصات الرسائل التى تمدنا بها اجهزة الميكروفيلم فى مؤسسات التوثيق والبحث . هذا فضـلا عن مصادر أخرى حكومية وتنظيمات غير رسمية أو تطوعية والتى تقوم بنشر قوائم أو ملخصات للبحوث التى تجرى فى ميدان اهتمامها ، والتى تصدر مجلات تضم تقاريرا للبحوث حـول مثل هذه الموضوعات أو القضـايا ذات الصلة بالعلاقات الجماعية أو غـيرها ، اذ تعتبر التنظيمـات المهنية وجماعات البحوث والتنظيمات التطوعية بمثابة مصادر للمعلومات المتعلقة بالبحوث غير المنشورة فى ميدان اهتمامها(1) .

وقد يجانبنا الصواب عندما نحصر انفسنا فى استعراض نتائج البحوث والدراسات التى لها صلة مباشرة بالموضوع الذى يشغل اهتمامنا / وربما كانت هناك وسيلة أخرى اكثر اثمارا فى تنمية الفروض أو تكوينها تتمثل فى محاولة استعراض المفـاهيم والنظريات التى تم بلورتها فى ميادين أو سياقات للبحث مماثلة أو مغايرة تماما على الميدان الذى ينشغل بدراسته الباحث . وهكذا قـد تمدنا النظرية المتعلقة بمستويات التوافق والتى تم بلورتها فى نطاق دراسة المشكلات السيكولوجية بمماثلات مثيرة تفيد المهتمين بدراسة العوامل ذات الفعالية : كاثر ادراك خصائص الاعضاء على الجماعة العنصرية غير جماعة الشخص نفسه . وقـد تمدنا نظرية مستوى الطموح

---

(1) Ibid, p. 93.

بافكار مناظرة تفيد من يدرسون الاهداف المتغيرة فى المجتمع المحلى ، وكذلك قد تمدنا نظرية التعليم بشىء من الفهم والاستبصار بالعمليات ذات الصلة بتغير اتجاهات الفرد ، وبمفهوم الدور،والاغتراب السياسى والمعايير الاجتماعية ، والحاجات السيكولوجية ، والاحباط ، وبناء الجماعة وغيرها من الموضوعات التى قد توجه انتباهنا نحو المتغيرات الهامة فى كثير من المواقف الجديدة التى يمكن أن تخضع للدراسة(١) .

كما تعد الاوصاف الحساسة التى تنطوى عليها الكتابات الادبية والتاريخية والفلسفية خاصة التى وضعها المؤلفون ذوى القدرات الخلاقة بمثابة مصدرا خصبا للفروض التى تحتاج الى دراسة . اذ يمكن للمشتغلين بالعلوم الاجتماعية أن يستفيدوا من ثراء أوصاف الروايات الادبية ، كما أنهم قد يجدون فى التراث الادبى العالمى كثيرا من الاشارات أو التلميحات المثيرة والمتعلقة بالمتغيرات الهامة فى المواقف التى يرغبون فى دراستها ، فمثلا تنطوى كتابات (الن باتون) (Alan Paton) بعنوان الصرخة وبلد المحبوب ، ومؤلف (جان بول سارتر) عن صورة المعارض ، وكتاب (ريتشار رايت) عن الابن الوطنى ، وكتاب (الدريدج كليفر) عن روح فوق الجليد ، تنطوى كلها على تحليلات متعمقة توضح أسباب التعصب ونتائجه .

ولكن أين نجد كل مصادر التراث السابقة ؟ وكيف يمكن الافادة منها وعرضها بطريقة تفيد فى تحقيق أهداف عملية استعراض التراث هذه ؟

الواقع أن المكتبات العامة والخاصة تمدنا بالكثير من الفهارس والملخصات والقوائم والمؤلفات ، واذا أردنا أن نعرف الكيفية التى يمكن بها التعامل مع المكتبة ، وأن نتعرف على الطرق التى يسهل من خلالها الافادة من الانواع الهائلة من المعلومات المتوافرة بها علينا أن نأخذ فى اعتبارنا بعض التوجيهات المثمرة فى هذا الصدد والتى قد تفيد الباحث المبتدا وهو يشرع فى استعراض التراث ذا الصلة(٢) .

---

(1) Ibid, p. 93.

(2) P. D. Leedy, Op. Cit., p. 59.

اذ يمكن للباحث الاستعانة بأساليب تجميع البيانات مثل الكروت التى تفيد فى جمع وتسجيل المعلـومات والرجوع اليها كلما استـدعى الامر فى وقت لاحق ، وكلما كان ذلك ضروريا ، والتى يكتب عليها البنود التالية :

المؤلف وعنوان المقال والدورية أو الكتاب واسـم الدورية أو عنوان الكتاب والناشر وبلد النشر والتاريخ والصفحـات المقتبس منها ومصـدر المعلومات الببليوجرافية والمكتبة التى توجد بها والعلاقة بالمشكلة موضوع البحث ، ثم تعليق .

وفيما يلى مثال على هذا النوع من الكروت وما يشتمل عليه من عناصر:

رقم مسلسل :

المـــــؤلف :

عنوان المقـال :

عنوان المجـلة :

الجزء :	الصفحة :	الشهر :	السنة :
مكان النشر :	الناشر :	تاريخه :	الطبعة :

مصدر المعلومة الببليوجرافية :

المكتبة التى توجد بها :

رقم الكتاب فى المكتبة :

العلاقة بالمشكلة موضوع البحث :

التعـــليق :

ويمكن للباحث ان ينسخ أكثر من صورة لهذا الكارت كلما كان ذلك ضروريا ، حتى يستطيع ترتيب هذه الكروت مرة حسب أسم المؤلف ومرة حسب الرقم المسلسل وأخرى حسب الموضـوع ، حتى يمكن الاختصار فى الوقت والمجهود والبعد عن التكرار(١) .

---

(1) Ibid, p. 60.

ومن المفيد ربط الفكرة التى ينطوى عليها كل كارت بالجوانب العديدة لمشكلة البحث أو محاولة تقسيم هذه الفكرة ووضعها تحت عناوين مختلفة، حيث تساعد كل هذه الخطوات على اضفاء طابع الدقة والتنسيق والاهتمام على جهد الباحث وتوفر الكثير من وقته ٠

ومن الضرورى أن يحرص الباحث على ربط النقاط التى تنطوى عليها الكروت بالمشكلة المدروسة ، بأن يضع مشكلة بحثه أمام عينيه باستمرار ، ودائما ما يسأل نفسه كيف ترتبط هـذه النقطة من نقـاط التراث بالمشكلة موضوع البحث ؟

ذلك لان الكشف عن هذه العلاقة لا توقع البـاحث تحت اغراء عملية تجميع قدر ضخم من التراث بطريقة غير منظمة(١) ٠

ولكن كيف يعرض الباحث هـذه المعلومات بطريقة تحقق له أهـداف عملية استعراض التراث ؟ ذلك لانه قد يجد الكثير من الباحثين صعوبة فى الافادة من هذا الاستعراض الذى أجروه لتراث بحوثهم، بل كثيرا ما لايعرفون كيف يتصرفون بشأنه ، أو كيف يعرضون نتائج التوثيق الذى قاموا به ، وكيف يفيدون من الاقتباسات التى أخذوها اثناء قراءاتهم ٠

ويمكن الاشارة هنا الى بعض التوجيهات التى قد تساعد الباحث على تحقيق هذا الهدف ٠

ان ربط الباحث لمشكلة بحثه ومناقشته لها فى صلتها بجهود الآخرين ، وتركيزه على عناصر التراث ذا الصلة يجعل الباحث يدرك أو يفهم موضوع بحثه فى الاطار المناسب ٠ ومن شأن هـذا الاستعراض الواعى للتراث أن يضع أمام الباحث الامكانيات التى قد لا يكـون مدركا لها ٠ ويضفى حرص الباحث على تخطيط وتنظيم عناصر التراث ، أهمية كبيرة على هذا الجهد، ولهذا كان على الباحث أن يرسم معالم مناقشته ويسترشد فى ذلك بالمشكلة

---

(1) Ibid, p. 61.

التى يقوم بدراستها لانها تشير عليه بالمجالات المناسبة التى تحتاج الى مناقشة كما ترشده الى الوجهة التى يجب أن تاخذها عملية مناقشة التراث هذه ٠

فهناك أولا الدراسات الكلاسيكية والكتابات ذات الوجهة التاريخية التى مهدت الطريق أمام جهود البحث فى هذا المجال ، وهى دراسات تتناول نطاقات أو موضوعات أوسع قد تقع فى اطارها مشكلة البحث ، ويساعد الرجوع اليها على ربط نطاق الاهتمام الخاص بالآفاق التاريخية الاوسع وعلى تنمية منظور تاريخى يوجه جهود الباحث الخاصة ٠

وهذا يعنى أن يبدأ الباحث مناقشته للتراث ذا الصلة من منظور شامل يشبه الهرم المقلوب ؟ القاعدة العريضة ثم يمكن له أن ينتقل بعد ذلك الى تحليل الدراسات الاكثر تخصصا والتى لها صلة مباشرة بالمشكلة المدروسة(١) ٠

٢ ـ مسح الخبرات العملية :

لا ينطوى التراث المكتوب وعناصره المختلفة الا على جانب بسيط من المعرفة أو الخبرة المتاحة ، وذلك لان هناك الكثير من الناس الذين يحتلون أوضاعا تسمح لهم فى معرض خبراتهم اليومية بتكوين جانب آخر من الخبرة والمعرفة والتى يحتفظون بها فى ذاكرتهم لان الظروف لا تساعدهم على نشرها ، اذ يحتمل أن يكون لدى مدير دار ايداع مثلا قدرا من الفهم والاستبصار يتعلق بخصائص الجانحين الاحداث وفعالية الاساليب المتباينة فى التعامل معهم وقد يكتسب القائم بالخدمة الاجتماعية الطب نفسية حساسية الظروف البيئية التى تعوق تكيف المرضى المفرج عنهم من مؤسسة عقلية وكذلك قد ينمو لديه فهما لتلك العوامل التى تدعم هذا التكيف ، بحيث يكتسب مثل هؤلاء المتخصصون فى مجرى حياتهم العملية رصيد من الخبرة قد يكون لها قيمة كبيرة فى مساعدة المشتغلين بالعلوم الاجتماعية وتجعلهم على دراية بالمؤثرات الهامة التى لهـا فعاليتها فى أى موقف قد تتركز عليه دراساتهم الاستطلاعية ٠

---

(1) Ibid, p. 62.

وتهدف عملية مسح الخبرات الى جمعها والتاليف بينها على نحو يزيد من استبصارنا بالمشكلة المدروسة(1) ٠

انتقـاء الخبرات :

وتملى علينـا خاصية الاقتصـاد فى البحث ضرورة قيـام عملية مسح الخبرات على الانتقاء الواعى ، وطالما كانت عملية مسح الخبرات تهدف الى تحقيق نوع من الفهم والاستبصار بالعـلاقات بين المتغيرات أكثر من اهتمامها بتكوين صورة دقيقة للاسـاليب الدارجة أو المـارسات الافضل ، أو حتى بالتقارير الاحصائية المتعلقة بهذه المهنة ٠ كان من الضرورى انتقاء ذوى الخبرة الذين يحتمل أن يمدونا أكثر من غيرهم بهـذه الاستبصارات التى نبحث عنها ، أو بعبارة أخرى انتقاء عينة من الاشخاص العاملين فى الميدان الذى تهتم بدراسته ٠

بحيث يستبعد من مسح الخبرات هـذا الاشخاص قليلى الكفـاءة أو الذين يفتقـرون الى الخبرة المـلائمة أو من تعوزهم القـدرة على توصيل خبراتهم الى الآخرين ، وأن يشمل المسح كل شخص ينظر اليـه باعتباره اخباريا نشطا ٠ وربما كانت الطريقة المباشرة لانتقاء الاخباريين هى التى نطلب فيها من القارئين على أمر الادارة والعاملين فى الميـدان الذى يريد الباحث دراسته بأن يشيروا لنا الى الاشخاص الذين تتوافر لديهم معلومات أكثر وخبرة انسب وقدرة أفضل على التحليل ٠ وبرغم أن هـذه الطريقة قد تضمن لنا التـوصل الى الاشخـاص الذين لديهم خـبرة تحفزنا على الاستبصار والفهم ، الا أنها قد توصلنا الى الاشخاص ذوى السمعة بما لديهم من خبرة وأفكار جيدة بحيث يزداد احتمال التوصل الى الاخباريين. الاكثر فائدة اذا أوصى أكثر من مصدر واحد مغاير للآخر فى وجهة نظره بضرورة الرجوع لاشخاص معينين(2) ٠

وعلى الرغم من أن العينة العشـوائية من المشتغلين فى الميـدان الذى

---

(1) C. Selltize, et, al., Op. Cit., p. 94.

(2) Ibid, p. 95.

يهتم به البحث قد لا تكون لها قيمة كبيرة فى عملية مسح الخبرات ، الا أنه من المهم أن ننتقى هؤلاء الاخباريين بصورة تحقق لنا شرط تمثيل النماذج المتباينة فى وجهات النظر وفى أنواع الخبرة / فمن الجوهرى مثلا فى مسح الخبرات حول العوامل المؤثرة فى الروح المعنوية بين المشتغلين بالصناعة ، أن تجرى مقابلات شخصية مع اخباريين من بين صفوف الادارة والعمال ، واخباريين على مختلف المستويات فى كل جماعة ـ العمال ـ ملاحظى العمال ـ شئون الافراد ـ مديرى النقابة وهكذا ، للتوصل الى وجهات نظر متباينة .

سؤال الاخباريين :

ومن الضرورى قبل القيام بأية محاولة منظمة لجمع الاستبصارات من الاخباريين أن يكون لدينا بعض الافكار الاولية المتعلقة بالقضايا الهامة فى الميدان الذى نهتم بدراسته وبعد استعراض التراث والقوائم البيبليوجرافية من أحد مصادر هذه الافكار ، كما أشرنا سلفا ، ينبغى تكوين دليل للمقابلة الشخصية وتوجيه الاسئلة المنظمة للاخباريين أن تجرى مقابلات غير مقننة مع الاشخاص الذين عرفوا بخبراتهم المكثفة فى ميدان البحث ونتناول معهم أو نعرض عليهم تلك المعلومات التى استخلصناها من أستعراض التراث(١) .

وعلى الرغم من أن أضفاء طابع التقنين والتنظيم على المقابلات الشخصية قد يسهم فى ضمان الاجابة على التساؤلات التى يطرحها الباحث ، الا أن الاحتفاظ بقدر من المرونة فى المقابلة يتيح الفرصة أمام الاخبارى لاثارة القضايا والتساؤلات التى لم يأخذها الباحث فى اعتباره سلفا أو من قبل ./ومن المفيد عموما فى بلورة تساؤلات يعتمد عليها دليل المقابلة الشخصية مع الاخباريين ، أن نوجه انتباهنا نحو العوامل المؤثرة التى تسهم فى أحداث التغير ، ذلك لان العاملين فى الميادين الاجتماعية التطبيقية S. Pratitionars والذين ينتبهون باضرورة الى الحاجات الملحة التى

---

(1) Ibid, p. 95.

يحتاج اليها العمل الذى يشغلهم ، يتجهون باهتمامهم نحو تحقيق التغير ونحو العوامل المؤثرة فيه .

ويحتمل أن يكونوا أكثر فهما وقادرين على الاجابة على السؤال المصاغ فى عبارة تطبيقية من الاجابة على سؤال آخر يغلب عليه الطابع المجرد . ويتيح ذلك التركيز على التغير أمام الباحث فرصة جمع استبصارات بالعمليات التى تستمر فى التأثير عبر فترة زمنية ، والتى يعمل الوضع الفريد لهؤلاء المنفذين على سهولة ملاحظتها .

واذا لم يكن اهتمام الباحثين منصرفا فقط نحو العلاقات النظرية المحتملة بين المتغيرات وكانوا يهتمون أيضا بمضامين هذه العلاقات ذات الصلة بالسلوك الاجتماعى ، فانهم فى حاجة الى أن يعرفوا كيف تميل هذه المتغيرات الى التجمع فى جوانب حياتنا اليومية وكيف أن هذه المجموعات من المتغيرات التى توجد دائما تدعم أو تعوق عملية تحقيق الاهداف المرغوبة من الناحية الاجتماعية(١) .

ويحتمل عموما أن تطول المقابلة التى تهدف الى جمع الخبرات ، وتستمر لساعات عديدة ، ومن المفضل بالنظر الى طبيعة المعلومات المرغوب فيها ، أن تعطى فرصة للاخبارى ليستعد قبل عقد المقابلة بأسبوع وتسليمه نسخة من التساؤلات المطلوب مناقشتها . ويعطى هذا الاجراء للاخبارى فرصة لكى يمدنا بافكاره المتطورة ويمكنه فى الوقت نفسه من استشارة زملاءه والوقوف على معارفهم التى اكتسبوها من خبراتهم الخاصة .

وكذلك يمكن لعملية مسح الخبرات كمصدر مناسب لاشتقاق الفروض ، أن تمدنا بمعلومات تتعلق بالامكانيات العملية اللازمة لاجراء نماذج متباينة من البحث وتجيب على عدة تساؤلات مثل : أين يمكن أن نجد التسهيلات التى يحتاجها البحث ؟ وأى العوامل يمكن التحكم فيها ، وأيها يصعب التحكم فيها بخاصة فى المواقف التى نريد دراستها ؟ والى أى حد يمكن أن تتعاون مختلف الهيئات والعاملين والمواطنين العاديين فى مشروعات

(1) Ibid, pp. 96-97.

البحث التى تتطلب وتناول مشكلات هامة والتغلب عليها ؟ وقد تمثل الاجابات على هذه التساؤلات وغيرها من المشكلات العملية المماثلة أحد النتائج الجانبية لعمليات مسح الخبرات خاصة تلك التى تتم بطريقة مخططة بعناية(١) هذا فضلا عن أن مثل هذا النوع من المسح قد يمدنا بفهم للمشكلات التى ينظر اليها باعتبارها ملحة من جانب العاملين فى ذلك الميدان الذى تهتم بدراسته ، كما قد يكون لهذا الفهم فائدته القصوى فى تحديد أولويات الموضوعات التى يمكن أن تتناولها برامج البحث .

وليكن واضحا تماما أن مسح الخبرات قد يفقد قيمته ان لم يستند الى عينة ممثلة من العاملين فى الميدان الذى ندرسه ، وتزداد الفائدة بزيادة ما يعرضوه علينا من فهم واستبصارات وأساليب أكثر من اشارتهم الى كل ما هو نموذجى فى هذا الميدان .

دراسة الحالات المثيرة للاستبصار :

وجد الكثير من المهتمين بدراسة الميادين الحديثة نسبيا أو الموضوعات التى لم يتوافر حولها الا قدر ضئيل من الخبرة ، أن الدراسة المتعمقة لمجموعة منتقاه من الحالات يمكن أن تمثل اجراءا منهجيا مثمرا ـ اثارة الاستبصارات وتنمية الفروض التى تحتاج الى بحوث أخرى فى المستقبل .

فلقد أدت دراسات الحالة المتعمقة التى أجراها فرويد على المرضى الى بلورة كثير من استبصاراته النظرية ذات الدلالة . كما طرأ على تصوراتنا للعلاقات بين السلوك الانسانى والمجتمع قدرا كبيرا من التغير بفضل الدراسات الانثروبولوجية لبعض الثقافات ، وخاصة جوانبها اللامادية أو غير التكنولوجية(٢) .

ولا يقصد بدراسة بعض الحالات هنا تطبيق دراسة الحالة بالمعنى الضيق والاقتصار على تحليل السجلات التى تحتفظ بها الهيئات الاجتماعية أو الاخصائيون فى العلاج النفسى ، وانما يقصد بها اجراء دراسة مركزة أو

---

(1) Ibid, p. 97.
(2) Ibid, p. 98.

متعمقة لعدد منتقى من الحالات فى نطاق الظاهرة التى نهتم بدراستها . وقد يكون التركيز هنا على أفراد أو مواقف أو جماعات أو مجتمعات محلية . كما قد نعتمد فى هذه الدراسة على فحص السجلات المتاحة ، واجراء مقابلات غير مقننة أو ملاحظة بالمشاركة أو غيرها من أساليب البحث الاجتماعى .

وهناك عدد من السمات المميزة لدراسة بعض الحالات على هذا النحو تجعلها بمثابة اجراءا منهجيا مناسبا لاستثارة الاستبصارات ، فهى تسهم فى تنمية استعدادات الباحثين وقدراتهم فى سعيهم وراء الفهم والتعرف على معالم الموضوع والاهتمام بعملية اعادة الصياغة والتوجية كلما ظهرت لهم معلومات جديدة ،أو كلما تغيرت نوعية المعطيات التى يقومون بجمعها(١) .

كما تمتاز هذه الطريقة فى الدراسة بدرجة من التعمق لظروف الحالات التى تتناولها سواء كانت فرد أو جماعة أو مجتمع محلى أو ثقافة أو مواقف أو حادثة مختارة فى مثل هذا البحث ، والذى يجتهد الباحث من خلاله فى التوصل الى المعلومات الكافية التى تعينه فى تمييز وتفسير كلا من الخصائص الفريدة التى تميز الحالة المدروسة وتلك الخصائص التى تشترك فيها مع حالات أخرى . وذلك عن طريق اجراء فحصا متعمقا لكلا من الموقف الراهن لهذه الحالات ولتواريخ حياتهم .

كما تمتاز طريقة دراسة الحالات هذه بأهميتها فى تحقيق التكامل بين جهود الباحثين ودعم قدراتهم على تجميع مجموعة متباينة من المعلومات والتعبير عنها فى تفسير موحد . ولقد أدت هذه السمة الاخيرة بكثير من النقاد فى نظرتهم التحليلية لطريقة دراسة الحالات المثيرة للاستبصار هذه الى اعتبارها نوعا من الطرق الاسقاطية التى تعكس ميول المفحوصين موضع الدراسة . ولكن مع تقديرنا لهذا النقد الا أنه لا يقلل من أهمية هذه الطريقة ، طالما كان هدفها هو استثارة الفروض وليس اختبارها .

وعموما وجد المشتغلون بالعلوم الاجتماعية الذين استعانوا بهذه الطريقة

---

(1) Ibid, p. 98.

أن دراسة عدد قليل من الحالات قد يسهم فى مدنا بثروة من الاستبصارات الجديدة ، وذلك بالمقارنة بحصاد الطرق الاخرى الذى لا يزيد عن عدد بسيط من الافكار الجديدة(1) .

وبرغم صعوبة وضع قواعد بسيطة تفيد فى انتقاء بعض الحالات واخضاعها للدراسة ، فلقد ساعدت الخبرة بالبحوث الاستطلاعية على حصر نماذج معينة من الحالات تفيد أكثر من غيرها فى هذا الصدد .

١ ـ الحالات المتطرفة : (الغرباء ـ الهامشيون ـ المنحرفون)

فقد يكون الغرباء والقادمون الجدد أكثر استجابة لخصائص وسمات المجتمع المحلى والتى تخفى على الباحث الذى نشأ فى ظل هذه الثقافة ، وقد يكون الشخص الغريب أكثر حساسية للعادات الاجتماعية والممارسات التى يقر بها أعضاء المجتمع المحلى دون مناقشة بحيث تؤدى الدهشة الناتجة عن ذلك أو حب الاستطلاع الى توجيه الانتباه نحو خصائص معينة أو معالم للحياة فى هذا المجتمع المحلى لا يلاحظها أعضاء هذا المجتمع لانهم قد تعودوا عليها .

ويماثل هؤلاء الغرباء والقادمون الجدد من بعض الجوانب فئة أخرى من الافراد الهامشيين أو الجماعات والذين يتنقلون كثيرا من جماعة ثقافية الى أخرى ويعيشون على هامش الجماعتين . ونتيجة لوضع هؤلاء الهامشيين المتردد بين جماعتين ، فانهم يعانون من الضغوط المتعارضة من جانب هاتين الجماعتين ، بحيث يكون باستطاعتهم الكشف بوضوح ظاهر عن المؤثرات الرئيسية التى تلعب دورها فى كل جماعة(2) . ذلك لان دراسة المهاجرين والاشخاص المبعدين مثلا والذين يحاولون أن يتوافقوا مع الجماعات المحلية الثقافية الاخرى . والنساء اللاتى يعملن فى مهن يغلب عليها نسبة الذكور على الاناث يحتمل أن تمدنا بزاد وافر من المعرفة حول العلاقات بين الجماعات . وكذلك قد تفيد دراسة الافراد والجماعات الذين ينتقلون من

---

(1) Ibid, p. 99.

(2) Ibid, p. 99.

مرحلة الى أخرى من مراحل النمو فى زيادة معارفنا ، فمثلا ، يحتمل أن تمدنا الدراسة المتعمقة للاطفال أو المراهقين أو النساء فى فترة اليأس بقدر من الاستبصار بعملية التغير الاجتماعى وبالخصائص النفسية الاجتماعية التى تميز مراحل النمو المتعاقبة . وبالمثل قد تلقى دراسات حالات كالمنحرفين والمعزولين وغيرهم من الحالات المرضية الضوء على الحالات العادية أو غير المرضية . فقد تلقى دراسة جماعات المنحرفين مزيد من الضوء على المعايير الاجتماعية والممارسات التى انحرفوا عنها . وتشير فى الوقت نفسه الى نماذج الضغوط التى تؤدى الى الامتثال ، وكذلك تجعلنا نقف على النتائج النفسية الاجتماعية لعدم الامتثال . وربما قد يساعد ذلك على الكشف عن الطرق التى تتحقق من خلالها التغيرات الاجتماعية . كما قد يساعد تحليل جماعات المعزولين ، بالمثل ، على ابراز العوامل التى تسهم فى تحقيق التماسك فى جماعة معينة أو فى المجتمع المحلى ، وقد تكشف أيضا عن الاسلوب الذى تتغير به الاتجاهات والمعلومات فى الجماعة(١) .

* وتمثل اسهامات التحليل النفسى فى فهم الشخصية نماذج أو أمثلة بارزة على الاستبصارات التى كشفت عنها دراسة الحالات المرضية والتى كثيرا ما أفادت فى الكشف عن الكثير من العمليات التى تميز الحالات غير المرضية وهكذا وجد كل من أكرمان (Ackerman) وجاهودا (Jahoda) فى دراسة لهما استعانت بتقارير المحللين النفسيين حول بعض الحالات التى يعالجونها ، أن المرضى الذين يعانون من الشعور بالاحباط يندر أن يكون سلوكهم متعصبا أو متحيزا . ويمكن أن تمدنا هذه النتيجة وما تنطوى عليه من دلالة مفادها أن الافراد الذين ينقلبون بعدوانهم على أنفسهم ليسوا فى حاجة الى التعصب باعتبارها وسيلة للعدوان تمدنا بغرض هام يتعلق بالديناميات السيكولوجية للتعصب وقد يترتب على دراسة الحالات المتطرفة ذات الصلة بانهيار الضوابط الاجتماعية بعض الفهم ولعمليات الضبط الاجتماعى ذاتها(٢) .

---

(1) Ibid, p. 100.
(2) Ibid, p. 100.

٢ ـ الحـــالات الوســط :

كما أن الحالات الوسط Pure تعد أيضا حالات مثمرة فى اثارة الفهم والاستبصار • مثل دراســة ليفى Levy عن تزايــد رعاية الام لاطفالها وأسبابه ونتــائجه على الاطفــال ، وكيف يمكن التغلب على الصعــوبات الناشئة عنها ؟ ومن خلال تحليله لتقارير الحالات التى تعالج فى بعض عيادات توجيه الاطفــال ، وانتقائه لحالات دراســته المتعمقة بنــاء على معيارين أثنين : الاول الامهات اللائى يبالغن فى رعــايتهن لاطفالهن وفى الارتباط الشديد بهم ، ومعــاملة الام لاطفالها باعتبارهم رضــع ، ومنع الامهات أطفالهن من الاستقلال فى سلوكهم ، والثانى يمثل الحالات الوسط بمعنى حالات الامهــات اللائى لا يبالغن فى رعــاية أطفالهن ، وفى الوقت نفسه لا يهملن هؤلاء الاطفال على أساس أن الجمع بين الرعاية والاهمال يختلف عن التزيد فى الرعاية فى حد ذاته ، وقــد يكون له أسباب ونتائج مغايرة • ولقد أسهم هذا الاجراء فى توفير قدر معقول من المعلومات حول سلوك الطفل وأنواع المشكلات المترتبة عليه وحول فعالية العلاج ••

وكذلك تمدنا دراسة خصائص أو سمات الافراد الذين يتصرفون بطريقة مناسبة فى موقف معين فى مقابل دراسة خصائص غيرهم ممن يتصرفون على عكس ذلك ، القيمة المتعلقة بطبيعة الموقف / وهكذا تمدنا المعرفة المتاحة حول الاشخاص الذين يشعرون بالاطمئنان فى مجتمع معين ، والذين يبدو أنهم يتصرفون بطريقة مناسبة والذين أما أن يكونوا على درجة عالية من الاستقلال أو التسلط فى شخصيتهم ، تمدنا بقدر من الفهم والاستبصار حول خصائص وسمات هذا المجتمع المحلى(١) وبالمثل ، تمدنا الحقيقة القائلة بأن أولئك الاشخاص الذين يشعرون بالتهديد فى موقف معين عادة ما يكونوا من بين الصغار والطموحــين والذين يمتازون بقدر من المبــادئة الشخصية تمدنا بنوع من الفهم فيما يتعلق بطبيعة الموقف •

كما قد يســاعد انتقاء الافراد الذين يمثلون أوضاعا متباينة فى البنــاء

---

(1) Ibid, p. 101.

الاجتماعى على مدنا بنظرة دائرية للوضع الذى يشغلونه . وقد يجد الباحث فى معظم الجماعات الاجتماعية ، قدرا من التباين فى المكانة الاجتماعية وتخصص الادوار أو الوظائف ويحتمل أن يتوافر لدى الافراد الذين يشغلون هذه الاوضاع المتباينة فهما مغايرا للموقف الذى ندرسه ، ويعد هذا التباين مصدرا خصبا للاستبصارات التى نسعى اليها . وهكذا ، لا تقل عملية مقابلة العمال فى مشروع للاسكان فى أهميتها وباعتبارها ضرورية لفهم العلاقات داخل هذا المشروع عن عملية مقابلة المديرين . ويسهم هذا فى اظهار التباين وكذلك التماثل فى النظرة الاجتماعية لهؤلاء الافراد الذين يشغلون أوضاعا متباينة أو ينجزون وظائف مختلفة(١) .

وكذلك قد يكون استعراض خبرات الباحثين أنفسهم والفحص الواعى لاستجاباتهم وردود أفعالهم فى محاولاتهم وضع أنفسهم فى موضع المفحوصين الذين يقومون بالدراسة بمثابة مصدرا له قيمته فيما نسعى اليه من استصارات . ذلك لان الحالات التى يحتمل أن يرتبط بها الباحثون بعلاقات اليفة للغاية ، حالات تمثل الباحثين أنفسهم.قبل كل شيء ، وهذا ما أوضحه جونز Jones فى السيرة الذاتية التى أعدها لفرويد – حيث أكد أن الكثير من استبصارات فرويد ذات القيمة الكبيرة ، قد ترتبت على جهود فرويد ومحاولته فهم ذاته .

ومع ندرة الاشخاص الذين لهم نفس خصائص فرويد ، فلا يمكن توقع أن يكون تحليل الباحث لخبرته الخاصة له مثل هذه النتائج المثمرة . ولكن حتى إذا صدق ذلك ، يظل هذا الفهم الذاتى مصدرا للافكار المثمرة التى لا ينبغى تجاهلها .

والواقع أن هذه القائمة السابقة بالحالات التى تثير الاستبصار غير كاملة ، ذلك لان نوعية أو نماذج الحالات التى سوف يكون لها أهمية كبيرة تعتمد على المشكلة التى يعنى الباحث بدراستها . الا أنه عموما تظهر حقيقة مؤداها أنه فى دراسة من النوع الاستطلاعى ، تعتبر الحالات التى

---

(1) Ibid, p. 100.

تمدنا بالتباين الواضح أو التى تمتاز بخصائص بارزة هى الحالات الاكثر فائدة فى الوصول الى أهداف هذه الدراسة(١) .

رابعا : تطبيقات على البحوث الاستطلاعية :

توضح الفقرات السابقة الاهداف المختلفة التى يمكن أن تدخل ضمن أى عمل علمى أو بحث من النوع الاستطلاعى ، وتلقى الضوء على الاساليب المنهجية المتبعة عادة فى الوصول اليها ، ونعنى بها ، استعراض التراث ومسح الخبرة العملية ودراسة الحالات المثيرة للاستبصار ، كما يوضح فى الوقت نفسه أهمية البحوث الاستطلاعية ،بحيث أنه اذا حدد الباحث مشكلة بحثه من بين واحد من الاهداف المعروفة للبحث الاستطلاعى والمشار اليها سلفا ، فانه لا يجد مفرا من الالتزام بهذه الاساليب المنهجية الخاصة بالبحث الاستطلاعى وأخذها فى اعتباره وهو يفكر فى تناول هذه المشكلة يوضع التصميم المنهجى المناسب لها . وهذا ما حاولت الهيئة التى أشرفت على اجراء بحث السرقة عند الاحداث عندما حددت هدفها فى التعرف على عوامل جريمة السرقة التى انتشرت بين الاحداث فى مدينة القاهرة فى محاولة منها لزيادة الفتها بهذه الظاهرة وحتى يتسنى لها تمهيد الطريق أمام البحوث الاخرى التالية والاكثر تعمقا وقامت باتباع الاساليب والاجراءات المنهجية المخصصة للبحث الاستطلاعى بأن أجرت مسحا للتراث وعقدت لقاءات مع ذوى الخبرة بظاهرة جناح الاحداث من رجال البوليس والقضاء وقامت أخيرا بأجراء دراسة حالة لبعض الاحداث الذين عرف عنهم التطرف فى السرقة لتلقى من خلال ذلك الضوء على الظروف الفيزيقية والنفسية والبيئية والاقتصادية والاجتماعية لهؤلاء الاحداث(٢) ، وتبلور عدد من النتائج المتعلقة بالاحداث من حيث فئاتهم وطفولتهم وأسرهم واتجاهاتهم الدينية والخلقية ومواقفهم من التحقيق ومن حيث أنواع السرقة وأماكن ارتكاب

---

(1) Ibid., p. 101.

(٢) للمزيد من التفاصيل أنظر :
المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، السرقة عند الاحداث ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

جرائم السرقة وظروفها وعلاقة المجنى عليه بالجناه ـ نتائج كما هو واضح زادت من الفة هيئة البحث بهذه المشكلة وأوضحت جوانبها المختلفة وحددت عناصر لها الاولوية وتستوجب الدراسة المتعمقة بعد ذلك ، وخاصة ظاهرة النشل عند الاحداث ، وبهذا مهدت دراساتهم الاستطلاعية للسرقة الطريق أمام بحوث أخرى أكثر تعمقا حول هذا الجانب الهام وهو النشل عند الاحداث فيما بعد .

وكانت الهيئة المشرفة على بحث الهجرة الداخلية معينة أيضا باجراء بحث استطلاعى لهذه الظاهرة من خلال حصرها للدراسات العلمية المختلفة لنفس هذه الظاهرة فى مجتمعات أخرى وتحليلها للتقارير الاحصائية التى أمكن الحصول عليها ، ومن خلال دراسات حالة لمجموعة من المهاجرين الى مدينة القاهرة من خلال اللجنة المركزية للاحصاء ، المتخصصون فى القوى العاملة ، ولقد ساعدتهم هذه الاجراءات المنهجية فى القاء الضوء على ظاهرة الهجرة الدخلية من حيث مناطق طرد المهاجرين وعوامل جذبهم فى المدينة ، ووسائل هجرتهم ، وأساليب تكيفهم ، وجوانب حياتهم التى طرأ عليها التغير بعد الهجرة(١) ... الخ .

---

(١) لمزيد من التفاصيل راجع :
دكتور محمود عوده ، الهجرة الى مدينة القاهرة ، دوافعها وأنماطها وآثارها ، المجلة الاجتماعية القومية ، العدد الاول ، يناير ١٩٧٤ ، المجلد الحادى عشر ، صص ٥ ـ ٦٠ .

الفصل السادس

تصميم البحوث الوصفية وتطبيقاتها

أولا : معالم البحث الوصفى وخصائصه ·

ثانيا :- أهداف البحوث الوصفية ومستلزماتها ·

ثالثا :- الاجراءات المنهجية فى تصميم البحوث الوصفية ·

رابعا : تطبيقات على البحوث الوصفية ·

تصميم البحوث الوصفية(*)

تمهيـــــــــد :

تمثل البحوث الوصفية حلقة أخرى من حلقات البحث الاجتماعى ، وتتميز عن الحلقات السابقة عليها والتالية لها فى سلسلة البحث الاجتماعى نتيجة لعدة اعتبارات يتعلق بعضها بالاهداف التى تسعى اليها هذه البحوث الوصفية ، ويتعلق البعض الثانى بالخصائص التى تمتـــاز بها ، ويتعلق بعضها الثالث بما تحتاجه هذه البحوث من مستلزمات متباينة ، ويرتبط البعض الرابع من هذه الاعتبـــارات بالاهمية النظـــرية أو التطبيقية التى تعلق على هذا النوع من البحوث .

ولقـــد فرضت هـــذه الاعتبارات المتعلقة بالبحث الوصـــفى ، ضرورة اعتماده على اجراءات منهجية متمايزة وذلك فى تصور التصميم المنهجى المناسب له وتسهم فى تحقيق مبدأ الاقتصاد فى الجهد والوقت والامكانيات ، وفى تجنب التحيز الذى يزداد معه احتمال تأثر نتائج البحوث الوصفية وتعرضها للتحريف بالمقارنة بغيرها من نتائج البحوث الاخرى . ولقد أسهم التطور الذى طرأ على ميدان البحث الاجتماعى فى صقل هذه الاجراءات وزيادة فعاليتها على تجنب مثل هذه الثغرات .

ومن هنا خصصت الفصل الحالى لتناول استراتيجية البحث الوصفى والقاء الضوء على طبيعته واختلافه عن أنواع البحوث الاجتماعية الاخرى

(*) اعد هذا الفصل أ.د. على جلبى .

وتوضيح أهدافه والاجراءات المنهجية اللازم اتباعها عند التفكير فى تصور تصميم منهجى مناسب لمثل هذا النوع من البحث ٠

أولا ـ معالم البحث الوصفى وخصائصه :

كثيرا ما تستخدم كلمة الوصف لتدل على نفس المعنى الذى تنطوى عليه كلمة المسح تلك التى اشتقت بدورها من مصدرين آخرين فى اللغة اللاتينية ، الاول Sur واشتق من الكلمة اللاتينية Super والتى تعنى فوق أو فيما وراء ، والثانى Vey الذى اشتق من الكلمة اللاتينية Videre وتدل على النظر أو الفهم ، بحيث أصبح معنى كلمة المسح ، النظر فيما وراء ٠ ويحاول الباحث من خلال المسح تناول الظواهر بطريقة تمكنه من تميز الجوانب العملية أو ذات المعنى من المعطيات أو البيانات المتوافرة حول هذه الظواهر ٠ ومن هنا يطلق على البحث الذى يهتم بدراسة الظواهر الراهنة بدقة ، وبنفس الدقة ما يراه الباحث ، اسم المسح ، أو المسح الوصفى Descriptive Survey ٠

ولعل فى هذا الالتقاء فى المعنى بين البحث الوصفى والمسح ما يفسر لنا ارتباط البحوث الوصفية واعتمادها على المسح كطريقة فى التوصل الى البيانات الدقيقة حول جمهور السكان الذين يدور حولهم البحث ، وفى التسجيل الواع لهذه البيانات ، حتى يمكن الرجوع اليها فى الكشف عما تنطوى عليه من معان ودلالات ٠

غير أن نظر البحث الوصفى فيما وراء البيانات بحثا عن مغزى ودلالة لا يعنى الاستعانة بالعين المجردة ، وانما يقصد به الاستفادة من الادوات المتباينة التى يمكن بها النظر فيما وراء ، ونعنى الاستفادة من أدوات مثل الاستبيان والمقابلة الشخصية ٠٠٠ أو غيرها ، والتى عادة ما يصاحبها تسجيل للبيانات وعرضها فى صورة جداول او رسومات أو خرائط ٠٠٠ تعين فى كشف ما تنطوى عليه البيانات من معانى[1] ٠

---

(1) P. D. Leedy, Op. Cit., 79-80.

ويفيدنا التحديد السابق للبحث الوصفى وارتباطه بالمسح من ناحية فى تصور معالم البناء الاساسى لهذا النوع من البحث ، وتوضيح خصائصه ، اذ يعالج البحث الوصفى موقفا يتطلب أسلوبا للملاحظة أو وسيلة اساسية لجمع البيانات ويحتاج فى نفس الوقت الى انتقاء جمهوره بعناية ، ورسم حدوده بوضوح يمكنه من جمع البيانات ٠ ويستلزم الامر بعد ذلك تنظيم هذه البيانات وعرضها بطريقة مرتبة ومنسقة حتى يمكن استخلاص نتائج ثابتة ودقيقة وصادقة ٠

ولما كانت هذه البيانات فى البحث الوصفى قابلة للتحريف نتيجة للتحيز المحتمل فى جمع البيانات وفى انتقاء الجمهور أو العينة ، كان من الضرورى العمل على تجنب أثر هذا التحريف والتحيز فى كل خطوة ، كما يشير هذا التحديد أيضا للبحث الوصفى من ناحية أخرى الى تميزه بعدة خصائص وخطوات ، اذ تدور البحوث الوصفية حول مواقف راهنة أو ظواهر الحاضر ، والنظر فيما وراءها،بمعنى الاستعانة بإجراءات منهجية متباينة ، طرق وأدوات وعينات وتحليلات وتنسيق وترتيب لتوفير بيانات دقيقة حول هذه المواقف ، ثم استخلاص المعنى والمغزى الذى تنطوى عليه هذه البايناتـ(١) ٠ الامر الذى سنزيده ايضاحا فيما بعد ٠

ثانيا ــ اهداف البحوث الوصفية ومستلزماتها :

يعنى قدر هائل من البحوث الاجتماعية بوصف المجتمعات المحلية ، حيث قد يهتم بعضها بدراسة سكان المجتمع المحلى ، وتكوينهم العمرى وتركيبهم القومى أو السلالى وظروف الصحة الجسمية أو العقلية بينهم ، ومستويات التعليم التى حققوها ٠

وقد يهتم البعض الثانى بدراسة التسهيلات المتاحة فى المجتمع المحلى واستخدامها مثل ظروف الاسكان ، ومدى الافادة من المكتبات ، وحجم الجريمة فى الاحياء المتباينة ٠

---

(1) Ibid, p. 80.

وقد يعنى فريق ثالث بوصف التنظيم الاجتماعى فى المجتمع المحلى أو الانماط الاساسية للسلوك ٠

وقد يعنى فريق رابع بتقدير نسبة السكان فى مجتمع معين والذين يتمسكون برأى معين أو باتجاهات محددة ، أو الذين لهم طريقة مميزة فى السلوك ٠ ويحاول آخرون الاجابة على أسئلة مثل :

كم عدد الذين يوافقون على الاجهاض كطريقة فى ضبط النسل ؟ فى أى الاحياء يتطلب التغير فى السكان بناء مدارس جديدة أو اغلاق أخرى موجودة فى المستقبل القريب ؟

كما قد يعنى فريق خامس بالكشف عما اذا كان هناك ارتباط بين متغيرات معينة مثل هل تزيد نسبة الكاثوليك الذين يصوتون الى جانب الديمقراطية عن نسبة البروتستانت ؟ هل السكان الذين يمضون جانبا كبيرا من وقتهم فى القراءة يترددون أيضا على دور السينما ؟ هل الانات عموما يتعلمون كيفية الكلام فى عمر مبكر عن الذكور ؟

علما بأن الاسئلة المشار اليها سلفا لا ينطوى واحدا منها على فرض مضمونه : ان أحد هذه المتغيرات يؤدى الى حدوث الآخر ، ذلك لان التساؤلات التى تجسد مثل هذه الفروض تقتضى منا استخدام متطلبات مغايرة فى اجراءات البحث لا يعتمد عليها البحث الوصفى(١) ٠

واضح اذن أن الاهداف البحوث الوصفية تتنوع وتتعدد بين دراسة خصائص السكان فى المجتمع أو الامكانيات المتاحة ،أو المشكلات الاجتماعيه أو عناصر التنظيم الاجتماعى أو الاتجاهات نحو قضايا وأوضاع هامة داخلية ٠٠٠ الخ ٠

واذا كانت لاهتمامات السابقة تمثل مجموعة هائلة من أهداف البحث . امكن تجميعها معا فى فئة واحدة تعرف باسم البحوث الوصفية ٠ فان هذا يرجع الى أن البحوث التى تهدف الى تحقيق هذه الاهداف تشترك فيما

---

(1) C. Selltize, et al., Op. Cit., p. 102.

بينها فى حاجتها الى عدد من المتطلبات أو المستلزمات ذلك لان هذه الانواع من التساؤلات والمشكلات التى يطرحها البحث الوصفى تفترض سلفا توفر قدرا كبيرا من المعرفة متاح حول المشكلة التى يدور حولها البحث ، وذلك بمقارنتها بالتساؤلات التى تحاول الدراسات الاستطلاعية الاجابة عليها وتفرض على الباحث ضرورة أن يكون قادرا على تحديد ما يريد وصفه بوضوح وكذلك ضرورة التوصل الى المناهج المناسبة لهذا الوصف . هذا بالاضافة الى أنه ينبغى أن يكون الباحث قادرا على تعيين من الذين يشملهم مجتمع البحث أو عينته ولذلك فان ما يحتاج اليه جمع الشواهد فى الدراسة الوصفية هو الصياغة الواضحة لما نريد وصفه وللذين نصفهم ، وتحديد أى الاساليب تحقق الصدق والثبات فى الوصف ، أكثر مما نحتاج الى المرونة فى البحث .

وكذلك لا تقتصر البحوث الوصفية على الاستعانة بأسلوب واحد فى جمع البيانات ، وانما قد تستخدم بعض هذه الاساليب أو كل المتاح منها فى البحث الاجتماعى . ولكن ليس معنى أن البحوث الوصفية قد تستخدم مجموعة كبيرة من الاساليب ، أنها تمتاز بخاصية المرونة التى تمتاز بها البحوث الاستطلاعية . وانما يستلزم الامر أن تكون الاجراءات المستخدمة فى البحث الوصفى مخططة بعناية . وطالما كان الهدف هو التوصل الى معلومات كاملة ودقيقة فانه ينبغى أن يتوقى تصميم البحث البعد عن التحيز بالمقارنة بالبحوث الاستطلاعية ، وكذلك الاهتمام للغاية بالاقتصاد فى جهود البحث .

ثالثا ـ الاجراءات المنهجية فى تصميم البحوث الوصفية :

وتدخل هذه الاعتبارات المتعلقة بالاقتصاد وتجنب التحيز فى كل مرحلة من مراحل البحث ابتداء من صياغة أهداف البحث . وتصميم أساليب جمع البيانات ، وانتقاء العينة ، وجمع البيانات وتحليلها ومعالجتها ، وكتابة تقرير النتائج . نحاول فيما يلى توضيح ذلك من خلال ما اتبع فى تصميم بحث وصفى ، يدور حول دراسة خبرات واتجاهات سكان الولايات المتحدة والاوربيين الذين يزورون الهند(١) .

---

(1) Ibid., pp. 102-103.

١ ـ صياغة أهداف البحث :

تتمثل الخطوة الاولى فى البحث الوصفى ، كما هو الحال فى أى بحث آخر ، فى تحديد المشكلة أو السؤال الذى نريد الاجابة عليه أو صياغة أهدافه . اذ يتوقف توصل الدراسة الى المعلومات المرغوب فيها ، على تحديد الاهداف بالدقة الكافية ؛ وحتى يمكن أن نضمن مناسبة البيانات التى تم جمعها للسؤال الذى تطرحه الدراسة . حيث كانت المشكلة العامة فى البحث الذى أشرنا اليه كمثال هنا متمثلة فى الاجابة على تساؤلات مثل : ما هى التغيرات التى طرأت على هؤلاء الزوار كلما مر عليهم وقتا فى خارج بلادهم ؟ خاصة وأن الكثير من جهود البحث الاجتماعى تعنى بالتغيرات فى الاتجاهات بين جماعتين أو أكثر ممن يشتركون فى نفس القومية أو يعيشون فى نفس المدينة ؛ كما تسعى هذه الدراسات الى فهم التغيرات فى الاتجاهات العنصرية Racial نتيجة للتغيرات فى سياسات التعليم أو الاسكان وكذلك تهتم بالاجابة على أسئلة مثل ، هل تحدث نفس أنواع التغيرات والعمليات الاجتماعية بين الاشخاص الذين يعبرون الحدود الدولية ؟ وهل يصبحوا أكثر أو أقل تسامحا وقبولا للاشخاص والزوار الذين يفدون الى بلادهم من بلاد أخرى ؟ وقد تدفع المجموعة المتباينة من نتائج الدراسات السابقة حول نفس الموضوع بالباحث الى أن يتساءل ، ما الذى يحدث فى مثل هذه الزيارات التى تعبر بين الثقافات ، والواقع أن مثل هذه التساؤلات هى التى تحتاج الى بحث من النوع الوصفى .

ومن هنا كان الهدف الرئيسى للدراسة المشار اليها هنا متمثلا فى محاولة تتبع عمليات التكيف بين الزوار الاجانب فى الهند من خلال الملاحظة والمقابلة الشخصية للاشخاص الذين عاشوا هناك لفترات متباينة لكى نوضح كيف تغيرت نظرتهم لانفسهم وللهنود .

٢ ـ تصميم أدوات جمع البيانات :

وينبغى بعد تحديد المشكلة بوضوح يوجهنا نحو البيانات التى تحتاج اليها الدراسة انتقاء الاساليب التى يمكن بها التوصل الى هذه البيانات ويلزم الامر تصميم الاساليب المناسبة لجمع المعلومات ، طالما كان من

الصعب على الباحث أن يجد أمامه أساليب معدة سلفا ومناسبة لموضوع بحثه(١) . والواقع أن كل أسلوب من الاســاليب التى يمكن أن توصلنا الى البيانات مثل الملاحظه والمقابلة والاستبيان والاساليب الاسقاطية وفحص السجلات وغيرها له مميزاته وحدوده التى تناولتها مؤلفات مناهج البحث الاجتماعى وطرفه بالتفصيل(٢) ، والتى توضح أن هناك مجموعة هائلة من أساليب البحث يمكن أن يختار من بينها الباحث ، ولكنه قد يسير فى رحلته الشــاقة هذه دون أن يعرف من أين يبــدأ ، هل يختار المــلاحظة بالمشاركة أم المقــابلة أم غيرها ، غير أنه اذا عرف أن خصــوصية الموقف المدروس ، وطبيعة التساؤلات التى يطرحها البحث والمهارات المتوافرة لدى الباحث يمكن أن تتدخل فى اختيار هذه الوسيلة .فعندما يستخدم الباحث الاستبيان مثلا كوسيلة لجمع بياناته فى البحث الوصفى ، عليه أن يعرف أنه نقيجة للطبيعة غير الشخصية التى تميز الاستبيان لان الباحث لا يعرف أو يرى المبحوث الذى يجيب على أسئلة استبيانه عليه أن يراعى فى جمع البيانات باستخدام هذه الوسيلة الاعتبارات العملية التالية :

١ ـ وضوح اللغة التى تكتب بها أسئلة الاستبيان وتوصل الباحث الى ما يريد أن يعرفه بدقة . ذلك لان عملية الاتصــال تنطوى على شىء من الخداع ، وأن ما يكون واضحا لك قد يغمض على غيرك ، وما يبدو أنه سؤالا واضحا بالنسبة لك ، قد يفهمه غيرك بصعوبة بالغة . ولذلك ينبغى أن يجرى اختبارا مبدئيا على عينة صغيرة للتحقق مما اذا كان هناك بنودا فى الاستبيان يصعب فهمها أو اسئلة لايعرف المبحوث الاجابة عليها...الخ.

---

(1) Ibid, pp. 103-104.

(٢) راجع فى هذا الصدد على سبيل المثال لا الحصر :

أ) دكتور عبد الباسط محمد حسن ، أصــول البحث الاجتماعى ، مرجع سابق .

ب) دكتور غريب سيد أحمد ، البحث الاجتماعى ، مرجع سابق .

جـ) دكتور محمــد على محمد ، علم الاجتمــاع والمنهج العلمى ، مرجع سابق .

٢ ـ تصميم الاستبيان بحيث يحقق أهداف البحث المحددة ٠

اذ ينبغى بناء الاستبيان بندا بعد الآخر واختيار نوعيته فى ضوء الموضوعية والملاءمة لمشكلة البحث واحتمال فهمه وتراعى فى كل خطوة الاستئذان Courteous فى طلب الاجابة والبساطة فى صياغة الاسئلة واحتمالات الاجابة وأن يضع الباحث نفسه موضع المبحوث، والتركيز على المسائل العامة دون الخاصة والحرص على أن يكون الاستخبار مختصرا ويضم فقط بنودا أساسية ثم الاتساق وعدم التناقض بين البنود وفى الاجابة عليها ووضع أسئلة للمراجعة على الاجابات والاتساق فيما بينها ٠٠٠ الخ(١) من التفاصيل التى سنعود اليها عند الحديث عن تصميم الاستبيان كأدلة لجمع البيانات فى البحث الاجتماعى ٠

ولكن طالما كان بالامكان الافادة من البيانات التى تتوصل اليها من خلال وسائل مختلفة فى الاجابة على تساؤلات البحث ، فانه يمكن للباحث أن يستغنى عن أساليب معينة لا تحقق هذا الهدف ، ويختار تلك التى تساعد على تحقيق ذلك ، مع الاخذ فى الاعتبار قيود الاقتصاد فى الوقت والجهد التى تميز البحث الوصفى ٠

وفى اللحظة التى يستقر فيها الباحث على اختيار وسيلة معينة تبقى هناك بعض القرارات الاخرى التى يجب اتخاذها عند التفكير فى تصميم البحث ، يتعلق بعضها بطريقة تطبيق وسيلة جمع البيانات،هل هى طريقة مباشرة تستخدم المقابلة أم غير مباشرة عن طريق الاستخبار البريدى ؟ وهل الاسئلة التى ينطوى عليها هذا الاستخبار مقفولة النهاية وتحدد احتمالات الاجابة على كل سؤال بها أم تكون مفتوحة النهاية ؟ علما بانه يفضل فى البحث الوصفى الافادة من أكبر مجموعة ممكنة من مثل هذه الاحتمالات لزيادة فرصة التعرف على أبعاد الموقف المدروس ومكوناته الاساسية/وهذا ما حاولتة دراسة الزوار الاجانب الى الهند وأفادت من الملاحظة بالمشاركة والمقابلات الحرة والاسئلة المقننة ومقاييس الاتجاهات ؟

---

(1) P. D. Leedy, Op. Cit., p. 81.

وذلك استنادا الى أنه اذا كانت الملاحظة بالمشاركة تنطوى على بعض أخطاء فى التفسير فان المقابلات المقننة ومقاييس الاتجاهات ستقلل من احتمالات التحيز الشخصى هذه ، وكذلك تسمح لنا هذه المجموعة من أساليب جمع البيانات بالتوصل الى قدر هائل من المعلومات ولهذا كان من المرغوب فيه الاعتماد على أكثر من وسيلة واحدة فى جمع البيانات حتى نتمكن من تقديم وصف أكثر اكتمالا للموقف الذى نقوم بدراسته(١) ٠

٣ ـ اختيار جمهور البحث وتصميم عينته :

تعد عملية اختيار جمهور الدراسة أحد العناصر الجوهرية فى البناء الاساسى لبحوث المسح الوصفى ، واذا كانت العناية والدقة مطلوبين فى عملية التخطيط للبحث وتصميمه من أجل التوصل الى الهدف المحدد ، فانهما لازمان أيضا فى اختيار جمهور البحث وتمثيل عينته ، ومن هنا كانت اجراءات اختيار العينة لها أهمية قصوى وحاسمة فى نجاح البحث الوصفى ٠٠ وتعتبر العينة بمثابة وسيلة لها أسسها المنطقية ومبرراتها والاحصائية ابتكرت للتغلب على صعوبة دراسة جمهور البحث كله(٢) ٠ ولقد أوضحت الخبرة بالبحث الاجتماعى أنه ليس هناك ضرورة لدراسة كل الاشخاص المكونين لجمهور البحث ، حتى يمكن التوصل الى وصف دقيق وثابت لاتجاهات أو سلوك هؤلاء الاشخاص ٠ وانما يكفى دراسة عينة منهم فقط ٠

وهناك جهود كثيرة متوافرة حول مشكلة تصميم العينات اوضحت أنه يمكن التوصل الى معلومات دقيقة مع أقل قدر من الجهد فى البحث اذا اقتصرنا على عينة ممثلة ٠ وهنا من المفيد أن نوضح كيف أن تقدير مثل هذه الاعتبارات الاحصائية قد يساعد فى تحقيق قدر كبير من الاقتصاد فى البحث ٠ حيث قام رونترى Rowntree فى دراسته الكلاسيكية للفقر فى انجلترا ، ببحث كل أسر الطبقة العمالية ٠ ولكى يتحقق من دقة أسلوب

---

(1) C. Selltize, et. al., Op. Cit., pp. 104-105.

(2) P. D. Leedy; Cit., p. 82.

العينة الذى اعتمد عليه فى البحث ، اختـار طبقا لاجراء منسق أو منظم كل الحالات العشرية وقارن نتائجها بالنتائج التى توصل اليها من دراسته لكل الحالات . ثم اختار حـالات العشريات والثـلاثينات والاربيعينات والخمسينات وقارن بين النتائج فى كل حـالة ونتائج دراسته للحالات كلها وخاصة فيما يتعلق بما ينفق من الدخل على ايجار مسكن الاسرة ، واتضح له فى النهاية أن العينات المختلفة بغض النظر عن حجمهـا تمدنا بنتائج قريبة من تلك النتائج التى تم التوصل اليها من دراسـة الاسرة كلها . أو بعبارة أخرى تم التوصيل الى نفس النتائج من خلال دراسة عينة واحدة من أسر الطبقة العمالية فى المدينة ، وهذا يعنى استثمارا فى الوقت والجهد بدون أن تتأثر النتائج التى يمكن التوصل اليها .

واذا كان البعض يذهب الى أنه قد تكون هناك فروقا ذات دلالة بين النتائج التى يتم التوصل اليها من دراسة العينة وبين نتائج دراسة مجتمع البحث ككل، الا أن دلالة هذه الفروق تتوقف على عدة اعتبارات منها ما هو احصائى ومـا هو عملى بحيث تتـوقف الفروق ذات الدلالة الاحصائية فى الحالتين على مدى تمثيل العينة للمجتمع الاصلى ، وتتوقف الفروق ذات الدلالة من الناحية العملية على ما تؤدى به الى تغيرات رئيسية فى التفسير أو التوصيات التى يمكن أن تخرج بها الدراسة فى مجال التطبيق اذا كانت تهدف الى ذلك(١) .

ولذلك ينبغى أن تختار العينة بعناية يتمكن بواسطتها الباحث من أن يصل الى نتائج عن عينة البحث كله قريبة من النتـائج التى يمكن له بها التوصل اليها من دراسته أو بجمع بيانات من هذا الجمهور كله(٢) . وهذا معناه أنه اذا كان من الاهمية بمكان أن تعتمد الدراسة على عينة فينبغى أن تكون العينة على مسـتوى من التمثيل الـدقيق للمجتمع الاصلى الذى تؤخذ منه ، بمعنى أنه لابد أن تسحب العينة بطريقة تجعل النتائج التى تستخلص منها أكثر تطابقا مع تلك النتائج التى كان بالامكان التوصل اليها

---

12) C. Selltize, et. al., Op. Cit., p. 107.
(2) P. D. Leedy, Op. Cit., p. 83.

من دراستنا للمجتمع الاصلى للبحث • وهذا يتطلب قدرا كبيرا من الاهتمام والعناية عند تصميم البحث ، بمشكلات وأساليب تكوين وسحب العينات ، لانه يعيننا فى اتخاذ كافة القرارات التى يحتاج اليها تصميم عينة البحث الوصفى والاجابة على اسئلة مثل ، ما الذى يمكن عمله فى حالة كبر أو صغر حجم المجتمع الاصلى للبحث ؟ أو ما اذا كان هذا المجتمع حبيس جدران معينة ، مثل المسجونين ؟ أو ما اذا كان هؤلاء الافراد من المرضى أو يصعب الاتصال بهم أو من العجزة أو الرافضين للتعاون ومدنا بالمعلومات ؟ ... الخ •

وتتكون العينة من وحدات أو مفردات تؤخذ من جمهور البحث •

والواقع أن هدف البحث هو الذى يحدد وحدة العينة المناسبة ، فمثلا دراسة لعملية الانتخاب ، نجد أن وحدات العينة المناسبة هم أصحاب الاصوات القانونية ، وفى دراسة لميزانية الاسرة ، تعد الاسرة هى وحدة العينة وفى دراسة لسلوك الاطفال ، تعد الفترات الزمنية وحدة للدراسة ، ومهما كانت وحدة العينة ، فمن المهم أن يتوافر لدينا أساس يمكن به التعرف على اجمالى سكان المجتمع الاصلى التى تتكون منه هذه الوحدات، وكذلك طريقة محددة لاختيار أو سحب الوحدات من هذا المجتمع(1) ولذلك كانت الطريقة التى يتم بها انتقاء وحدات العينة لها اهميتها ، فقد تكون الطريقة العشوائية Randamization ولهذا تصبح العينة عشوائية ، أو قد تكون طريقة من الطرق المختلفة الاخرى فى تكوين العينات ، مثل الطريقة العشوائية المنتظمة • أو الطريقة الطبقية أو المساحية أو المكانية أو المتعمدة أو ما اليها ، وفى كل حالة تسحب مفردات العينة لتكون فى النهاية حجما معينا للعينة على الدرجة التى تقترب بها خصائص العينة من خصائص جمهور البحث ككل مثل التجانس واللاتجانس ، فاذا كان جمهور البحث يتميز بعدم التجانس فان عينة البحث ستكون كبيرة عنه اذا

---

(1) C. Selltize, et. al., Op. Cit., p. 108.

كان الجمهور متميزا بالتجانس • وهنا ينبغى على الباحث أن يأخذ فى اعتباره عوامل ثلاثة فى اتخاذ أى قرار يتعلق بحجم العينة •

١ ـ درجة الدقة اللازمة فى اقتراب العينة من جمهور البحث •

٢ ـ درجة انحراف العينة المسموح بها عن المجتمع الاصلى •

٣ ـ الطريقة المستخدمة فى تكوين العينة •

وعموما يحتاج تصميم العينة فى البحث الوصفى أن يسير الباحث فى خطوات محددة ، حيث تتمثل الخطوة الاولى عند اختيار وتصميم العينة فى التحليل الواعى لخصائص جمهور البحث، حتى يمكن فى ضوئها التوصل الى اسلوب لتكوين العينة يتناسب مع نموذج هذا الجمهور • ذلك ان جمهور البحث قد يمتاز •

١ ـ بانه عبارة عن كتلة متجانسة من وحدات منفصلة •

٢ ـ ان يحتوى على شرائح محددة تنطوى على وحدات متباينة •

٣ ـ أن يحتوى على شرائح محددة وتختلف كل شريحة عن الاخرى بما تنطوى عليه من وحدات •

٤ ـ أو قد يشتمل على تجمعات ، لكل تجمع خصائص مماثلة ولكن خصائص وحدات كل تجمع غير متجانسة •

ولوحظ أن كل جمهور بحث يناسبه اسلوبا معينا لسحب العينة منه ، اذ يفيد أسلوب العينة العشوائية مع النوع الاول من الجمهور ، ويفيد اسلوب العينة الطبقية مع النوع الثانى ، ويفيد اسلوب العينة الطبقية الحصية فى النوع الثالث، وتفيد اسلوب العينة العنقودية مع النوع الرابع(١) •

٤ ـ جمع البيانات فى البحث الوصفى :

من الضرورى للتوصل الى بيانات خالية من الاخطاء قد تكون ناشئة عن المقابلات الفردية أو الملاحظات أو غيرها ، ان نهتم بالاشراف المباشر

---

(1) P. D. Leedy, Op. Cit., pp. 100-106.

على باحثى الميدان وهم يقومون بجمع وتسجيل البيـانات • وينبغى أن تجرى مراجعة لهذه البيانات للتاكد من أن هؤلاء الباحثين كانوا امناء وان البيانات التى قاموا بجمعها غير متحيزة ، بمعنى أنه عند جمع البيانات ينبغى التأكد من اكتمالها وشمولها واتساقها وثباتها •

ولتحقيق ثبات البيانات مثلا يمكن الاعتمـاد على أكثر من باحث فى جمع البيانات ، أو حتى جمع هذه البيانات على مراحل متباينة والمقارنة بين الاسـلوبين •

ومن الامثلة البـارزة على التحقق من الثبـات فى البحـوث الوصفية ما حاوله (ساندرز) فى دراسته لمدمنى الهورويين من وضـع أسئلة تعين فى التمييز ، مثالها السؤال الذى طرحة على المفحوصين عن سبق شرائهم لهذا المخدر،بحيث أنه اذا كانت نسبة كبيرة من الذين سبق معرفتهم به يجيبون بثبات على أكثر هذه الاسئلة تمييزا وهو المتعلق بالمعدل الذى يمكن اعتباره معقولا ، فان هذا دليلا كافيا على اعتبار اجاباتهم على بقية الاسئلة اجابة ثابتة ، ويمكن الثقة بها • كما استعان سانـدرز باجراءات أخرى عديدة تفيد فى زيادة معدل الثبات فى بياناته منهـا الاستعانة بباحثين على خبرة ودراية بالموضوع المدروس ، وتنظيم دورات تدريبية للباحثين تناقش فيها معهم أهـداف البحث ، وطبيعة الاستبيان وأساليب الملاحظة ممـا أعان الباحثين على فهم حياة ولغة المدمنين ، انعكس ذلك فيما بعد على كسب ثقة المفحوصين واحترامهم وتعاونهم فى الاجابة على الاسئلة(١) •

٥ ـ تحليل البيانات وتفسيرها فى البحث الوصفى :

تتكون عملية التحليل من خطوات ترميز اجابات المقابلة الشخصية أو الملاحظة (وضع كل بند فى الفئة المناسبة) ثم جدولة البيانات (حساب أو عد أو احصاء عدد البنود فى كل فئة) ثم اجراء المعالجات الاحصائية وسوف نناقش هذه الاجراءت بالتفصيل فيما بعد (الفصل الخاص بتحليل وتفسير

(1) C, Selltize, et. al., Op. Cit., pp. 108-109.

البيانات) ولكن يجب أن نذكر هنا ضرورة مراعاة اعتبارات الاقتصاد والحاجة الى تجنب الوقوع فى الخطأ فى كل خطوة من هذه الخطوات ٠ وتتطلب اعتبارات الاقتصاد عموما أن يكون التحليل مخططا له بالتفصيل قبل اجراء البحث فعلا ، أو قبل البدء فيه ؛ وبهذه الطريقة يمكن للباحث أن يتجنب اتيان أعمال غير ضرورية كان يستخرج جداول يجد فيما بعد أنه لن يستفيد منها أو قد يضطر الى عمل جداول أخرى لانه لم يوفق فى الوصول الى البيانات المناسبة أو وثيقة الصلة بموضوعه ؛ على أنه يجب أن نأخذ فى اعتبارانا أن التخطيط المتكامل لعملية تحليل البيانات مقدما ليس دائما عملية ممكنة أو حتى مرغوبا فيها ، طالما تطرأ للباحث أفكارا جديدة يحتاج الى فحص دلالتها لبحثه ٠ ولكنه من الممكن دائما ، ومن المرغوب فيه أن نعد مقدما المعالم الاساسية للتحليل فى البحث باستثناء البحوث الاستطلاعية ٠

ويمكن تجنب الوقوع فى الخطأ عند الترميز من خلال مراجعة أو التحقق من ثبات القائمين بالترميز ـ بمعنى تحديد المدى الذى يتفقون فيه على وضع البند فى فئة معينة ـ واذا كان الترميز يتطلب أحكاما صعبة ، علينا أن نستعين باجراء مناسب هنا يتمثل فى ترك اثنين أو أكثر من المرمزين يقومون بعملهم على نحو مستقل على عينة من المادة حتى يتوصلوا الى درجة مرضية من الثبات ٠ أو قد يقوم أحد المرمزين بالعمل ، ثم يقوم مرمز آخر بعملية المراجعة تحريا للدقة فى هذا الصدد[1] ٠

واذا كانت عملية جدولة البيانات ستتم بالطريقة الآلية ، واستخدام الكروت التى تثقب وفقا لبرنامج الترميز ، فيقصح هنا بالمراجعة لتحرى الدقة فى التثقيب ٠ كما ينصح بتحرى الدقة فى استخراج الجداول من خلال اعادة العمل ، والمقارنة بين النتائج فى المرتين ٠

كما يلزم أيضا اجراء معالجات احصائية فى الدراسة الوصفية،واستخراج النسب المئوية والمتوسطات والارتباطات ، وينصح أيضا بتحرى الدقة فى

---

(1) Ibid, pp. 110-111.

هذه المعالجات كما ينبغى اتباع الاجراءات الاحصائية التى تجنبنا استخلاص نتائج متحيزة من تلك البيانات ، وذلك مثل تحليل التباين بين المجموعات أو حساب اختبارات الدلالة الاحصائية وهكذا .

غير أن البيانات والنتائج فى ذاتها ليس لها أية قيمة ، وهذا معناه أن عملية جمع البيانات والتوصل الى نتائج لا تمثل نهاية عملية البحث،وانما يهدف البحث الى التوصل الى اجابة على السؤال الذى يطرحه فى ضوء الحقائق والبيانات التى تم جمعها ولذلك كان استخلاص معنى من هذه البيانات التى تم جمعها أن تفسير النتائج يشكل خطوة هامة فى البحث؟. ولكن كيف يتم تفسير النتائج ؟ وهذا السؤال يجب أن نجد اجابة له عند تصميم البحث أو عند اعداد خطته ، ان تفسير النتائج ليس معناه مجرد وضعها فى جداول أو رسوم بيانية أو اعادة ترتيبها وعرضها فى صورة أخرى، لانها تظل على هذا النحو مادة خام(١) . ولكن عندما يحاول الباحث توضيح ما الذى تشير اليه هذه النتائج وذلك فى ضوء المشكلات الفرعية للبحث والمشكلة الكبرى له ، أو عندما يعمل على تكامل النتائج فى قضية تدعمها الحقائق ، فانه يهدف بذلك الى تفسير هذه النتائج .

٦ ـ التحيز فى تصميم البحث الوصفى :

فى توضيحنا للخصائص الاساسية للمسح الوصفى ، أشرنا الى ضرورة أن يكون الباحث حساسا لمصادر التحيز فى هذا النوع من البحث ذلك لان البيانات فى هذا البحث قابلة للتحريف ، ولهذا من الواجب أن نجنب البيانات من التاثر بهذا التحيز .

وبرغم أن كل بحث عرضة للتحيز الا أن البحث الوصفى أكثر تعرضا للتحيز الذى يمثل اى اثر أو ظرف أو مجموعة ظروف تحدث التحريف فى البيانات أو حتى تؤثر فى التوزيع العشوائى لعينة البحث .

ولكى نفهم بدقة كيف أن التحيز يؤثر فى البيانات ، دعنا نأخذ بعض

---

(1) P. D. Leedy, Op. Cit., pp. 109-111.

الامثلة وندرسها بعناية ، فقد قرر أحد الباحثين الاعتماد على دليل التليفون فى المدينة كمصدر لاختيار عينته العشوائية ، وهذه العينة واضح أنها متحيزة ، لانها لا تمثل جمهور البحث ككل ، أو لان الشريحة الاقتصادية الدنيا لا تدخل فى العينة لعجزها عن اقتناء التليفون • كما سوف تستبعد فئات أخرى تفضل ألا تضع اسمائها ضمن هذا الدليل •

وقد يستخدم الباحث أداة لجمع البيانات مثل الاستخبار دون أن يدرى أنها معرضة للتحيز ، ذلك لان نسبة العائد من الاستبيان حتى ولو بلغت ٥٠٪ فانها لا تمثل كل عينة البحث المدروسة • ولذلك فان محاولة صياغة تصميمات على هذا الاساس وتطبيقها على المجتمع ككل سوف يؤدى الى التحيز والتضليل •

ولكذلك قد ينشأ التحيز من مصادر أخرى فى البحث ، فقد تؤثر شخصية الباحث فى استجابات المبحوث عند مقابلته شخصيا •• والواقع أن الاعتراف باحتمال التحيز والتعرف على مصادره هو الطريق الوحيد لتجنبه(1) •

رابعا ـ تطبيقات على البحوث الوصفية :

بالنظر الى الفقرات السابقة يمكن التعرف على الاهداف المتباينة التى تدخل ضمن أى بحث وصفى ، وعلى الاساليب المنهجية التى يلتزم بها غالبا فى الوصول الى مثل هذه الاهداف ابتداء من طريقة البحث ثم الاداة ثم العينة وأخيرا جمع البيانات وتحليلها ••• الخ • الامر الذى يفهم منه أن الباحث الذى يختار واحدا من الاهداف المذكورة سلفا ويحاول أن يجرى عليها بحثا وصفيا فانه يجد نفسه ملزما باتباع الاساليب المنهجية الخاصة بالبحث الوصفى والى أخذها فى اعتباره وهو يفكر فى وضع تصميم منهجى مناسب لتحقيق هذا الهدف ، وهذا ما حاولته الهيئة التى أشرفت على بحث البغاء فى القاهرة عندما حددت هدفها فى وصف ظاهرة البغاء التى تنتشر بشكل ظاهر فى المدن الكبرى وخاصة القاهرة ، وكما تمارس فى الواقع •

---

(1) Ibid., pp. 106-109.

واستعانت بطريقة المسح الاجتماعى لحالات البغاء التى ضبطت فى خلال فترة زمنية محددة ، وقامت بتصميم مقابلة مقننة لجمع البيانات من المتهمات اشتملت بنودها على عملية ممارسة البغاء من حيث بدايتها وطريقتها والعملاء الذين يتعاملون مع البغايا ، والايام والشهور والفصول التى يشتد فيها الطلب عليهن ومن حيث الظروف الاقتصادية للبغايا والدخل من المهن الاصلية ومن ممارسة البغاء ومن حيث موقف أسر البغايا منهن وعاداتهن خاصة تعاطى المخدرات والمسكرات ، ثم جمعت البيانات بمعرفة باحثين مدربين ، وأجريت عملية التحليل اللازمة ، وساعدت كل هذه الاجراءات على تحقيق الهدف من البحث ، وهو تصور الوضع الراهن الذى كانت عليه ظاهرة البغاء من جميع جوانبها الممكنة على نحو ليس فيه تحيز ، ويلتزم الدقة ، كما هو مطلوب فى البحث الوصفى(١) ٠

أما الهيئة المشرفة على بحث النشل عند الاحداث فقد حددت هدفها فى وصف ظاهرة النشل بين الاحداث المنحرفين ، ولذلك كانت مجموعة الاجراءات المنهجية التى أعتمدت عليها فى الوصول الى هذا الهدف هى الاجراءات المتبعة فى البحث الوصفى بحيث اعتمدت على طريقة المسح الاجتماعى للحالات التى أدانتها محكمة أحداث القاهرة والتى بلغت ٣٧ حدثا وقامت بتصميم مقابلة مقننة لجمع البيانات من الاحداث ضمت بنودها ، الوقائع الجنائية للظاهرة والجماعات التى ينتمى اليها الاحداث وطبيعة العلاقات بينها والاسرة والجوار ٠٠٠ الخ ٠ ثم جمعت البيانات بواسطة باحثين مدربين ، ثم تمت الاستعانة بالاسلوب الاحصائى فى تحليل البيانات بحيث ساعد الالتزام بهذه الاجراءات على القاء الضوء على ظاهرة النشل عند الاحداث وتحديد جوانبها المختلفة(٢) ٠

---

(١) للمزيد من المعلومات انظر :
المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، البغاء فى القاهرة ، مسح اجتماعى ودراسة اكلينيكية ، القاهرة ، دار ومطابع الشعب، ١٩٦١ ٠

(٢) ويمكن الرجوع الى :
الدكتور سيد عويس وآخرون ، النشل عند الاحداث ، المجلة الجنائية القومية ، المجلد الحادى عشر (نوفمبر ١٩٦٩) صفحات ٥٠٩ ــ ٥٢٢ ٠

الفصل السابع

تصميم البحث التقييمى وتطبيقاته

أولا : تطور البحث التقييمي وأهميته ٠

ثانيـا : التعريف بالبحث التقييمى وخصائصه ٠

ثالثـا : أهداف البحث التقييمى وأسسه التصورية ٠

رابعا : خطوات البحث التقييمى ومشكلاتة المنهجية ٠

خامسا : تطبيقات على البحث التقييمى ٠

تصميم البحث التقييمى وتطبيقاته(*)

أولا ـ تطور البحث التقييمى واهميته :

يعتبر البحث التقييمى بالوضع الذى يعرف به اليوم محصلة لجهود كثيرة سابقة بدأت منذ زمن طويل نسبيا واستمرت تضيف اليه التعديلات والتحسينات فى ضوء ما توافر لها من خبرات أسهمت بعد ذلك فى تطوير البحث التقييمى ٠

فلقد ظهرت بعض المحاولات المبكرة لاستخدام البحث التقييمى فى مجال برامج العمل الاجتماعى ، بين تلك الجهود التى انصبت على العمل فى المجتمع المحلى من أجل الحد من انحراف الاحداث ٠ ففى عام ١٩٣٧ أجرى بحثا لشباب احدى القرى التابعة لكامبريدج على مجموعتين منهم ، الاولى تجريبية وتتلقى رعاية خاصة ونصائح يقدمها ارشاديون وبعض العاملين فى مؤسسات المجتمع المحلى ، أما المجموعة الضابطة الاخرى فلم تتلقى هذه الرعاية واستغرقت خطة العمل مع الجماعات عشر سنوات ، تلاها عملية تقييم تم فيها مقارنة سجلات السلوك الانحرافى لافراد الجماعة الضابطة بنظيره بين أفراد المجموعة التجريبية ٠ وبرغم أن نتائج عملية التقييم طويلة المدى للنتائج المترتبة على برنامج العمل الاجتماعى هذا ، لم توفر الشواهد الدالة على أثر البرنامج فى انخفاض النشاط الاجرامى بين

(*) اعد هذا الفصل أ٠د٠ على جلبى ٠

أفراد المجموعة التجريبية ، الا أنها أضافت مجموعة من الخبرات التحليلية والنظرية التى أعانت على بلورة وتطوير عمليات البحث التقييمى(١) .

ثم اتسع نطاق استخدام البحث التقييمى ليشمل برامج العمل بين الشباب السوى ، اذ أجرى «ريكن» عام (١٩٥٢) بحثا تقيميا لمعسكرات العمل الصيفية التى تقيمها جمعية خدمات الاصدقاء الامريكيين للتعرف على أثرها فى قيم واتجاهات وآراء الشباب . ولقد وفق هذا البحث فى تعيين مجالات نجاح المعسكر فضلا عن مجالات فشله، وفى الاشارة الى أهمية قياس والتعرف على الآثار الجانبية وغير المتوقعة لبرامج العمل الاجتماعى.

أما البحوث التقييمية الاخرى لبرامج الشباب التى أجرها «هايمان» و «رايت» و «هوبكينس» بعد ذلك ، فقد أسهمت فى وضع تصميمات بحث متباينة، يعتمد بعضها على المقارنة لقيم المشتركين فى المعسكرات واتجاهاتهم، وآرائهم وسلوكهم قبل وبعد التدريب فى المعسكر بفترات زمنية ، ويستعين بعضها الثانى بالمسوح التتبعية ، ويهتم البعض الثالث باعادة تطبيق الدراسة الاصلية على جماعات جديدة من شباب المعسكرات ... الخ .

ولقد أسهم نجاح هذه البحوث التقييمية فى تقدير فعالية البرامج وأثرها على الاتجاهات والسلوك . وفى اختيار ديناميات تغيير الاتجاهات، أسهم فى اتساع نطاق البحث التقييمى ليشمل ميادين جديدة للعمل الاجتماعى ، منها : تعليم الكبار ، وسائل الاتصال الجمعى ، برامج التبادل الدولى للاشخاص والجماعات ، وبرامج التدريب فى مجالات الصحة الفعلية والصحة العامة ... الخ(٢) .

كل هذه الجهود وغيرها مما لم نستطيع الاحاطة به ، قد أسهمت فى تطور البحث التقييمى وأوصلته الى وضع متميز بين غيره من أنواع البحوث الاجتماعية الاخرى ، وفى وضوح أهميته بينها .

---

(1) Charels, R. W. Right; Evaluation research, in : International Encyclopedia of social scinces, 1980, p. 197.

(2) Ibid, pp. 197-198.

اذ يستمد البحث التقييمى أهميته من الاساس بالحاجة الى الاساليب الموضوعية فى تقدير فعالية برامج العمل الاجتماعى ، والتحول عن التقديرات الذاتية والشخصية والتى ثبت عجزها فى هذا الصدد .

اذ تأكد للمجتمعات الحديثة ومؤساساتها الضخمة أن حل المشكلات الاجتماعية أو احداث التغيير الاجتماعى ، يمكن أن يتحقق على نحو أفضل من خلال وضع برامج للعمل الاجتماعى ، واقامة المشروعات المتنوعة ، الصغيرة والكبيرة أو العامة والخاصة ، وعلى المستويات المحلية والقومية أو حتى الدولية . ويستلزم هذا الامر انفاق المال والوقت والجهد على هذه البرامج والمشروعات لتساعدها على تحقيق أهدافها ، ويثير فى نفس الوقت تساؤل البعض عن فعالية جهودهم هذه أو برامجهم . وعندما بدأ هذا البعض يبحثون عن الوسائل التى تعينهم فى التحقق من فعالية جهودهم ،وفاجأتهم تقديرات المدافعين والمناصرين لبرامج العمل الاجتماعى بتناقضاتها ، واعتمادها على أحكامهم الشخصية وانطباعاتهم ومعلوماتهم المشتتة وأدلتهم التقديرية أو الذاتية المتاحة لهم فى عملية التقييم ، تحولوا عنها بحثا عن تقديرات أكثر دقة وموضوعية وتنسيقا(1) . فوجدوا فيما عرف فى ذلك الوقت عن البحث التقييمى ما يعينهم على تحقيق أهدافهم هذه .

ثانيا ـ التعريف بالبحث التقييمى وخصائصه :

يستخدم مصطلح التقييم فى الوقت الحاضر ، كهدف وعملية فى الوقت نفسه ، هدف يتمثل فى تحديد القيمة الاجتماعية لبعض الموضوعات أو الاعمال أو الاشخاص ، وعملية تتعلق بقياس درجة توفر تلك القيمة فى هذه الامور . من هنا عرف «ريكن» التقييم بأنه قياس للنتائج المرغوب فيها وغير المرغوب فيها لفعل أو سلوك يحقق هدف له قيمته . واستنادا الى ذلك تبلورت العناصر التصورية والمنهجية الاساسية للبحث التقييمى ، حيث تتمثل العناصر التصورية الاساسية للبحث التقييمى فى تأكيد العلاقة

(1) Ibid, p. 197.

بين نشاط أو سلوك أو فعل ما ، وبين هدف مرغوب فيه «علاقة تستند الى مبدأ نظرى ما يفترض أن هناك صورا معينة للفعل الاجتماعى سوف يترتب عليها نتائج محددة تمثل فى الـواقع القيمة الاجتماعية المرغـوب فيها . وتتعلق العناصر المنهجية الاساسية للبحث التقييمى بمشكلة قياس نتائج هذا النشاط ، أو بوجود تكتيك أو منهج لقياس النتائج المحققة له على نحو من الصدق والثبات يساعد على نسبة هذه النتائج وارجاعها الى هذا الفعل أو السلوك أو النشاط موضوع التقييم . وهكذا يتوفر فى البحث التقييمى العنصرين الاثنين الاساسيين الذين يتكون منهمـا أى مشروع للبحث سواء أكان بحثا أساسيا أو تطبيقيا هما :

أ) فرض يربط بين متغير سببى مستقل (فعلا اجتماعيا ما) بمتغير تابع (النتائج المرغوبة) .

ب) منهج اجرائى لقياس التغيرات فى المتغير التابع ولتحديد الى أى مدى يمكن أن ننسب فيه هذه التغيرات الى التغير فى المتغير المستقل(1) .

وتضفى هـذه العناصر التصـورية والمنهجية الاسـاسية على البحث التقييمى عددا من الخصـائص التى تميزه عن غيره من أنـواع البحوث الاجتماعية الاخرى .

فاذا كـان البحث التقييمى يعـد عموما بحثا تطبيقيا يهـدف لقياس نتائج برنامج عمل اجتماعى ما ، فليس معنى هـذا بالضرورة ودائما أن البحث التقييمى يختلف من هـذه الناحية عن أنواع البحوث الاجتماعية الاخرى التى تتميز بالطابع غير التطبيقى ، وذلك مثل البحث الاستطلاعى الذى يسعى الى صياغة مشكلات وفروض جديدة ، والبحث الكشفى الذى يركز على اختبار الفروض ذات الدلالة النظرية ، أو البحث الاجتماعى الوصفى الذى يسجل وجود ظروفا اجتماعية معينة فى لحظة زمنية محددة ... الخ . ذلك لانه طالما كان بالامكان استخدام البحث التقييمى فى اختبار

---

(1) Edward, A; Cuchman, Principles & Practices of Evaluation Research,

صدق القضايا النظرية الاساسية المتعلقة بالتغير الاجتماعى المقصود • اذ قد يهدف البحث التقييمى الى اختبار الفروض المتعلقة بكيف ولماذا سيترتب على التغير فى متغير مستقل ، أو لا يترتب عليه تغير فى المتغير التابع ، الامر الذى قد يترتب عليه امكانية تعميم هذا الاختبار على مبادىء العلم الاجتماعى خاصة اذا أمكن صياغة المتغيرات المستقلة فى ضوء مؤشراتها التصورية والاجرائية ، واذا أجريت محاولة لصياغة أوجة نشاط البرنامج فى مبادىء عمل اجتماعى أوسع ••• وهكذا(1) • غير أن الظروف التى يجرى فى ظلها البحث التقييمى قد تعطى له طابعا متميزا عن غيره من صور وأنواع البحوث الاجتماعية الاخرى ذلك لانه يجمع معا بين باحث خارجى يلتزم بالموضوعية وبين عميل فى حاجة الى خدماته ويرتبط القائم بالبحث التقييمى ، منذ الصياغة الاولى لمشكلة بحثه وحتى التفسير النهائى لنتائجه ، يرتبط بواجب محدد ويذكر باستمرار أن محور اهتمامه هو تقدير البرنامج موضوع الدراسة • ونتيجة لذلك ، فانه يفتقر الى الحرية التى قد يتمتع بها فى دراسات وبحوث اخرى صممت لتجيب على تساؤلات صاغها بنفسه على أساس نظرى ، فلا يسمح له باختيار أو رفض متغيرات معينة مستقلة أو معتمدة أو وسيطة ، أو بتصوير المفاهيم وترجمتها الى متغيرات يمكن قياسها ، بعيدا عن الاطار الذى يحدده ويرسمه طبيعة البرنامج موضوع التقيم وأهدافة • كما أنه نادرا ما يتوفر للقائم بالبحث التقييمى الحرية فى تناوله ومعالجة البرنامج ومكوناته كمتغيرات مستقلة ، بعكس ما يتوافر له فى المعمل والتجارب الميدانية من حرية(2) •

ثالثا ــ أهداف البحث التقييمى وأسسه التصورية :

قد يهتم أذن البحث التقييمى بتوفير الشواهد الموضوعية والمنسقة والشاملة والتى تدلل على الدرجة التى انجز بها البرنامج موضوع التقييم اهدافه المقصودة الى جانب الدرجة التى حقق بها هذا البرنامج نتائج

---

(1) Ibid, p. 329.

(2) Charels, R., Wright, Evaluation Research, Op. Cit., p. 189.

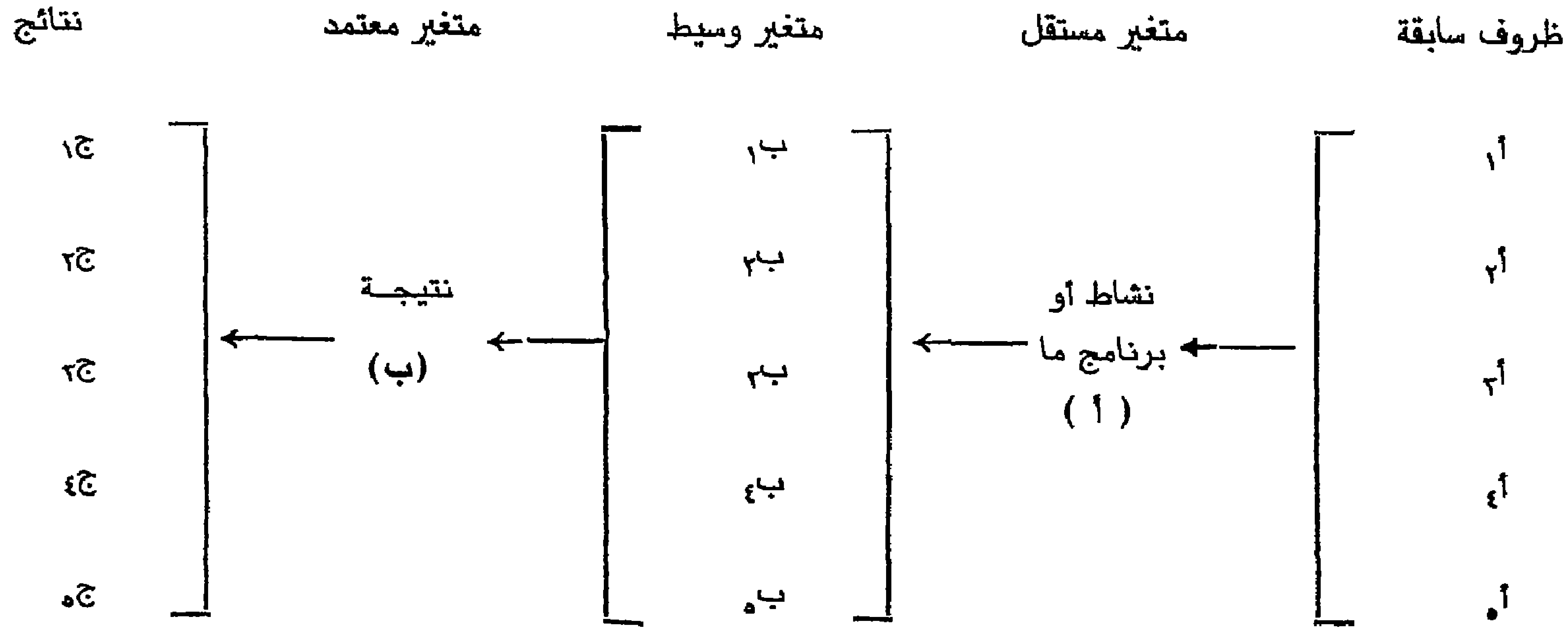
أخرى غير متوقعة .. ويوفر البحث التقييمى فى نفس الوقت الفرص الملائمة لاختبار فروض معينة تتعلق بالتغير الاجتماعى المقصود ، فيمكن العلماء الاجتماعيين من اختبار صدق الكثير من مفهوماتهم ونظرياتهم فى هذا الصدد ، والتدليل على قيمة نظمهم الفكرية المتباينة فى حل المشكلات الاجتماعية الهامة • وهذا معناه أن البحث التقييمى يهدف الى :

أولا : القياس الموضوعى والمنظم للنتائج المتوقعة وغير المتوقعة التى يسفر عنها تنفيذ برنامج عمل اجتماعى ما •

ثانيا : اختبار صحة بعض الفروض المتعلقة بعوامل التغير الاجتماعى أو أسباب المشكلات الاجتماعية •

ويستند البحث التقييمى فى تحقيقه لهذه الاهداف الى بعض الاسس التصورية ، اذ يفترض أن هناك سلسلة من الاحداث المتداخلة والمتشابكة والتى لها لاغراض البحث بداية ونهاية ترتبط بعدد آخر من الخطوات الوسيطة • كما يفترض أن لكل الاحداث الاجتماعية عددا من الاسباب وعديد من النتائج ، وأنه ليس هناك عامل وحيد يعتبر سببا كافيا وضروريا لاية نتيجة أخرى • ولذلك يجب التعبير عن العلاقات بين هذين المتغيرين – أى البرنامج ونتائجه – فى ضوء فكرة الاحتمالات بمعنى أنه يحتمل أن يكون للبرنامج : (أ) النتيجة المتوقعة ، (ب) كما يجرى تحليل هذه العلاقة وفقا لنموذج النتائج المتفاعلة والذى يمكن التعبير عنه بالرسم التالى:

ثم يعبر عن الفرض الذى يجمع بين المتغيرين المستقل والمعتمده فى قضية مؤداها أنه كلما تغير المتغير المستقل (أ) فان المتغير المعتمد (ب) سوف يتغير •ولهذا فان التغير فى المتغير المستقل أو برنامج العمل الاجتماعى موضع التقييم ، ينطوى على جوانب تكون موضع تناول أو معالجة ، وينطوى المتغير المعتمد أو النتيجة المرغوبة على جوانب أخرى يتم طبقا لها قياس التغير • بحيث تكون المهمة الاولى فى كل بحث تقييمى هى أختبار وجود علاقة ذات دلالة بين هذا المتغير المستقل والمعتمد ثم القيام بتحليل هذه العلاقة بعد ذلك للتاكد من أن هذه العلاقة مستمرة وثابتة نوعا وأن


ظروف سابقة
متغير مستقل
متغير وسيط
متغير معتمد
نتائج
أ١
أ٢
أ٣
أ٤
أ٥
نشاط أو
برنامج ما
(أ)
ب١
ب٢
ب٣
ب٤
ب٥
نتيجة
(ب)
ج١
ج٢
ج٣
ج٤
ج٥

البرنامج موضوع التقييم أدى الى استمرار وجود النتائج المرغوبة ، وأن هذه العلاقة سببية ، بمعنى أن البرنامج هو وليس غيره الذى أدى آلى هذه العلاقة ، ثم الكشف عن الظروف والعوامل التى يحتمل أن تؤثر فى فعالية البرنامج(١) .

رابعا ـ خطوات البحث التقييمى ومشكلاته المنهجية :

يمكن حصر خطوات البحث التقييمى فى خمسة خطوات رئيسية ، تثير كل خطوة منها مشكلات منهجية معينة ، وتتطلب مبادىء موجهة ومرشدة فى العمل على النحو التالى :

١ ـ تصور أهداف البرنامج ونتائجه غير المتوقعة .

٢ ـ تصور تصميم البحث واجراءاته المنهجية ومعايير البرهنة على فعالية البرنامج .

٣ ـ تحديد معايير لتقييم فعالية البرنامج ، أو مؤشرات لقياس النتائج .

٤ ـ تنفيذ البحث مع الاهتمام والحرص على تقليل اخطاء القياس .

٥ ـ تفسير وفهم نتائج البرنامج وأسباب النجاح والفشل فى تحقيق أهدافه أو فعاليته .

وعلى الرغم من أن هذا التقسيم لخطوات البحث التقييمى يعد تقسيما مصطنعا لانها خطوات تتداخل مع بعضها عند التطبيق ، ويجب أن يعير الباحث كل هذه الجوانب الخمسة قدرا متوازنا من الاهتمام والاعتبار ، الا أنه تقسيم يقدم لنا اطارا مفيدا لفهم المكونات الاساسية لهذا النوع من البحوث ، نحاول فيما يلى تعمق تفاصيل كل خطوة منها(٢) .

١ ـ تصور أهداف برنامج التقييم : *

تبدأ معظم البحوث بتصور الهدف الذى تسعى الى تحقيقه ، ولا يستثنى

---

(1) Edward, A., Suchmay, Op. Cit., p. 332.
(2) Crarles, R. Wright, Op. Cit., p. 199.

من هذا البحث التقييمى ، حيث يتمثل هدفه فيما يريد الباحث تفسيره ، أو ما يحاول تقييمه ، والذى بدونه يصبح من غير الممكن على الباحث أن يطور ويكون معايير التقييم .

وربما كانت السمة المميزة للبحث التقييمى هى وجود هدف ما له قيمته ، ذلك لان لكل فعل أو عمل أو برنامج قيمته وهدفه ونتائجه ، ومن المنطقى أن يتم تقييم كل برنامج عمل فى ضوء أهـداف الخاصة . ولذلك يجب أن يبدأ البحث التقييمى بمحاولة التعرف على هذه الاهداف، حتى يتمكن من الانتقال بعد ذلك صوب تعيين المفهومات المعبرة عن هذه الاهداف ، والتى يمكن بدورها ترجمتها الى مؤشرات يمكن قياسها .

وليست مهمة تحديد ما يأمل الباحث فى تحقيقه من خلال برنامج عمل، وترجمته الى مؤشرات يمكن قياسها أو ملاحظتها ، بالمهمة السهلة وذلك نظرا لتعدد أهـداف البرنامج وتباين ابعادها وتنوع أطر تصنيفها . فقد تصنف الاهداف وفق :

١ ـ المضمون ، وهل يحاول البرنامج تغيير المعتقدات أم الاتجاهات أم الاهتمامات ، أم المعارف ، أم السلوك .

٢ ـ النطاق : ومن هم هدف البرنامج ؟ أو من الذين يحاول البرنامج تغيرهم ؟ هل هم الافراد ؟ أم الجماعات ؟ أم المجتمعـات المحلية ؟ هل مجمل السكان ؟ أم جماعات فرعية مثل الاصدقاء أو الاقارب ؟

٣ ـ المدى الزمنى : أو متى يرغب البرنامج فى حدوث التغيير ؟ هل يريد التوصل الى نتائج فورية ، أم الى نتائج مؤجلة ؟ أو هل التغير قصير المدى ا يقع مرة واحدة ؟ أم بعيد المدى نتيجة للتراكم ؟

٤ ـ الحجم : هل للبرنامج هدف واحد أم أهداف متعددة ؟ أو هل قصد به احداث تغير واحد أم سلسلة من التغيرات المسـتمرة ؟ وهل يمكن تقسيم الاهداف الى أهـداف أساسية وأخرى ثانـوية ؟ وكم عـدد النتائج المرغوب فيها وتلك غير المرغوب فيها ؟ أم غير المتوقعة ؟ ولذلك يجب أن

تشتمل القياسات التى يقوم بها الباحث على نتائج كثيرة محتملة . ويجب أن يوجه اهتمامه نحو النتائج الجانبية أو غير المتوقعة أو غير المرغوب فيها(١) .

وقد تبدو عملية تحديد الاهداف على النحو السابق كأنها عملا بسيطا وربما روتينيا بمقارنته بالموقف الاقل تقنينا الذى يمر به الباحثون أثناء انشغالهم بعملية صياغة مشكلات البحث فى نماذج البحوث الاستطلاعية أو الوصفية أو التجريبية أو غيرها من أنواع البحوث الاساسية . ولكن هذه البساطة الظاهرة اتضح عند التطبيق مقدار خداعها ، ومجمل المشكلات التى تترتب عليها . ذلك لانه غالبا ما تكون أهداف البرامج غامضة أو مضللة أو غير متساوية فى أهميتها مع حجم البرنامج أو أحيانا ما يصعب ترجمتها الى مصطلحات ومفهومات اجرائية يمكن قياسها أو ملاحظتها . كما أن البحث التقييمى يفرض على القائم به ضرورة النظر بعين الاعتبار الى النتائج المحتملة للبرنامج وغير المتوقعة . ويحتاج توقع كلا من النتائج المخطط لها وغير المخطط لها وقتا كافيا ، وجهدا ، وقدرة على التخيل يتميز بها الباحث ، وذلك كله قبل جمع الشواهد اللازمة لعملية التقييم ذاتها .

٢ - تصور تصميم البحث التقييمى :

يستفيد البحث التقييمى من الاساليب المتباينة فى البحث ويلتزم بقواعد المنهج العلمى وعلى الرغم من أن تصميم البحث التقييمى يتبع فى معظم الاحوال الاساليب والقواعد المتبعة فى تصميم البحث التجريبى ، خاصة أنه يهدف أساسا الى التحقق من نتائج افتراضية معينة للبرنامج موضوع التقييم الا أنه يمكن للبحث التقييمى الاستفادة من نماذج البحث الوصفى الذى يعتمد أساسا اما على طريقة المسح الاجتماعى أو دراسة الحالة .

أ) التجريب والتقييم :

تستلزم عملية تصور التصميم المناسب للبحث التقييمى عادة النظر الى

---

(1) Edward, A. Suchman, Op. Cit., pp. 338-339

التصميم الكلاسيكى للبحث التجريبى باعتباره نموذجا تحتذى ومحاولة الاخذ بالاجراءات التى تحقق الشروط اللازمة للتجربة المضبوطة ، والتى تساعد على قياس التغيرات المترتبة على البرنامج من خلال اجراء المقارنات بين التغيرات فى المتغير المستقل بين المجموعة التجريبية قبل وبعد البرنامج وبين التغيرات فى المتغير المعتمد بين المجموعة الضابطة التى لم تتعرض لهذا البرنامج بحيث أنه اذا تحقق التماثل بين الجماعتين التجريبية والضابطة ، باتباع أساليب المضاهاة أو التوزيع العشوائى أو غيرها ، عندئذ يستطيع الباحث اعتبار التغيرات فى الجماعة الضابطة بمثابة معيارا يمكن على أساسه تقدير الدرجة التى يمكن بها أرجاع التغيرات فى الجماعة التجريبية الى البرنامج موضوع التقييم(١) •

ويوضح الرسم التالى الشروط المثالية والخطوات التى يجب اتباعها عند اجراء دراسة تقييمية تعتمد على التصميم التجريبى •

غير أن الاستعانة بالتصميم التجريبى فى البحوث التقييمية على النحو السابق ، قد يصادفه بعض المشكلات المنهجية • ذلك لانه اذا افترضنا مثلا أنه تم اختيار جماعتين متماثلتين من البالغين فى دراسة لاثر فيلم تدريبى قصد به نقل معلومات معينة للمشاهدين ، وأنه قد تم قياس مستوى المعلومات لدى الجماعتين قبل مشاهدة الفيلم • وبينما شاهدت احدى الجماعتين هذا الفيلم ، بينما لم تشاهده الجماعة الاخرى وبعد فترة راحة ، تم قياس مستوى المعلومات مرة ثانية لدى الجماعتين • هنا قد لا نستطيع ببساطة ارجاع التغيرات فى مستوى المعلومات لدى الجماعة التجريبية الى الفيلم وحده ، لان هذه التغيرات قد تعكس اثر عوامل أخرى فى الموقف مثل احتمال التعرض لمصادر اخرى للمعلومات فى الفترة التى تخللت القياس فى المرتين ، واثر عدم اثبات أدوات القياس ، أو نضجها ، وكذلك اثر عوامل خارجية أخرى على البرنامج ذاته • وان كان البعض يريد على ذلك قائلين بأن الجماعة الضابطة قد تتاثر بمثل هذه العوامل الغربية على

---

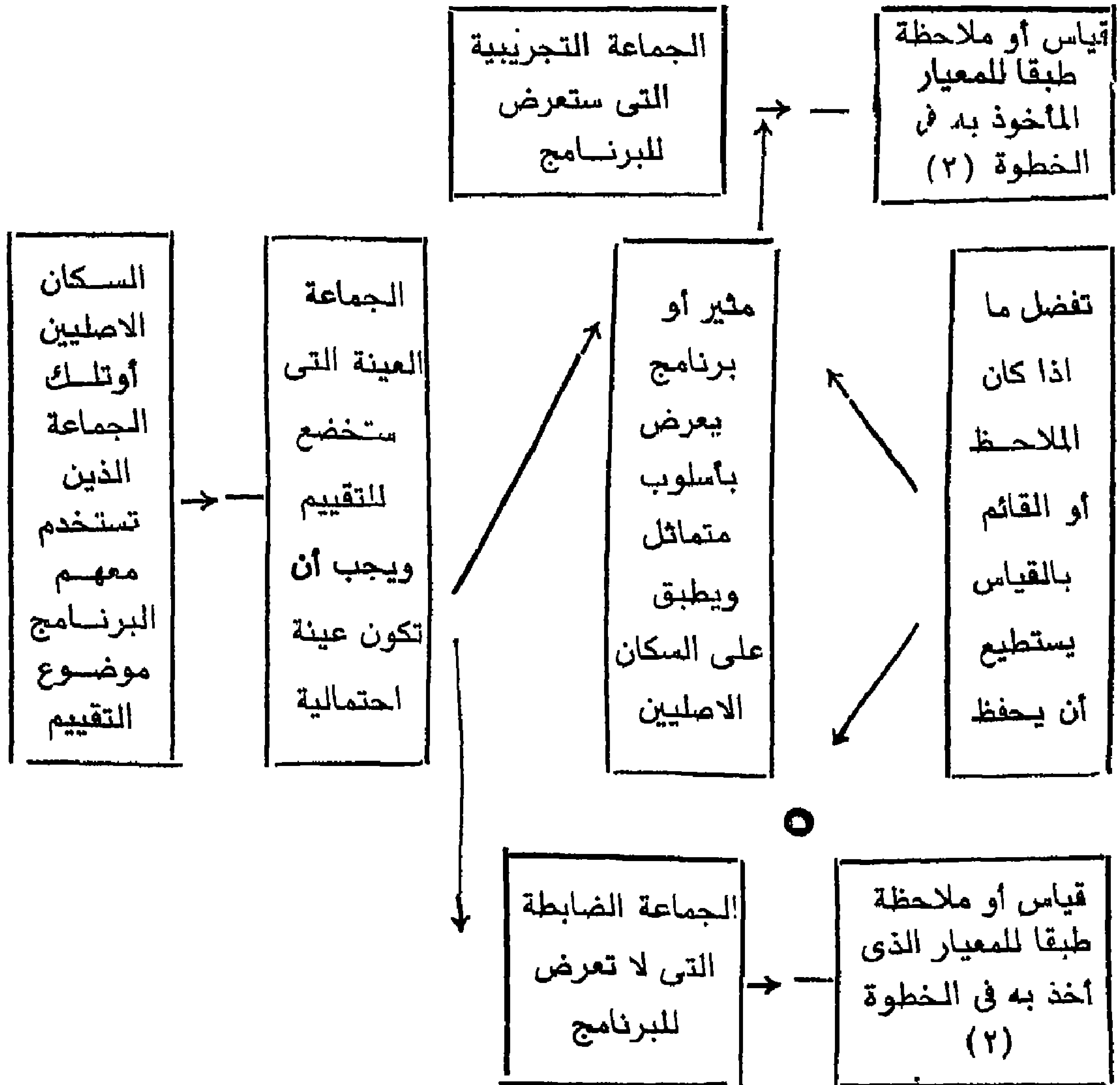
(1) Charels, R. Wright, Op. Cit., pp. 199-200.

+

٢ O   O ١

٤ O   C ٣

اذ يعبر + عن تعريض الجماعة للبرنامج موضوع التقييم ، ويشير O الى الملاحظات والقياسات التى أجريت على الآثار المرغوبة(١) .



(1) Edward, A. Suchman, Op. Cit., p. 334.

البرنامج ، وبذلك يستطيع الباحث أن يستخلص مقدار التغير فى مستويات المعلومات الذى يرجع الى الاثر الشامل للبرنامج موضوع التقييم . ولكن اذا كان الامر يمكن تحقيقه فى ظل ظروف مثالية مثل التى نجدها فى ظروف المعمل ، الا أنه يندر أن يحقق البحث التقييمى فى الواقع مثل هذا الامر . ذلك لانه يصعب دائما توفير الجماعات الضابطة والمناسبة وخاصة فيما يتعلق ببرامج العمل الاجتماعى التى تتطلب جهودا ضخمة فى سبيل تحقيق تغير اجتماعى شامل ، وكذلك بالنسبة للبرامج البسيطة التى تهدف الى التاثير فى اتجاهات وسلوك المشاركين ، التى عادة ما تحول الاعتبارات الارادية والاخلاقية دون توزيع المشاركين عشوائيا على جماعات ضابطة وأخرى تجريبية . ولمواجهة مثل هذه العقبات، تبنى عدد من علماء المناهج الرأى القائل بأن الاصرار والتقيد بصميم البحث التجريبى الذى يشتمل على جماعة ضابطة يعوق وظيفة البحث ويبعده عن الصواب . واخذوا يدافعون عن ضرورة استخدام بدائل عملية ومعقولة أخرى محل التصميم التجريبى . فمنهم من ذهب الى امكانية الاعتماد على المقارنة ودراسة الجماعات شبه الضابطة ، وقياس مقدار التغير الذى حدث بين المشاركين فى برنامج مماثل لذلك البرنامج المراد تقييمه ، والاعتماد عليه فى تقدير الفعالية النسبية للبرنامج موضوع التقييم ، ومعرفة حجم الاثر الذى احدثه البرنامج والذى تفوق الاثر الذى يحدثه برنامج آخر أو العوامل الخارجية المشار اليها سلفا(1) ويقترح فريق ثان من علماء المناهج استخدام اجراء آخر لتقدير أثر العوامل الغريبة على البرنامج ، من خلال دراسة مقدار التغير الذى يحدث بين عينة من المشاركين فى الدراسة خلال فترة من الزمن سابقة على تعريض الجماعة التجريبية لبرنامج العمل موضوع التقيم . ويذهب فريق ثالث من علماء المناهج الى القول بأن اعادة تطبيق واجراء البحث التقييمى ، قد يساعدنا على تقدير التغيرات التى ترد الى البرنامج موضوع الدراسة .

غير أن هذه البدائل العملية للتصميم التجريبى المضبوط لها حدودها ،

---

(1) Charels, R. Wright, Op. Cit., p. 200.

ولذلك كان من الواجب استخدامها بحكمة ، لانه قد ثبت فائدتها وأهميتها فى البحث التقييمى ، وأثرها فى اضفاء الدقة عليه .

ب) **الوصف والتقييم :**

يستطيع البحث التقييمى فى بعض الظروف اتباع نموذج البحث الوصفى والاعتماد أساسا على طريقتى المسح الاجتماعى ودراسة الحالة . اذ يمكن دراسة العلاقة بين التعرض لبرنامج عمل وحدوث آثار مرغوب فيها ، بالاعتماد على المسح التقييمى ، أو المسوح المقارنة ، والتى قد تجد فيها أن الاشخاص الذين اقروا أنهم شاركوا بالفعل فى البرنامج موضوع التقييم تظهر بينهم نسبة عالية وذات دلالة من الآثار المقصودة لهذا البرنامج على خلاف الاشخاص الذين يقروا بأنهم لم يشاركوا أو يتعرضوا للبرنامج موضوع الدراسة . ولما كانت نتائج هذا النوع من المسوح التقييمية والمقارنة يعيبها بعض المثالب المنهجية خاصة ماتعلق بالطبيعة الذاتية والانتقائية فى التعرض للبرامج بين المشاركين ، وجد علماء المناهج أن استخدام أسلوب تحليل التباين المتعدد Multi-Variate فى معالجة نتائج هذا النوع من المسوح يساعد فى التغلب على هذه المشكلات . كما يمكن دراسة العلاقة بين التعرض لبرنامج عمل وحدوث نتائج متوقعة بالاعتماد على المسوح الطولية Longitudinal الذى يكاد يقترب من نموذج الدراسة القبلية والبعدية فى البحث التجريبى ، والذى يتم وفقه دراسة مجموعة من الناس خلال فترتين زمنيتين متتابعتين ، والاستعانة بقياسات سابقة أجريت عليهم كنوع من الضبط والتحكم ، وحساب التغيرات التى تحدث فى فترة لاحقة على التعرض للبرنامج ونتائجه وذلك مثل محاولة تقييم فعالية الحملات السياسية فى تغيير سلوك التصويت(1) .

ويشيع استخدام طريقة دراسة الحالة فى البحوث الاكلينيكية التى تتخذ التقييم هدفها ، بحيث يعتمد التشخص والارشاد على قدرة المهنى على تقييم السبب والنتيجة فى اطار الحالة الفردية التى يتعامل معها أو

---

(1) Edward, A. Suchman, Op. Cit., pp. 332-333.

يعالجها ، ثم فى وصف برنامج العلاج الذى يهدف الى تغيير الظروف غير المرغوب فيها لهذا الفرد.وتستطيع المهن المساعدة فى مجال الصحة والتعليم والرفاهية أن تنجز أوجه نشاطاتها المهنية على أساس من البحث التقييمى الذى يتخذ دراسة الحالة طريقة أساسية فى العمل ، يمكن الاعتماد عليها فى تقييم فعالية برنامج علاجى معين يطبق على الحالة أو الفرد موضوع الاهتمام .

٣ ـ تحديد معايير تقييم فعالية البرنامج :

تشير الفعالية الى المدى الذى يحقق فيه البرنامج أهدافه ، ويحتاج تقييم فعالية البرنامج الى وجود مؤشرات أو مقاييس أو معايير تساعد فى الحكم على البرنامج وتحديد مقدار النجاح والفشل فى تحقيق أهدافه.ولقد استطاع علماء المناهج الكشف عن فائدة أنواع عديدة من المعايير فى مقدمتها معايير الجهد والاداء والصلاحية والفعالية والعملية باعتبارها من أهم المعايير فى تقدير نجاح أو فشل البرنامج . وهى معايير ترتبط فيما بينها ، ذلك لان تقييم الجهد والاداء تسبق بالضرورة تقدير الصلاحية والكفاية ، ويترتب على الجهد أداءا ناجحا برغم أن الاداء قد يظل غير كافيا فى ضوء الهدف الاكبر المقصود من البرنامج،أو بالمقارنة بمستويات أداء فى برامج أخرى(١).

أ) الجهد Effort :

يتركز تقييم الجهد كمعيار للنجاح على كمية ونوعية النشاط المبذول ، من خلال تقدير المدخلات Input والطاقة المبذولة بغض النظر عن العائد out put ويجيب هذا الجانب من التقييم على الاسئلة : ما هو مقدار العمل الذى تم فى البرنامج ؟ والى أى حد كان هذا العمل موفقا؟ ويأخذ تقييم الجهد فى اعتباره المقدرة والموارد المتاحة والنفقات والنشاط،ويفترض هذا التقيم ان نشاطا معينا يعتبر بمثابة وسيلة صالحة للوصول الى هدف ما .

(1) Ibid, pp. 333-342.

ب) الاداء Performance :

وينصب تقييم الاداء كمعيار على نتائج الجهد أكثر مما يهتم بالجهد ذاته باعتباره معيارا للاثر أو النتيجة . ويتطلب قياسا للانجاز فى ضوء نتائج البرنامج ومقدار ما تم تحقيقه من الهدف الاكبر ، والاجابة على الاسئلة ، هل حدث التغير المرغوب فيه ؟ وهل هناك أية نتائج جانبية أخرى ؟ وهل حقق البرنامج غير ما كان يتوقع منه ؟ .

جـ) كفاية الاداء Adequacy of Performance :

ويتركز تقييم كفاية الاداء على مدى اقتراب النتائج التى حققها البرنامج من الهدف الرئيسى الذى قصد اليه . لانه قد يبدو أن برنامجا للعلاج النفسى المركز على جماعة صغيرة ممن يعانون ضعفا عقليا ، انه حقق نتائجه ، ولكنه ليس كافيا فى مواجهة مشكلة المرض العقلى فى المجتمع المحلى الاكبر ، وتحقيق أهداف الصحة العامة . وهذا معناه أن كفاية الاداء تعد بمثابة مقياس نسبى يعتمد على مقدار التاثير الذى يرغب الباحث أن يحدثه فى المشكلة برمتها .

د) الفعالية Efficiency :

قد يكون للبرنامج نتائج ايجابية ، ولكن مع ذلك ، قد يكون هناك برامج أخرى أفضل منه فى تحقيق نفس النتائج . فقد يستخدم مثلا الباروميتر فى قياس ارتفاع أحد المبانى ، عن طريق ربطه بحبل ثم تدليته الى الارض من أعلى هذا المبنى ، ولكن هل هذه هى أفضل طريقة لقياس الارتفاع ؟ ومن هنا يتم تقييم فعالية البرنامج بواسطة المقارنة بين نتائج البرنامج موضوع التقييم وبين برامج أخرى بديلة من حيث التكاليف المالية والبشرية والزمنية والاقناع العام ولذلك فان الفعالية تمثل النسبة بين الجهد والاداء والناتج مقسوم على التكاليف . ولا شك أن لهذا النوع من التقييم فوائده الادارية والبحثية(1) .

هـ) العملية Process :

ويمكن أن تزداد معرفتنا أثناء تقييم نجاح أو فشل البرنامج من خلال

---

(1) Ibid., pp. 342-343.

المعايير السابقة ، بالكيفية التى يعمل بها البرنامج ويحدث آثاره ، أو بالكيفية التى لم يحدث بها هذه الآثار والاسباب فى كل حالة ، وذلك من خلال جمع وتحليل المعطيات التى تجيب على الاسئلة : كيف ولماذا ومن أى الجماعات يكون للبرنامج وجوانبه المتباينة فعاليته ؟ ومن هنا تتبلور معيار تقييم عملية البرنامج ليسهم فى توفير هذا النوع من المعرفة والذى قد يساعد من ناحية على تطوير البرامج التى حققت النجاح المرجو ، خاصة وأنه قد تزداد الرغبة فى اعادة تكرار البرامج الناجحة فى أوقات أخرى أو ظروف مغايرة ، أو قد نيظر الى البرامج الناجحة باعتبارها نموذجا للعمل صالح لكل زمان • ومن ناحية أخرى يفيد فى التعرف على الاسباب التى أدت الى فشل البرنامج ويسمح للباحث بادخال التعديلات المناسبة • وتتركز تقييم العملية على خصائص البرنامج ذاته ، وعلى سياق الموقف الذى تم فى اطاره البرنامج ، وعلى الجمهور المعرض للبرنامج ، وعلى الانواع المتباينة من النتائج المترتبة على البرنامج •

والواقع أن تحليل هذه العناصر ، يماثل تحليل المتغيرات الوسيطة فى البحوث غير التقييمية ، تلك المتغيرات التى قد تاخذ سمة المتغيرات الشرطية والتى قد تؤثر فى العلاقة بين المتغير المستقل (البرنامج) والمتغير التابع (النتائج) •

٤ ـ تنفيذ البحث التقييمى وتقليل مصادر الخطأ :

يتطلب تنفيذ البحث التقييمى سحب العينات الممثلة ، وتصميم أدوات القياس الموضوعية ، وتوحيد ظروف جمع البيانات ، واجراء التحليل اللازم • ويحتاج الامر ضرورة تقليل مصادر الخطأ فى كل خطوة من خطوات تنفيذ البحث التقييمى ، وخاصة الخطأ الناتج عن تحيز العينة ، أو عن طرح الاسئلة وتسجيل الاجابات ، والخداع فيها ، وعن تحيز القائم بالمقابلة • ويستطيع البحث التقييمى الاعتماد على الاساليب المستخدمة فى التقليل من مثل هذه الانواع من الاخطاء والتى يشيع استخدامها فى أنواع البحوث الاجتماعية الاخرى •

٥ ـ تفسير وفهم النتـــائج :

لا يقف البحث التقييمى عند حد التدليل على نتــائج البرنامج ، انما يتجاوز ذلك نحو اتباع الاجراءات المنهجية التى تساعد فى تفسير ما انتهى اليه البحث ككل من نتائج ٠ ولا يختلف البحث التقيمى فى هذه الخطوة المنهجية كثيرا عن غيره من انــواع البحوث الاجتماعية الاخرى من حيث الالتزام بقواعد التفسير ومحاولة ربط نتائجه بنتائج غيره من بحوث سابقة فى نفس المجال بفكرة نظرة أو فرض نظرى مناسب ٠ ولا يحتاج الامر الى تأكيد أهمية هذه الخطوة الاخيرة من حيث الاهداف العملية والنظرية ، حيث أن هذا التفسير يلقى مزيدا من الضــوء على عوامل نجــاح أو فشل البرنامج ويمد بالتالى القائمين على أمر برامج العمل الاجتماعى بالمعلومات الموضوعية التى يمكن فى ضــوئها الحكم على صــلاحية البرنامج فى حالة النجاح أو تعديله فى حالة الفشل ، كما أن هذا التفسير يساعد من ناحية أخرى على اختبار الفروض النظرية المتعلقة بتفســير التغير الاجتماعى أو تلك المتصلة بأسباب المشكلات الاجتماعية الامر الذى يسهم بدوره فى تنمية نظريات العلم الاجتماعى ٠

خامسا ـ تطبيقات على البحوث التقييمية :

والمثال التالى على البحوث التقييمية نستمــده من بحث اجرى على مجتمع عمال التراحيل ، وكان عنوانه الفرعى دراسة تقييمية لمشروعات التنمية الاجتمــاعية(١) ٠

هـــدف البحـث :

الكشف عن دور نظام المعسكرات الخاصة بعمــال التراحيل فى بعض المحافظــات التى تتميز بوجــود عدد كبــير من هؤلاء العمــال وخاصــة

---

(١) لمزيد من التفاصيل راجع :

دكتور رقية محمد مرشدى بركات ، مجتمع عمال التراحيل ، دراسة تقييمية لمشروعات التنمية الاجتماعية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية، ١٩٧٩ ٠

بمحافظات كفر الشيخ والشرقية ومديرية التحرير دور هذه المعسكرات فى احداث التغيير الاجتماعى المطلوب والقضاء على مشكلاتهم فى وجود فرص عمل ملائمة وتوفير الاجور المناسبة وتطوير ظروف رعايتهم اجتماعيا وصحيا و ... والتعرف على النواحى الايجابية والسلبية فى نظام المعسكرات من هذه النواحى .

تصميم البحث :

استفادت الدراسة من تصميم البحث التقييمى الذى يعتمد على المسح الاجتماعى الوصفى فى اجراء دراسة بعدية لقيام مشروعات التنمية وتنظيم معسكرات عمال التراحيل التى انقضى على انشائها ما يزيد على الخمس سنوات . واختارت عينة مساحية من جمتمع عمال التراحيل فى معسكرات كفر الشيخ والشرقية ومديرية التحرير للتعرف على وجهات نظرهم وتقييمهم لظروف مشروعات التنمية والمعسكرات التى يقيمون فيها . واستعانت باستبيان طبق عن طريق المقابلة الشخصية لجميع البينات من العمال حول مشكلات الرعاية والتنظيم والتشغيل فى المناطق المحددة للتقييم .

ووضعت عدد من المؤشرات والمعايير التى يتعلق كل واحد منها بجانب من جوانب المشروعات موضوع التقييم تمثلت فى المعايير التالية :

١ ـ تقييم الجهد :

ويتم ذلك عن طريق تقييم النشاط الكمى والكيفى المبذول من أجل انجاز الهدف وهو القضاء على مشاكل عمال التراحيل فى تنظيم عمليات التشغيل وتنظيم الاجور والاعاشة فى مواقع العمل والرعاية الاجتماعية والصحية .

٢ ـ تقييم الاداء :

ويتم ذلك عن طريق معرفة مقدار ما تحقق من الاهداف ، بمعنى آخر التعرف على مقدار ما حققته هذه المشروعات التنموية فى حل هذه المشكلات السابقة .

٣ ـ تقييم الفعـــالية :

ويتم ذلك عن طريق معرفة مقدار العائد من هذه المشروعات بالنسبة لعمال التراحيل وامكانية تعميم هذه المشرروعات وانتشارها ومدى تاثيرها عليـــهم ٠

٤ ـ تقييـم العملية :

وهى التعرف على الاسباب التى أدت الى نجاح أو فشل هذ البرامج التنموية فى اعاشة واعانة وتنظيم وتشغيل عمال التراحيل فى هذه المعسكرات والوقوف على مدى نجاح أو فشل الخبرة الادارية والبرامج فى القضاء على المشاكل الخاصة بعمال التراحيل فى المحافظات التى أقيم بهـا مثل هذه المشروعـــات ٠

٥ ـ تنفيـــذ البحث :

أجرى البحث على ٣٥٦ عاملا موزعين على المعسـكرات المذكورة ، خلال شهرى أبريل ومايو عـــام ١٩٧٥ ٠ واتـخذت الاحتيـاطات اللازمة لتقليل مصادر الخطـأ ، من حيث تمثيل العينة ، من خـلال سحب عينة مساحية ، وتطبيق أدوات جمع البيانات ، باستخـدام باحثين مدربين ، والتغلب على المراوغة فى الاستجابة بين أفراد العينة من خلال كسب ثقتهم ٠٠٠ الخ ٠ وأجرى التحليل اللازم باستخدام الاجهزة الحاسبة ٠

الفصل الثامن

تصميم البحث التاريخى

أولا : تطور الاهتمام بالمنهج التاريخى ·

ثانيـا : وقائع التاريخ والمنهج التاريخى ·

ثالثـا : مصادر المنهج التاريخى ·

رابعا : خطوات المنهج التاريخى ·

خامسا : قصور المنهج التاريخى ·

تصميم البحث التاريخى(*)

يقولون ان التاريخ معمل للعلوم الاجتماعية ينمى معرفة الباحث فى الانسان ومجتمعه ويثرى أفكاره ، ويعطيه عمقا فى البحث والدراسة٠ولكى يفيد أى باحث من التاريخ عليه أن يستعين بمجموعة من القواعد أو الاسس المنهجية التى تتعامل مع الوقائع أو المعطيات التاريخية وتجعلها فى خدمة الدراسة العلمية الاجتماعية ٠ ولهذا فكثيرا ما يطرح سؤال : هل فى التاريخ ما يستحق عناء البحث فيه ، وما تبذل بشأنه من جهود ؟ والاجابة على هذا السؤال تفصح عن نفسها من وقائع التاريخ ومضمونه الفعلى ، ومايركز عليه المؤرخون ٠ وبغض النظر عن اتجاه المؤرخ ومدرسته الفكرية ، فان التاريخ يركز على ماضى الانسان وتجربته ، وتسجيل هذا الماضى وتلك التجربة ، كما أن المؤرخ يسعى الى تقدم وصف للفترة التى عاشها الانسان على الارض ، مع محاولة ربطها فى سياق زمنى ٠ وبالنظر الى أن وقائع التاريخ وظاهراته التى لاتقع تحت ملاحظتنا مباشرة ، ولا يمكن دراستها الا بعد وقوعها ، فان هذا يدعم ضرورة بذل الجهد للافادة من المعطيات التاريخية ٠

وثمة سؤال آخر يطرحه بعض الباحثين فى مجال العلوم الاجتماعية مؤاده : هل التاريخ علم من العلوم الانسانية ومن ثم يمكن الاعتماد على معطياته فى البحث ؟ أم هو مجرد ضرب من ضروب المعرفة البشرية ؟ فالبعض يرى أن البحث التاريخ ليس جديرا بأن يسمى علما ، ويؤسسون دعواهم على نقطتين : الاولى الى أن المؤرخ لا يلاحظ الظاهرات التى

(*) اعد هذا الفصل أ٠د٠ غريب سيد أحمد ٠

يدرسها بطريقة مباشرة ، وانما يعتمد على الطريقة التقليدية فى التاريخ ، والتى تتلخص فى السماع عن الآخرين والنقل عنهم أو الاخذ عن بعض الوثائق التى كتبها أشخاص شاهدوا هذه الظاهرات أو سمعوا عنها • ومن البداهة هنا وجوب الحذر والحيطة من مثل هذه الطريقة والشك فى كل ما تؤدى اليه من نتائج • وهذه النقطة كما يرى أنصار هذا الرأى تقيم فارقا بين النتائج وبين العلوم المضبوطة.وأما النقطة الثانية فتذهب الى أنه لا يحق لنا أن نطلق اسم العلم على أى وقائع نظرية ، أو أى بحث نظرى، الا اذا أمكن استخدامه فى التنبؤ بالمستقبل ، أى اذا ساعدنا فى الكشف عن بعض العلاقات أو القوانين العامة التى يمكن تطبيقها على الظاهرات مهما اختلفت زمانا ومكانا •

على أن الذين يميلون الى وسم التاريخ بالعلم ، وأنه علم شأنه فى هذا شأن غيره من العلوم ، يذهبون فى الرد على القضية أو الفكرة الاولى بأن التاريخ أخذ فعلا يتحرر من طابع الفن الذى كان يغلب عليه فى العصور الماضية ، وأنه أخذ يقترب بعض الشىء من العلوم الاستقرائية • وأما ردهم على النقطة الثانية فيتمثل فى وجوب اعادة فهم العلم ومجاله • حقيقة أن العلم يهتم بالعام والكلى أكثر من اهتمامة بالخاص والجزئى ، وان اهتم بهذه الاخيرة ، فهو اهتمام بقدر اسهامها فى فهم العام والكلى • كما أن العلم أيضا يرمى الى الكشف عن العلاقات السببية أو العلية التى توجد بين الاشياء•وبهذا فالتاريخ علم انسانى لانه لايقف عند حدود وصف الحوادث الماضية ، بل يحاول الكشف عن بعض عواملها • ولقد فطن العلامة العربى ابن خلدون الى هذه النقطة الجدلية المتعلقة بوصف التاريخ وتعيين مكانته حيث أشار الى أن التاريخ يبدوا لبعض الناس فنا ، ولبعضهم علما ، فهو لدى العامة فن ، ولدى الخاصة علم • وفى ذلك يقول : «اذ هو فى ظاهره لا يزيد على اخبار عن الايام والدول والسوابق من القرون الاولى ، وفى باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق • فهو لذلك أصيل فى الحكمة عريق ، وجدير بأن يعد فى علومها وخليق» •

وسواء كان هذا الرأى أو ذاك ، فهو لاينفى فى كل الحالات ماللتاريخ من أهمية ، وماللوقائعه من ضرورة ، وما لمعطياته من دور فى توجيه البحوث وتعميق فهم الباحثين ورؤياهم للظاهرات المعاصرة الحاضرة . وهذا لايعفينا من ضرورة التنبيه الى أن المادة التاريخية ترتبط بنوعية شخصية مؤرخها وما توافر له من خبرة علمية وعملية ، وما أتيح له من مصادر لجمع الروايات والشواهد ، بجانب الابعاد المنهجية التى استند اليها فى تحليله للوثائق والسجلات التاريخية . وقبل كل ذلك وجهة نظر المؤرخ فى الوقائع التى يجمعها ، أو النظرية التى يتبناها فى تفسير التاريخ ومادته .

أولا ـ تطور الاهتمام التاريخى فى العلوم الاجتماعية :

هناك ، اذن علاقة سببية بين الماضى والحاضر من حيث أنماط الحياة السائدة والنظم الاجتماعية والمستوى الحضارى فى كل حقبة من حقبات التاريخ ، ويعتبر العالم العربى ابن خلدون هو أول من اتبع المنهج التاريخى فى مقدمته فى القرن الرابع عشر . ثم الفيلسوف الايطالى جيوفانى باتسيتافيكو (١٦٦٨ ـ ١٧٤٤) الذى يقرر بان العلوم يجب أن تتخذ العصر الذى بدأ فيه الموضوع الذى تعنيه بالبحث كنقطة بداية لدراسة هذا الموضوع.

وفيما يلى اركان المنهج التاريخى عند فيكو :

١ ـ عند دراسة النظم أو الظواهر من الضرورة أن يتبع الباحث جذورها الاولى ويتدرج فى البحث حتى يصل الى التاريخ الحالى للدراسة.

٢ ـ يعتبر فيكو أن تاريخ الانسانية يمثل وحدة متماسكة وأن الملاحظة العملية أظهرت أن الشعوب وحضاراتها تمر فى تطورها بمراحل ثلاث :

أ ـ المرحلة الدينية .
ب ـ مرحلة البطولة (الفروسية) .
جـ ـ مرحلة الانسانية .

٣ ـ مصادر منهج البحث التاريخى عند فيكو هى :

أ ـ الوثائق والمستندات .

ب ـ القصص والروايات المتواترة عن الحياة الاجتماعية ٠

جـ ـ العادات والتقاليد السائدة ٠

د ـ التنظيم السياسى الذى مر به المجتمع موضوع الدراسة ٠

هـ ـ اللغـــــة ٠

و ـ الاديان والعقائد ٠

٤ ـ لم يبحث فيكو فى التاريخ الا عن الظواهر التى لها صفة الدوام والعمـــومية ٠

٥ ـ لم ينظر فيكو الى التاريخ بوصفه علما ، ولكن باعتباره المادة الخام التى يمكن للفيلســوف أن يستخدمهــا ٠ كحقائق مفيــدة للمعرفة الانســـانية ٠

٦ ـ يعطى فيكو أهمية كبيرة لدراسة عادات الشعوب ، ويعتبر أن الرأى العام هو الذى يحكم العادات والتقاليد بوصفها أنماط للتعبير ٠

٧ ـ تاريخ الانسانية لاتسيره قوى خفية ميتافيزيقية وانما يسير وفقا لتطور الطبيعة الانسانية ، وما يعنى به البــاحث انما هــو تاريخ مقارن للشعوب ٠ وعندئذ تظهر أهمية الموضوعية التاريخية اذا نظرنا الى أحداث التاريخ وتكرار وقوعها ٠

٨ ـ الاستدلال بما هو معروف عما هو مجهول ٠ ومعنى ذلك أنه اذا تعذر على الباحث الحصول على الوثائق الصادقة فانه يمكن استقراء حالة مشابهة فى الحاضر وتفسير الماضى على أساس ما هو واقع فى وقته الحاضر ٠

ويرجع الفضل الى الفيلسوف الفرنسى سان سيمون فى الربط بين المنهج التاريخى والمنهج العلمى ٠ والطريقة التاريخية تستخدم عادة اذا ما أراد الباحث أن يحكم على الحاضر فى ضوء ماحدث فى المــاضى ٠ ويستخدمها الاطباء فى عــلاج مرضاهم ، اذ أن الطبيب بجانب الكشــف على المريض فانه يستفسر عن تاريخ المرض ، ثم يحاول أن يقف على الحالة الصحية لافراد الاسرة وما أصــابهم من أمراض فى الماضى ٠ وفى هذه الحــالة فان الطبيب يستخدم الطريقة التاريخية بجانب دراسة الحالة ٠ كما يستخدم

المنهج التاريخى فى بحث كثير من الظواهر الاجتماعية والنفسية كما فى حالة بحث حالات انحراف الشباب ، اذ يضطر الباحث الى الوقوف على السلوك الاجتماعى للعميل فى الماضى : فى الاسرة وفى المدرسة والمجتمع الذى يعيش فيه ، لدراسة أثر العوامل الاجتماعية والنفسية والاقتصادية على حدوث حالة الانحراف ، وتسمى هذه الطريقة بطريقة البحث عن الحقائق السابقة • كما تستخدم فى البحوث الاقتصادية كما فى حالة دراسة السلاسل الزمنية لظاهرة معينة والاستفادة من الحقائق التى يتوصل اليها الباحث فى الوقوف على اتجاه الظاهرة فى المستقبل فى ظل شروط وعوامل معينة •

وكما نعلم أن للمنهج العلمى خصائص معينة منها الملاحظة أو التجربة المبدئية ، والتحرر من التحيز العاطفى أو تأكيد الموضوعية ، والتجاه الى الفروض والى القياس الكمى الدقيق والى التصنيف والتحليل فهل يمكن أن نعتبر المنهج التاريخى فى البحث منهجا علميا له هذه الخصائص ؟ هناك رأيان بارزان للاجابة على هذا السؤال • أولهما ينادى بأن التاريخ يهتم بدراسة التطور الفريد للانسان ككائن اجتماعى • وينادى الثانى بأن التاريخ دراسة شاملة للماضى بكل مايتضمنه أو يتصل بالنشاط الانسانى فى مختلف صوره • عموما كل من الرأيين السابقين ينظر الى التاريخ كمنهج بحثى له قيمته وخاصة أن له خطوات منهجية يسير عليها الباحث عند التزامه بهذا المنهج •

وعلى ذلك فان التاريخ بمعناه العام لا يبحث فى الظواهر الانسانية وحدها ، بل يبحث أيضا فى الظواهر الماضية أيا كان نوعها • فهو يدرس ماضى الطبيعة وماضى المجتمعات • ويمكن معالجة جميع الظواهر على أساسين مختلفين : أحدهما نظرى والآخر تاريخى • فمثلا يستطيع العالم دراسة تاريخ الارض والمجموعة الشمسية ، كما يستطيع دراسة القوانين التى تخضع لها هذه الاجرام فى الماضى والحاضر والمستقبل على حد سواء• أما التاريخ بمعناه الخاص فيحاول رسم صورة واضحة عن الانسانية مستخدما فى ذلك ما خلفته وراءها من آثار مادية كالمعابد والمقابر والتماثيل

والادوات المصنوعة ، أو آثار نفسية كالقصص والاساطير والآداب ومجموع القيم والعلوم والديانات والوثائق .. فالظاهرة التاريخية ظاهرة اجتماعية فى جوهرها ، غير أنها تختلف عن هذه الاخيرة من جهة أنها محدودة فى الزمان والمكان . وبيان ذلك أن التاريخ لا يعالج نشأة الديانات بصفة عامة ، وانما يدرس كيف ظهرت احدى الديانات الخاصة كالمسيحية أو الاسلامية . فان كل ديانة من هذه الديانات نشأت فى عصر ومكان معينين . كذلك لا يعالج المؤرخ الهجرة بصفة عامة ، لكن يعالج مثلا هجرة القبائل العربية من الجزيرة الى مصر والعراق ، أو هجرة الشعوب الاوربية الى أمريكا واستراليا بعد كشفهما . ولا يقف التاريخ عند حد دراسة الجماعات الانسانية ، بل يمتد بحثه الى حياة الافراد . ومع ذلك فهو لايعنى بحياة هؤلاء الا بارتباطها بحياة الجماعة ، أى من حيث تأثيرهم فى قومهم وعصرهم(١) .

ثانيا ـ الفرق بين أستخدم وقائع التاريخ والمنهج التاريخى :

ربما يكون هناك خطأ شائع ، مؤداه أن بعض الباحثين يخلطون بين استشهادهم بالمعطيات والوقائع التاريخية فى بحوثهم،وبين المنهج التاريخى ذاته . فاقتباس الباحث لفقرة معينة من أحد الكتب التاريخية ووضعها كما هى لكى يدلل بها على فكرة أو قضية معينة ، يختلف تماما عن المنهج التاريخى وقواعده وأسسه .

وكثيرا ما نجد فى كتب البحث الاجتماعى فقرات متخصصة للمنهج التاريخى والبحث التاريخى ، لكن نادرا ما نجد تعريفا دقيقا لهذا المنهج والفرق بينه وبين مجرد الاستعانة بالوقائع التى يقدمها لنا المؤرخون . فمثلا تصنيف «هويتنى» للمناهج فى كتابه ،«عناصر البحث الاجتماعى» Elements of Research يذكر فيه أن المنهج التاريخى هو المنهج الذى يتناول بالعرض والتحليل ، الوقائع والاتجاهات والاحداث السابقة بالنسبة

---

(١) د. محمود قاسم ، المنطق الحديث ومناهج البحث ، مكتبة الانجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ، ص ٣٦٤ ـ ٣٦٥ .

لمشكلة اجتماعية ما . وفى تصورى أن «هويتنى» يخلط هنا بـين المنهج التاريخى وبين البحث التاريخى ، وبين مجرد استخدام شواهد تاريخية .

وعن استخدام المعطيات التاريخية يشير شانمان وبوسكوف فى كتابهما «علم الاجتماع والتاريخ» الذى نشر عام ١٩٦٤ أن الباحث فى علم الاجتماع الذى يتناول المادة التاريخية فى دراسته ، عليه أن يسلك أحد مدخلين :

١ ـ استخدام بعض المفهومات لوصف بعض المواقف والوقائع التاريخية فى ضوء فكر نظرى معين .

٢ ـ أو الاستعانة بالشواهد التاريخية لتوضيح بعض المفهومات واختبار بعض النظريات اختبارا علميا .

٣ ـ وهناك مدخل ثالث يجمع بين السابقين ويفيد منهما معا . وفى التصور أن محاولة «شانمان وبوسكوف» لم تحل مشكلة الفرق بين المنهج التاريخى وبين الاستشهاد بالتاريخ . لان هذا الفرق يأتى من تحديد معنى المنهج التاريخى وبعض قواعده التى يمكن لنا تركيز بعضها على النحـو التـالى :

أولا : تلعب مقولة الزمان دورا مختلفا فى سرد الوقائع التاريخية ، عن ذلك الذى تقوم به من خلال المنهج التاريخى فى البحث الاجتماعى . لان الباحث الاجتماعى يحرر اهتمامه من التسلسل الرتيب للحوادث والوقائع ، لان هذا الرصد والسرد الرتيب من صميم عمل المؤرخ .

ثانيا : يعتبر المنهج التاريخى ، وانطلاقا من مفهومه ، تعاملا منهجيا مع المادة التاريخية فى ضوء القواعد والاساليب المستخدمة فى البحث الاجتماعى ، وما يقتضيه ذلك من تحديد للمفهومات ، ووصف وتحليل وتفسير وغير ذلك من خطوات منهجية سنشير اليها بعد ذلك .

ثالثا : لما كان الوصف والتحليل خطوتين أساسيتين من خطوات المنهج العلمى ، فهنا يثار سؤال مؤداه : هل بامكان الباحث أن يصف كل المادة التاريخية ؟ أم أن ذلك أمر غير ممكن ، ومن ثم على الباحث ان يختار

ويحدد وحدة وصفه ومستواه ، وأيضا وحدة تحليله ومستواه زمانيا ومكانيا ونوعيا ؟

رابعـا : يبدأ الباحث الذى سـوف يستخدم المنهج التـاريخى مسلك دراسته بعامل أو فئة من العوامل يعتبرها من الناحية الاسترشادية متغيرات مستقلة ، ثم يسير مسلك دراسته ليحدد المتغيرات التالية المرتبطة بالمتغيرات المستقلة . وهذا يشير الى حاجة المنهج الى اطـار نظرى ، أو فكر متسق يمثل رؤية يجمع فى ضوئها شمل الوقائع التاريخية ، واجراء المقارنات بين الحالات الفردية ، مما يساعد بدوره على الانتقال من الابعـاد والوقائع الفردية الى الابعاد العامة .

خامسا : يستعين المنهج التاريخى بكثير من طرق وأدوات جمع البيانات المتاحة فى البحث الاجتماعى . والذى يحـدد هذه الاستعانة هـو طبيعة موضوع البحث والهدف المنشود منه والمشكلة المراد وضع حل ، أو حلول لها،فقد يستعين الباحث بدراسة الحالة أو الاسلوب الاحصائى ، أو تحليل مضمون الوثائق التاريخية أو المقارنات التاريخية .

ثالثا ــ مصـادر المنهج التاريخى :

والحقائق أو البيانات تكون مدونة فى سجلات مثل الوثائق والمطبوعات والبحوث والدراسات الاحصائية التى تصدرها الهيئات المختلفة ، وتنقسم المصادر التاريخية الى ثلاثة أقسام :

أ ــ مصادر أولية :

وهى التى تمدنا ببيانات قامت بتدوينها أو تفريغها وتبويبها ثم نشرها اذا اقتضى الامر ذلك ،نفس الجهة التى قامت بجمعها بعد الدراسة والبحث. أو قد تكون آثارا وهى بقايا حضارة سابقة أو أحداث وقعت فى الماضى .

وتعتبر بيانات تعـدادات الاحصاءات العـامة التى تصدرها ادارات الاحصاء المركزية مصادر أولية ، كما تشتمل هذه المصـادر على القوانين واللوائح أيضـــا .

ب ـ مصـادر ثانـوية :

وهى ما نقل أو اشتق أو أخذ عن مصادر أولية ، أى أن الجهة التى تستفيد أو تستخـدم البيانات الاولية تعتمد على البيـانات التى تنشر فى البحوث أو الرسائل العلمية أو فى الصحف والمجلات ، وتكون مستقاة من مصادر أولية أو من مصادر ثانوية أخرى .

ومن الافضل استخدام المصادر الاولية ، اذ أن المصادر الثانوية كثيرا ما تكون معرضة للاخطاء الناتجة عن عدم الدقة فى نقل البيانات،أو أخطاء فى الكتابة أو التحليل . كما أن المصادر الاولية قد تحتوى على تفاصيل أوفى بطبيعة الحال من المصادر الثانوية . والرسائل العلمية يراعى فى كتابتها أن تكون مستنده الى مصادر أولية بعد تحقيقها والتأكد من صحتها .

جـ ـ مصـادر ميـدانية :

اذا ما كانت المعلومات المطلوبة موجودة لدى بعض الافراد أو الهيئات أو تكون مشاهدات غير مدونة فى سجلات ، فان الباحث يقوم بجمعها عن طريق توجيه أسئلة للافراد أو الحصول عليها عن طريق المشاهدة المباشرة أو دراسـة الآثـار وبقايا الحضـارات القديمة والتراث التـاريخى لبعض الثقافات عن طريق مشاهدات الرحالة .

ومما هو جدير بالذكر أن معظم البحوث لكل هذه الانواع من المصادر أو تستلزم حقائق تاريخية أو احصـاءات معينة . وتقضى فى نفس الوقت اتصالا مباشرا ببعض الرواة والمؤرخين للتعرف على آرائهم أو الاطلاع على الابحاث التاريخية التى لها علاقة بالبحث موضوع الدراسة . وكذلك دراسة المواقف الاجتماعية والمشاكل الانسانية والمؤسسات والعوامل التى لها علاقة بتطور ثقافة المجتمع ومؤسساته ، وأن دراسة الماضى تحدد الظروف التى لها علاقة بأبعاد الظاهرة فى الحاضر وماستكون عليه فى المستقبل .

رابعا : خطوات المنهج التاريخى :

قبل أن نعرض للخطوات الاسـاسية التى يمكن اتباعها عند استخدام

المنهج التاريخى فى البحث الاجتمـاعى ، ينبغى أن نوضح بعض الاسس والمبادىء التى يراعيها الباحث :

١ ـ تحديد المفهومات الاساسية للبحث وقضاياه والاطار التصورى الذى سوف يوجه دراسة الباحث ، ويساعد على الربط بـين البيانات كما يساعد فى تصنيفها • ويقصد بالاطار نسق فكرى من المفهـومات والقضايا والتساؤلات وقد يستند الباحث فى تكوينه واعـداده على نظرية علمية أو أكثر ، وعلى أكـثر من رؤيا نظرية ، والمهم أن يضعهـا الباحث جميعها بشكل منطقى متسق •

٢ ـ تحديد وحدة التحليل التاريخى ، وهى وحدة قد تكون زمانية كأن يحدد الباحث فترة معينة يريد تحليل معطياتها•وقد تكون هذه الوحدة مجموعة من الجماعات أو نظاما أو ظاهرة أو مجتمعا محليا •

٣ ـ تحـديد مصادر جمع البيـانات ، واذا كانت هـذه المصادر فى عظمها مصـادر غير ميدانية كالاحصـاءات والسجلات والـوثائق الرسمية وكتابات المؤرخين ، فانه يمكن أيضا جمع بيانات من مصـادر ميدانية ، كاجراء مقابلات مع كبار السن ، أو بعض المعايشين أو المعاصرين لواقعة أو حادثة معينة ، وهذا اذا ما كانت فترة الدراسة حديثة نسبيا •

٤ ـ تعيين أدوات ووسائل جمع البيانات من المصادر المحددة • وقد تكون هذه الادوات والوسائل والطرق ، دراسة حالة لكل ظاهرة أو واقعة • وقد تكون مضمون Content Analysis الوثائق أو القيـام بتحليل احصائى للجداول والاحصاءات والبيانات الرقمية •

٥ ـ تحقيق البيانات التاريخية التى تم جمعها ، أو ما يسمى أحيانا بالتحليل التاريخى • وسواء كان مصدر جمع البيانات أوليا كالاحصاءات والقوانين أو ثانويا كالبيـانات التى تنشر فى الكتب والبحـوث والرسائل العلمية ، فانه على البـاحث أن يبذل محاولة جـادة فى سبيل التاكد من صدق مصدر جمع البيانات ودقته •

وسواء كان المصدر أوليا أم ثانويا فانه يتعين على البـاحث دائما أن يبذل محاولة فى سبيل التاكد من صدق المصدر ومدى دقته ، اذ أن بعض

البيانات والمعلومات التاريخية تكون غير دقيقة ويعتورها نقص أو قصور مقصود أو غير مقصود • وعلى ذلك فيجب أن تختبر المصادر التاريخية للتحقق من صحتها أو أن يتجنب الباحث بقدر الامكان ما يبدو أن يكون تفسيرا شخصيا أو تحليلا متحيزا لبعض الوقائع والاحداث التاريخية • ولذلك يتعين على الباحث قبل استخدام المعلومات التاريخية ان يجرى نوعين من الاختبارات أو التحليلات للمصادر التاريخية :

أ - التحليل الخارجى :

ويتضمن نقد الوثيقة للتحقق من شخصية كاتبها أو مؤرخها وما عرف عنه من صدق أو أمانة ، وذلك بدراسة تاريخه أو ماكتب عنه • كما يجب التحقق من تاريخ النشر لما له من دلالة على ما ورد بالوثيقة التاريخية من بيانات •

ب - التحليل الداخلى :

ويكون للتأكد من حقيقة المعانى والمعلومات أو البيانات التى اشتملت عليها الوثيقة بشتى الطرق المختلفة ، والوقوف على ما تضمنته من متناقضات أو أخطاء • ويكون التحليل بقصد دراسة الظروف والملابسات والدوافع التى يمكن أن تكون قد أثرت على كاتب الرسالة أو الوثيقة لايراد ما أورد من بيانات ومعلومات ، للتأكد من أن هذه المعلومات ليست على سبيل الدعاية لقضية معينة ، أو دعوة لفكرة أو مبدأ يريد الكاتب أن يقنع الناس به ، ويورد فى سبيل تامين موقفه بيانات لاتستند الى دليل ، أو يتجاهل بيانات أخرى ليس من صالح دعواه اظهارها •

والخطوة التالية فى المنهج التاريخى هى محاولة تنسيق المعلومات والحقائق التى توصل اليها الباحث والربط بينها فى كل متكامل،ثم استقراء هذه البيانات وتفسير مدلولها فى ضوء الاحداث التاريخية أو التطور الحضارى ، وتحديد النتائج الجزئية والعامة التى تحقق الفرض أو الفروض المرتبطة بموضوع البحث ، ثم يبدأ بعد ذلك فى تفسير النتائج وتحليلها ومقارنتها بما توصل اليه غيره من الباحثين •

رأينا أن عملية التحليل تنتهى الى تقرير عدد كبير من النتائج الجزئية المبعثرة المنعزلة . وانما كانت كذلك لانها تتصل بأمور مختلفة تذكرها الوثائق دون ترتيب ، فهى تحتوى على ظواهر متباينة كاللغة والتقاليد والعاذات الاجتماعية ، وتتحدث عن أشياء مادية كالآثار والامكنة والمواقع . وتختلف هذه المسائل من حيث عموميتها على مجتمعات متعددة وتخصيصها لمجتمع بعينه .

وحينئذ يجب على المؤرخ أن يؤلف بين هذه العناصر الاولية على نحو خاص حتى يكون لنفسه صورة متسقة عن الظواهر الماضية ، وحتى يتمكن من وصفها وصفا دقيقا ، كما لو كان قد رآها بالفعل . ومن البديهى أن طبيعة هذه الصورة تتوقف على طبيعة العناصر التى أعطتنا اياها الوثائق والآثار ، لا على وجهة نظر فلسفية مثالية نتخذها أساسا لفهم تطور الانسانية ووصفه ، كما فعل فلاسفة التاريخ فى القرن الثامن عشر من أمثال فيكو وجان جاك روسو . ولا يمكن تحديد صورة صادقة عن الماضى الا اذا صنفت الظواهر التاريخية فى فئات تحتوى كل منها على أمور خاصة متجانسة . ومع ذلك فان التصنيف وحده لايكفى اذ تبقى بعده عدة فجوات لم تذكر الوثائق شيئا عنها . وحينئذ فلابد من تدخل الخيال والاستنباط لسد فراغها . ومعنى ذلك أن التاريخ لن يكون علما بمعنى الكلمة الا اذا سلك سبيل العلوم الأخرى ، أى الا اذ اعتمد على الفروض لكى يسد بها النقص فى الوثائق . ولكى يربط الظواهر التاريخية ويفسرها(١) .

ولهذا فان التركيب التاريخى يتضمن تصنيف الظواهر والاجتهاد فى استخدام خيال المؤرخ ـ وضع فروض معينة ـ وتبرير أو تعليل ذلك الاجتهاد ، ثم عرض الحقائق التى هداه اليها التحليل والتركيب .

خامسا ـ قصور استخدام البيانات التاريخية فى البحث الاجتماعى :

أ ـ ليس لدى الباحث حرية تكوين البيانات بالصورة التى تتفق مع

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٧٨ ـ ٣٧٩ .

موضوع دراسته ، وفى كثير من الاحيان لايمكن للباحث التوصل الى البيانات المرتبطة بالمشكلة البحثية ٠

ب ـ أحيانا لا تعطى السجلات المكتوبة اجابات لاسئلة متصلة بالمشكلة البحثية ويصعب بالتالى الاستخلاص الجيد من السجلات الموجودة ٠

ج ـ كثرة البيانات التاريخية والصعوبة البالغة فى اختيار وتحديد أهمها ٠

د ـ عدم القدرة على ايجاد أسس ثابته يمكن تطبيقها لتحليل أحداث الماضى ٠

هـ ـ كثيرا مانجد تزييفا للتاريخ من بعض المؤرخين ٠ ولذلك يجب أن تكون لدى الباحث المقدرة العلمية التى تمكنه من التفرقة بين المصادر الموثوق بها وغير الموثوق فيها ٠

الفصل التاسع

تصميم البحث التجريبى

أولا : دعائم المنهج التجريبى ٠

ثانيـا : طرق التحقق من الفروض التجريبية ٠

ثالثـا : أنواع التصميم التجريبى ٠

تصميم البحث التجريبى(*)

يعتمد المنهج التجريبى على التحكم فى الظروف والشروط التى تسمح باجراء تجربة من خلال الملاحظة المنظمة . ومن هنا كانت أهمية التجربة ومعناها وتصميمها وشروطها ، من الاهمية بمكان عند اتخاذ المنهج التجريبى أساسا فى البحث الاجتماعى . وكانت أيضا أهمية الملاحظة التى تنحصر فى مشاهدة الظاهرة والتدقيق فيها على النحو الذى تبدو عليه فى حالتها الطبيعية . بحيث لايعدو دور القائم بالملاحظة ان يكون دورا سلبيا محايدا ، بالرغم من تدخل العقل والمنطق حتى فى أبسط أنواع الملاحظة . ولذلك كان لزاما على الباحث أن يكتفى بمشاهدة الظاهرة والمقارنة بين حالاتها المتنوعة عند ادخال المتغير التجريبى عليها ، حتى يستطيع الوصول الى أفكار منظمة تؤدى الى عدد من القضايا أو القواعد التى تحدد ذلك القانون الذى يسيطر على تلك الظواهر . فالملاحظ شبيه برجل يصغى الى الطبيعة ليأخذ عنها ما تقول ، وليسجل كل ماقد تكشف له من صفات الاشياء أو العلاقات بينها ، لكنه لما كان لايدرس الاشياء الا فى نطاق محدود ، فانه يعجز عن ادراك مالا تريد الطبيعة اطلاعه عليه . لذا لا يكفى موقفه السلبى تجاهها لمعرفة كل الحقائق العلمية . هذا الى أن رغبة الباحثين فى معرفة أكثر عمقا وتفصيلا تضطرهم الى التدخل فى مجرى الظواهر الطبيعية بأن يحوروا تركيبها ، أو يعدلوا الظروف التى توجد فيها ، حتى يستطيعوا دراستها فى أنسب وضع ، وحتى يكشفوا عن القوانين الخفية وهكذا يمكن تعريف «التجربة» بأنها ملاحظة الظاهرة بعد تعديلها تعديلا كبيرا أو قليلا

(*)أعد هذا الفصل أ.د. غريب سيد أحمد .

عن طريق بعض الظروف المصطنعة ، وهذا هو المعنى العام للتجربة . وقد تستخدم أيضا بمعنى خاص ، فيراد بها الدلالة على الخبرة التى يكتسبها العالم بتصحيح آرائه ونظرياته العلمية حتى يوفق بينها وبين الكشوف الجديدة لكى يزداد قربا من الحقيقة . ولكن الذى يهمنا هنا هو المعنى العام للتجربة ، باعتبار أنها جزء جوهرى من المنهج الاستقرائى ، ووسيلة لتحقيق بعض النتائج السريعة التى لا يمكن الوصول اليها عن طريق الملاحظة(١) .

وعلى ذلك تستهدف الدراسة التجريبية جمع المعلومات وتنظيمها بشكل يؤدى الى القاء الضوء على مدى صحة فرض أو مجموعة من الفروض . وبقدر ما تكون طريقة جمع المعلومات وتنظيمها دقيقة لا تحتمل الطعن ، تكون القيمة العلمية لهذه الدراسة . وبمعنى آخر اذا كانت النتائج التى نحصل عليها فى تجربة ما يمكن تفسيرها بأكثر من تفسير بحيث تؤدى بعض هذه التفسيرات الى تاكيد صحة الفرض الذى تختبره بينما يؤدى بعضها الآخر الى التشكيك فى صحته،فان هذه التجربة تكون الى هذا الحد غير علمية ، وبذلك يمكن الطعن فيها بسهولة ان أنها فشلت فيما تستهدفه أصلا ، وهو اختبار مدى صحة فرض معين من الفروض(٢) .

يختار الباحث تفسيرا معينا يحاول أن يضعه موضع التجربة عند البدء بالخطوة الاولى فى بحثه . وهذا الاختيار موضوع التجربة يعتبر «فرضا» يوجه البحث الى حقائق تدعمه أو تنفيه . فالفرض ليس الا مجرد سؤال ، وهو فى العادة ضيق النطاق جدا . بمعنى أن الفرض فى البحث العلمى عبارة عن أجزاء يلاحق بعضها بعضا دون أن يكون ذلك اعتباطا ، اذ أن كلا منها بمثابة السؤال الذى تبدأ منه مجموعة كبيرة من الاسئلة(٣) .

---

(١) محمود قاسم ، مرجع سابق ، ص ٩١ .

(٢) نجيب اسكندر ولويس مليكة ورشدى فام ، الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعى ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، ١٩٦١ ، ص ٢١٠ .

(٣) اندروز ، مناهج البحث فى علم النفس ، ترجم باشراف د. يوسف مراد . دار المعارف بمصر ، ١٩٥٩ ، ص ١٤ .

وعند تخطيط البحث العلمى يجب أن ينطوى على تحليل مباشر لكل الظروف الهامة فى الفرض ٠ ولذلك يفضل أن يتخذ البحث صورة «التجربة» التى تجرى تحت ظروف مضبوطة على نحو صارم خـلال التغيير المنظم لاحد هذه الظروف بوجه خاص ٠ ان هذه الخصائص تتيح «قابلية الاعادة» للظروف التى تجرى تجربة ما بمقتضاها ، فاذا تعقد اجراء التجربة كان فى وسع الباحث استخدام منـاهج أخرى ، ذلك لان العلـوم الاجتماعية لاتقتصر فقط على المنهج التجريبى ٠ وتتضمن الخطوة التالية ربط نتائج عدد كبـير من الفروض المختبرة علميـا والتى يجمع بينها نظـام ما من العلاقة ، ثم قد تنطوى نتائج هذه الخطوة الاخيرة على صياغة «قانون علمى» وهو ليس الا ضربا من الاختزال الذهنى الذى يتضمن عـددا من الحقائق أو العـلاقات فى عبارة مبسطة واحدة ، فالقـانون الطبيعى اذن ليس الا خلاصة وصف أكثر طولا وأوفى اسهابا(١) ٠

أولا ـ دعائم المنهج التجريبى :

المنهج التجريبى عبارة عن اجراء بحثى فيه يقوم الباحث بخلق الموقف بما يتضمنه من شروط وظروف محددة ، حيث يتحكم فى بعض المتغيرات ويقوم بتحريك متغيرات أخرى ، حتى يستطيع تبين تاثير هذه المتغيرات المستقلة على المتغيرات التابعة ٠ أى أن المنهج التجريبى محـاولة لتحديد العلاقة السببية بين متغيرات محددة ٠ ويتضمن موقف التجربة هذا دعائم وأسس ومبررات لقيامه نوجزها فيما يلى(٢) :

أ ـ من المستحيل التحكم فى تاثير المتغيرات ومعرفة نوع التاثير مالم يقم الباحث بخلق الموقف ، بمعنى معرفته للمتغيرات وبانه فى وضع يعلم بتاثير المتغيرات المستقلة ومن ثم امكانية الاستخـلاص المبنى على علاقة العلـــية ٠

ب ـ التجارب ليست جزءا من الامبيريقية (العملية) ولكنها جزء من

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٥ ٠
(٢) المرجع السابق ، ص ١٣ ٠

العلوم النظرية . والعلم يقوم على الملاحظة والمشاهدات ، وتتخذ العلوم الاجتماعية صفة العلم لانها تضع بعض الفروض وتحاول اثباتها أو نفيها ، وفى هذا قد تتبع المنهج التجريبى لاختبار الفروض ، وبالتالى فى صياغة النظريات الاجتماعية .

جـ ـ ان جمع الحقائق عن طريق الملاحظة يبعد الباحث عن البيانات ذات الدرجة الثانوية من الاهمية . لان مثل هذه البيانات عرضة للخطأ والتحيز والوهم .

د ـ كما أن تنظيم البيانات عن طريق التجربة يجعل الباحث يبتدىء من الموازنة بين الوقائع لتقرير ما هو جوهرى ومباشر فى حدوث الظاهرة موضوع البحث . وما هو ثانوى وغير مباشر.ومن ثم يقوم بتحديد ما يؤيد الفرض ومالا يؤيده ، ثم يجرى التجريب فى ظروف جديدة للتحقق من صدق النتائج التى أوردتها الملاحظة .

هـ ـ ضمن المناهج التجريبية ما يطلق عليه منهج المجموعة الضابطة Control Group وتنحصر هذا الطريقة فى ملاحظة مجموعتين متعادلتين من الناس أثناء أدائهم تحت نفس الظروف فيما عدا عنصر واحد . ويمثل سلم الوجود والغياب لهذا العنصر الواحد ، المتغير المستقل للتجربة ، ويعرفها بأنها من طراز التجارب العاملية . أما الاختلاف فى الاداء بين المجموعتين فهو المتغير التابع وهو أحد وظائف المتغير المستقبل اذا ما استبعدت كل مصادر التاثير الاخرى .

و ـ ومن أهم الامور فى التصميم التجريبى لهذا الطراز أن يكون للفريقين موضع التجربة أمكانيات متساوية أول الامر . وفى سبيل الوصول بهذا الشرط الى أقرب حالة ممكنة ينبغى أن يتعادل الفريقان ، أى أن يكون اختيارهما بحيث يضعهما القياس على نفس المستوى من القدرة من حيث المتغيرات التى يمكن أن تؤثر فى النتائج على نحو معقول ، أما من الوجهة المثالية فينبغى أن يشمل تعادلهما «كل» الخصائص التى يمكن أن تمس البحث موضوع التجريب.ولما كان التعادل التام بين الفريقين استحالة

صريحة ، كان على الباحث أن يقنع بتحقيق التعادل لتلك الخصائص التى يرجح تاثيرها فى المتغير التابع ٠

ثانيا ـ طرق التحقق من الفروض التجريبية :

يرجع الفضل الى «بيكون» فى تحديد الطرق الاستقرائية بصفة مبدئية. وقد اهتدى الى حقيقة هامة عندما ذكر أن الوسيلة الاكيدة فى البرهنة على صدق أحد الفروض هى طريقة الحذف ، التى تتلخص فى أن يضع الباحث جميع الفروض الممكنة لتفسير ظاهرة معينة ، ثم حذف عدد منها لوجود أسباب تدعو الى عدم الاحتفاظ بها ٠ وهو يرى امكانية الكشف عن الصفات النوعية للاشياء أو خصائصها باستخدام ما أطلق عليه قائمة الحضور التى تحتوى على جميع الحالات الخاصة التى فيها توجد الطبيعة الاولية ،وتهدف الى فحص صفة أو ظاهرة بعينها والى البحث عن جميع الامثلة التى توجد عليها ٠ وقائمة الغياب وتأتى بحالات مقابلة لتلك التى أمكن فحصها فى قائمة الحضور بحيث تكون كل جماعة هنا مقابلة لحالة خاصة هناك وبحيث تشترك الحالتان فى جميع الظروف ما عدا ظرفا واحدا ٠ وقائمة التدريج وفيها يقوم الباحث باحصاء جميع الحالات الخاصة أو الامثلة الجزئية التى توجد فيها صفة أو ظاهرة معينة بدرجات متفاوتة(١) ٠ وقد اتخذت هذه الطرق أسماء أخرى لدى جون ستيوارت مل هى : طريقة الاتفاق وطريقة الاختلاف وطريقة التغير النسبى ، وأضاف مل الى هذه الطريقة طريقة البواقى ٠ ونعرض فيما يلى لهذه الطرق العلمية للتحقق من الفروض التجريبية ٠

أ ـ طريقة الاتفاق :

تنحصر هذه الطريقة فى المقارنة بين أكبر عدد ممكن من الظواهر أو الظروف التى تحتوى بالضرورة على سبب الظاهرة الاولى ٠ وأذن تقوم هذه الطريقة على أساس الاعتراف بمبدأ السببية العام القائل بأن وجود السبب يؤدى الى وجود النتيجة ٠ وقد حدد مل القاعدة التى تعبر عن

---

(١) محمود قاسم ، مرجع سابق ، ص ١٥٥ ـ ١٥٦ ٠

هذه الطريقة بما يلى : اذا اتفقت حالتان أو أكثر للظاهرات المراد بحثها فى ظرف واحد فقط ، فهذا الظرف الوحيد الذى تتفق فيه جميع هذه الحالات هو السبب فى هذه الظاهرة أو نتيجة لها ٠

فاذا قلنا أن الظاهرة المراد تفسيرها هى «ص» وأنها تسبق أو تصاحب:

فى الحالة الاولى بالظروف س ، ك ، ب ٠

وفى الحالة الثانية بالظروف ل ، م ، س ٠

وفى الحالة الثالثة بالظروف ط ، س ، و ٠

فالظرف الوحيد المشترك فى هذه الحالة وهو «س» يعد سببا لـ«ص» أو نتيجة لها ٠

وهكذا تمر هذه الطريقة بمرحلتين ، لاننا نبدأ بحذف جميع الظروف العرضية التى لا يمكن أن تكون سببا فى وجود الظاهرة ، وهى فى المثال السابق الظروف : ك ، ب ، ل ، م ، ط ، و ثم نقرر وجود علاقة بين الظرف المشترك فى جميع الحالات وبين الظاهرة المراد بحثها(١) ٠

واذا كانت هذه الطريقة توضح أنه أتفق أن يوجد عامل معين عند وجود نتيجة ما فى عدة حالات ، الا أن هناك الكثير من أوجه النقد التى تقف ضد هذه الطريقة ٠ ولعل أهمها أن النتيجة (ص) قد تكون مسببة عن طريق عامل آخر لم يفطن اليه الباحث عند فحصه للعوامل المؤثرة فى الحالات التى جمعها ٠ وعلى ذلك تكون النتيجة (ص) ليست مسببة عن العامل (س) بل عن عامل آخر غير موضح فى تصميم البحث٠فالعلاقة السببية هى أصعب العلاقات التى يستطيع الباحث ايجادها مهما أحكم بحثه وضبطه ٠ وكل الذى تستطيع هذه الطريقة أن تخرج به هو أن العامل (س) يصاحب النتيجة (ص) فى الحالات التى جمعها ولا يشترط أن يكون سببا لها(٢) ٠

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٥٨ ــ ١٥٩ ٠

(٢) السيد محمد خيرى ٠ الاحصاء فى البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية دار النهضة العربية ٠ ١٩٧٠ ص ٣٢ ٠

ب ـ طريقة الاختلاف :

وهى على عكس الطريقة السابقة ، لانها تنحصر فى المقارنة بين حالتين متشابهتين فى جميع الظروف ماعدا ظرفا واحدا ، بحيث توجد الظاهرة فى احداهما ولا توجد فى الاخرى ، وحينئذ تكون الظاهرة نتيجة أو سببا لهذا الظرف . وتعتمد هذه الطريقة أيضا على قانون السببية العام ، لان وجود السبب يؤدى الى وجـود النتيجة ، كما يؤدى اختفـاؤه الى عدم وجودها . وقد حدد مل هذه الطريقة بقوله : «اذا اشتركت الحالتان اللتان توجد الظاهرة فى احداهما ولا توجد فى الاخرى ، فى جميع الظروف ماعدا ظرفا واحدا لا يوجد الا فى الحالة الاولى وحدها ، فـان الظرف الوحيد الذى تختلف فيه الحالتان هو نتيجة الظاهرة أو سببها أو جزء ضرورى من هـذا السـبب».

فاذا قلنا مثلا أن الظاهرة المراد تفسيرها هى «س» .

وأنها توجد اذا وجدت الظروف : ك ، ل ، م ، ص .

وتختفى اذا وجدت الظروف : ك ، ل ، م .

فمن المرجح أن يكون الظرف ، «ص» هو السبب فى وجـود الظاهرة «س» .

وتمر هذه الطريقة كسـابقتها بمرحلتين ، لان الباحث يبدأ بحـذف جميع الظروف العرضية التى لا يمكن أن تكون سببا فى وجود الظاهرة ، وهى فى المثـال السابق الظروف : ك ، ل ، م ثم يقرر عـلاقة سببية بين الظرف الوحيد الذى يوجد احدى الحالتين وبين الظاهرة(١) .

هذا ، وتستخدم هذه الطريقة فى كثير من البحوث الاجتماعية . حيث يطلق على المجموعة التى يبحث فيها تاثير العامل اسم «المجموعة التجريبية Experimental Group »وعلى المجموعة الاخرى اسم «المجموعة الضابطة Control Group » ويعتبر أستخـدام المجموعة الضابطة أمـرا ضروريا

---

(١) المرجع قبل السابق ، ١٦٢ ـ ١٦٣ .

فى البحث الاجتماعى ، ولكن الباحثين كثيرا ما يهملون هذا الامر الجوهرى ويقصرون بحثهم على المجموعة التجريبية ، ومن ثم تصبح النتائج التى يصلون اليها محل نقد . الا ان الصعوبة التى تعترض الباحث الاجتماعى عند أستخدام هذه الطريقة تنحصر فى كيفية ايجـاد مجموعتين متعادلتين من الاشخاص . ذلك لان الطبيعة البشرية متعددة ومتنوعة(١) .

ج ـ طريقة التلازم فى التغير (التغير النسبى) :

حدد مل هذه الطريقة على النحو التالى : «أن الظـاهرة التى تتغير على نحو ما كلما تغـيرت ظاهرة أخرى على نحو خاص ، تعـد سببا أو نتيجة لهذه الظاهرة أو مرتبطة بها بنوع من العلاقة السببية» . وقد يعاب على هذه الصياغة لانه لم يفطن الى الصلة الوثيقة بين هذه الطريقة وبين طريقة الاختـلاف . لان طريقة التغـير النسبى تنحصر فى المقـارنة بـين عدة حالات تبدو فيها الظاهرة بدرجات متفاوتة ، بحيث تنطـوى هذه الحالات على ظرف آخر تطرأ عليه تغيرات عـديدة تتناسب مع التغيرات التى تطرأ على الظاهرة الاولى . وأما الظروف الاخرى فيجب أن تظل ثابتة ومتشابهة الى أكبر حد ممكن . وتبدو شدة الصلة بين هاتين الطريقتين اذا استخدمنا الرموز فى التعبير عن طريقة التغير النسبى ، فاذا قلنا مثلا : أن الظاهرة « أ » تمر بعدة مراحل هى : أ ، أx ، أ xx وأنها تسبق .

فى المرحلة الاولى بالظروف : س ، ص ، ع ، ن .

وفى المرحلة الثانية بالظروف : سx ، ص ، ع ، ن .

وفى المرحلة الثالثة بالظروف : سxx ، ص ، ع ، ن .

رأينا أن التغير فى الحالة الثانية ليس موجودا فى الحالة الاولى ، وأن زيادة هذه التغير فى المرحلة الثالثة ليس موجودا فى المرحلة الثانية . فكل مرحلتين على حدة تعبران عن طريقة الاختلاف . كذلك نلاحظ أننا نقول بوجود علاقة ثابتة بين أ ، س بناء على المقارنة بين التغيرات التى تطرأ

---

(١) المرجع قبل السابق ، ص ٢٤ ـ ٢٥ .

على كل منهما مع ثبات باقى الظروف الاخرى وهى ص ، ع ، ن وهى الظروف العرضية التى لا يمكن استخدامها لتفسير الظاهرة •

وتعتمد هذه الطريقة أيضا على قانون السببية العام ، لان كل تغير يطرأ على السبب يؤدى الى تغير مماثل فى النتيجة • كذلك تمر بنفس المراحل التى تمر بها الطريقتان السابقتان لان الباحث يبدأ بالمقارنة بين مختلف الظروف التى تصاحب الظاهرة التى يطرأ عليها التغير • ثم يحذف جميع الظروف العرضية لكى يستبقى الظرف الوحيد الذى تطرأ عليه تغيرات مماثلة للتغيرات الاولى • فاذا أهتدى الى هذا الظرف عزله عن بقية الظروف الاخرى ، وقرر وجود علاقة ثابتة بينه وبين الظاهرة(١) •

د ـ طريقة البواقى :

كشف مل عن هذه الطريقة ، ولكن ليست هذه الطريقة استقرائية بالمعنى الصحيح لانها لا تستخدم مباشرة فى وضع الفروض • كما لاتستخدم فى التحقق من صدقها • وانما هى أسلوب تجريبى ينتهى الى العثور على ظاهرة جديدة كانت مجهولة وتتطلب تفسيرا • أى بحثا عن السبب فى وجودها • وهى لاتستخدم الا فى العلوم التى أحرزت نصيبا كبيرا من التقدم فى الكشف عن القوانين • لاننا اذا أستطعنا تفسير طائفة كبيرة من الظواهر ، بناء على القوانين التى سبق تقريرها بالطرق الاستقرائية الاخرى ، فانه يبقى علينا أن نعثر على القوانين التى تفسر الظواهر القليلة الباقية ، ويمكن تحديد طريقة البواقى على النحو التالى : «اذا أدت مجموعة من المقدمات الى مجموعة أخرى من النتائج وأمكن ارجاع جميع النتائج فى المجموعة الثانية ما عدا نتيجة واحدة الى جميع المقدمات فى المجموعة الاولى ما عدا مقدمة واحدة ، فمن المرجح أن توجد علاقة بين المقدمة والنتيجة الباقيتين» •

فاذا قلنا أن المجموعة الاولى تتركب من المقدمات أ ، ب ، جـ ، د وأنها تؤدى الى النتائج هـ ، و ، ز ، ح •

---

(١) محمود قاسم ، مرجع سابق ، ص ١٦٨ ـ ١٦٩ •

وسبق أن علمنا أن هناك علاقة سببية بين كل من (أ ، هـ) و (ب،و) و(جـ ، ز) فمن الممكن أن تكون النتيجة الباقية وهى ح مرتبطة بالمقدمة د بعلاقة سببية(1) .

ثالثا – أنواع التصميم التجريبى :

يمكن القول بأن هناك أنواع متعددة من التجربة «فالتجربة المرتجلة» مصطلح يطلق على كل تدخل فى ظروف الظواهر ، لا للتأكد من صدق فكرة علمية بل لمجرد مايترتب على هذا التدخل من آثار ، ويلجأ الباحث عادة الى هذا النوع من التجارب فى المرحلة الاولى من مراحل المنهج التجريبى ، أى فى مرحلة البحث . والتجربة هنا نوع من العبث واللهو العلمى ، اذا أجيز هذا التعبير ، ولا يركن العالم الى هذا النوع من العيث الا اذا كان يجهل كل شىء تقريبا عن خواص الاشياء التى يدرسها ، فقد يكون من المستطاع أن ينتظر الباحث طويلا ، بل يستطيع الانتظار عبثا ، دون أن تكشف له الملاحظة عن الحقيقة التى يريد الاهتداء اليها . واذن ينبغى له الا يجزع من التدخل ، حسبما توحى اليه به الصدفة حتى يستطيع العثور على شىء يقود خطاه ، فلربما كشف له الاضطراب الذى يفضى اليه تدخله عن ظاهرة غير متوقعة توحى اليه بفكرة واضحة عن الطريق الذى يجب أن يسلكه فى بحثه . فالتجربة هنا ملاحظة يثيرها الباحث لكى يعثر على أحد الفروض(2) .

لكن التجربة العلمية أو الحقيقة فليجأ اليها الباحث فى المرحلة الاخيرة من المنهج الاستقرائى ، أى عندما يريد التحقق من صدق الفروض التى يضعها بناء على ما توحى اليه به الملاحظة أو التجربة المرتجلة ، وبديهى أن الملاحظة السليمة لاتكفى فى جميع الحالات للتحقق من صدق الفروض التى توضع لتفسر الظواهر . ولو اعتمد الباحث على الملاحظة وحدها فى هذه

---

(1) المرجع السابق ص ١٧٤ – ١٧٥ .
(2) المرجع السابق ، ص ٩٥ – ٩٦ .

المرحلة الدقيقة لما استطاع العلم أن ينفذ الى قوانين الطبيعة وأسرارها. اذ لاتقع الظواهر تحت حواسنا متى أردنا ، وهى لاتتكرر الا فى حالات نادرة وفى ظروف تكاد تكون متشابهة(١) .

وهناك نوع ثالث من التجربة يطلق عليه التجربة غير المباشرة أو التجربة السلبية ، لان الباحث لايدخل فى طريقة تركيب الظواهر أو فى تحديد ظروفها على النحو الذى يبدو فى التجربة العلمية أو المرتجلة . وكثيرا مايضطر الباحث الى اتخاذ هذا الموقف السلبى لان هناك بعض الظواهر التى لاتسمح طبيعتها أو الآراء الدينية أو الخلقية بتعديل مجراها الطبيعى ، كما أن الطبيعة هى التى تجرى التجارب أحيانا بدلا من الباحث لانها تحتوى على عدد كبير من الحالات الشاذة، وهى الحالات التى تختلف طريقة تركيبها عن طريقة تركيب الحالات العادية السليمة ، وحينئذ يمكن النظر الى كل حالة شاذة كما لو كانت تجربة تجريها الطبيعة من تلقاء نفسها ، فى حين يكتفى الباحث بالمقارنة بينها وبين الظاهرة السليمة لان كلا من الظاهرتين تخضع لقوانين ثابتة(٢) .

هذا ، ونعرض فيما يلى لبعض التصميمات التجريبية(٣) :

أ ـ القياس بعد التجربة فقط للمجموعتين التجريبية والضابطة :

فى هذا النوع تنتقى مجموعتان عشوائيتان من المجتمع الذى ندرس فيه الظاهرة . وبهذا يفترض أن المجموعتين لايختلفان اختلافا جوهريا . ثم يدخل المتغير المستقل (أى التجريبى) على المجموعة التجريبية ، بينما لا يدخل هذا المتغير على المجموعة الضابطة. وفى نهاية التجربة يقاس الفرق بين المجموعتين فى المتغير المعتمد ، ويخضع هذا الفرق لعمليات احصائية للتعرف على دلالته أى للتعرف على مدى الثقة التى نضعها فيه باعتباره

---

(١) المرجع السابق ، ص ٩٨ ـ ٩٩ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٠٣ .
(٣) اعتمدنا فى عرضنا بعض التصميمات التجريبية هذه على.. د. نجيب اسكندر وآخرون ، مرجع سابق ، ص ٢١٦ ـ ٢٣٩ .

فرضا جوهريا يمكن أن نحصل عليه لو أننا كررنا التجربة عدة مرات على عينات جديدة من نفس المجتمع •

ب ـ قياس مجموعة واحدة قبل التجربة وبعدها :

فى هذا النوع تستخدم مجموعة واحـدة فتقاس أولا بالنسـبة للمتغير المعتمد ثم يدخل العامل التجريبى ، وبعد ذلك تقاس ثانية بالنسبة للمتغير المعتمـد ، ويعتبر الفرق فى نتيجتى قياس المتغير المعتمـد دليلا على أثر العامل التجريبى •

جـ ـ القياس قبل التجربة للمجموعة الضابطة وبعد التجربة للمجموعة التجريبية :

فى هذا النوع تنتقى مجموعتـان على أساس عشـوائى وتقاس احدى المجموعتين بالنسـبة للمتغير المعتمـد قبل التجربة وتسمى «المجمـوعة الضابطة» ولاتقاس المجموعة التجريبية ، ثم يدخل العامل التجريبى على المجموعة التجريبية • وبعد ذلك تقاس المجموعة التجريبية بالنسبة للمتغير المعتمد • ونظرا لان المجموعتين يفترض تكافؤهما وانهما يختلفان فقط فى حدود الخطأ المرتقب،فانه يستدل من ذلك على أن المجموعة التجريبية كانت ستحصل على نفس النتيجة تقريبا التى حصلت عليها المجموعة الضابطة لو أننا قسناها قبل التجربة•وعلى ذلك يعتبر الفرق بين القياس فى المجموعتين راجعا الى تاثير العامل التجريبى فقط •

د ـ القياس قبل التجربة وبعدها لكل من المجموعة الضابطة والمجموعة التجريبية :

وفى هذا النوع تنتخب المجمـوعتين التجريبية والضابطة على أساس تناظر كل زوج من الافراد فى المجموعتين بحيث يفترض تكافؤ المجموعتين الى حد كبيـر • ثم يدخل المتغير المسـتقل أو التجريبى على المجمـوعة التجريبية ولا يدخل فى المجموعة الضابطة،ثم تقاس كل من المجموعتين قبل التجربة وبعدها • وبذلك يمثل الفرق بين القياسين فى المجموعة الضابطة تاثير القياس أولا وتاثير العوامل العارضة أى العوامل الاخرى ، التى كانت

موجودة . أما الفرق بين القياسين فى المجموعة التجريبية فيمثل تاثير القياس أولا وتاثير العوامل العارضة بالاضافة الى تاثير المتغير التجريبى . وعلى ذلك فالفرق بين التغير فى المجموعتين يكون مساويا لتاثير العامل التجريبى وحده . ونستطيع بعد ذلك بالوسائل الاحصائية التعرف على دلالة هـذا الفرق النهائى بين المجموعتين .

هـ ـ مجموعة تجريبية ومجموعتان ضابطتان :

تستخدم فى هذا النوع ثلاث مجموعات تختار أساس عشوائى وتعتبر احداها تجريبية والاخريتان مجمـوعتين ضابطتين . والفرق الوحيد بين هـذا النوع والنوع السابق هو اضـافة مجموعة ضابطة ثانية . ولا يقاس أفراد هذه المجموعة الضابطة الثـانية أول الامر ، ولكن يـدخل العامل التجريبى على المجموعة التجريبية وتقاس فقط بعد ادخال هذا المتغير . ومع أننا لم نقس أفراد هذه المجموعة أول الامر الا أننا نقـدر لها نتيجة فرضية لما كان سيسفر عنه القياس لو أنه طبق عليها فعلا أى كما لو كانت قد قيست بالفعل . ويمكننا الاستدلال على ذلك بأخذ متوسط القياس قبل التجربة للمجمـوعتين التجريبية والضـابطة الاولى ، وذلك لاننا نفترض تكانو المجموعات الى حد كبير نتيجة اختيارها عشوائيا .

و ـ مجموعة تجريبية وثلاث مجموعات ضابطة :

وهذا التصميم كالنوع السابق تماما ولكن تزداد هنا مجموعة ضابطة ثالثة تختار على أساس عشوائى أيضا . والهدف من اضافة هذه المجموعة هو التعرف على تاثير العوامل العارضة حتى يمكننا بعد ذلك أن نتخلص من تاثيرها وبذلك نصل الى تاثير التفاعل على حدة ، أو العامل التجريبى على حدة أو القياس قبل التجربة على حدة .

ز ـ تجارب المقارنة أو المفاضلة بين متغيرين تجريبيين :

فى كثير من الاحوال تكون المشكلة الرئيسية فى دراسة السلوك الاجتماعى هى المفاضلة بـين أكثر من طريقة أو وسيلة لتحقيق هدف معـين . وهنا لايمكن للبحث العلمى أن يفاضل بين هذه الوسائل الا بعـد تحديد واضح

للمفاهيم المستخدمة فى البحث ولعناصر الموقف التجريبى • وينبغى فى هذه الحالة اضافة مجموعة تجريبية يدخل فيها المتغير التجريبى الآخر•ويقتصر بعض الباحثين على مجموعتين تجريبيتين يدخل فى كل منها أحد المتغيرين التجريبيين ، وتكـون كل مجمـوعة بمثابة مجمـوعة ضابطة للمجموعة التجريبية الاخرى •

ح ــ تجارب المفاضلة بين أكثر من متغيرين تجريبيين فى وقت واحد :

فى بعض البحوث يكـون الهدف من البحث هو المقارنة بـين أكثر من طريقتين من حيث تاثير كل واحدة من هذه الطرق على متغير ما • بل قد تكون المقارنة بين أكثر من طريقتين وتحت ظروف مختلفة بالنسبة لعامل آخر • كمقـارنة أثر خمس وسائل للدعاية فى ست مجمـوعات من الافراد تختلف فى مستواها الاقتصادى والاجتماعى مثلا • ولذلك يدخل متغير ثالث يستلزم اجراء عدد كبير جدا من التجـارب • ولكى نتغلب على هذا نلجأ الى وسيلة احصائية هى «تحليل التباين» وذلك بأن تقارن مرة واحدة وفى تصميم واحد بين الوسائل الخمس المختلفة فى الدعاية بحيث نعرض كـلا منها بالنسبة للمستويات الاقتصادية الستة •

الباب الثالث

تنفيذ البحث الاجتماعى

الفصل العـــــاشر : البيانات الميدانية والمكتبية ٠

الفصل الحادى عشر : البحث الاجتماعى والاحصاءات ٠

الفصل الثانى عشر : تفريغ البيانات وعرضها ٠

الفصل الثالث عشر : تحليل البيانات وتفسيرها ٠

الفصل الرابع عشر : اخراج البحث فى تقرير ٠

الفصل العاشر

البيانات الميدانية والمكتبية

أولا : نوعية البيـــانات .

ثانيـا : التدوين والاستخلاص .

ثالثـا : أنواع الاستخــــلاص .

رابعا : البيانات الميـدانية .

البيانات الميدانية والمكتبية(*)

أولا ـ نوعية البيانات :

نحاول الآن توضيح نوعية البيانات التى يمكن أن يحتويها بحث ما . تتفق معظم الدراسات المنهجية كما يتفق علماء المناهج فى تقسيم البيانات التى يحتويها كل بحث رغم اختلاف الموضوع الى ثلاث فئات :

١ ـ بيانات موضوعية وبيانات ذاتية (لاموضوعية) :

فالبيانات الذاتية تتأثر بجامع تلك البيانات من حيث شخصيته وسلوكه وفطرته وتفكيره وميوله ومدى تقديره لها ، ولهذا نجد اختلافا واضحا بين البيانات التى يجمعها باحث معين فى موضوع محدد ، والبيانات التى يجمعها باحث آخر فى نفس الموضوع . ويرجع هذا الاختلاف الى اختلاف شخصية كل من الباحثين واختلاف طرق تفكيرهما وتقديرهما لاهمية البيانات التى تجمع فى نفس الموضوع .

ومعنى هذا أنه اذا كان الباحث حسب اطاره التصورى والنظرى ينتمى الى مدرسة عقائدية أو أيديولوجية تختلف عن تلك التى ينتمى اليها باحث آخر ، فمن الضرورى أن تختلف الراسة من حيث مدخلها ومن حيث تحليل نتائجها .

لذلك يقال ان أى موضوع فى علم الاجتماع أو فى العلوم الانسانية يمكن أن يفسر على أساس وحدة التحليل التى يتخذها كل باحث فقد تكون (الفعل الاجتماعى) أو (الجماعة) أو (التنظيم) أو (الطبقة) .. الى

(*) اعد هذا الفصل أ.د. غريب سيد أحمد .

آخر وحدات التحليل . وقد يختلف باحث عن آخر فى نوعية البيانات التى يمكن أن تفيد فى دراسة نفس الموضوع . كما قد يختلفان فى المنهج المتبع أو فى أدارة جمع البيانات ذاتها .

٢ ـ بيانات كمية وبيانات كيفية :

تحوى البيانات الكمية أعدادا وحسابات ، بينما تحوى البيانات النوعية خصائص ومميزات . ويتفق علماء المناهج فى أن النوع الاول أسهل بكثير من النوع الكيفى من البيانات الذى يتطلب تدريبا كافيا على الملاحظة والمقابلة والتسجيل . كما يتطلب قدرة من الباحث وسمات فيزيقية يجب أن تكون لديه . وعلى هذا تميل معظم البحوث التى تعمل بطريقة الفريق الى النوع الاول من هذه البيانات .

٣ ـ بيانات عن صفات وبيانات عن متغيرات .

الصفة تعتبر ميزة أو خاصة أو وظيفة أو نوع ، وهى اما أن تكون موجودة أو معدومة . أما المتغير فيكون موجودا بمقادير وكميات مختلفة . وأكثر التقسيمات شيوعا فى بيانات الصفات هى التقسيم المزدوج الثنائى . فمثلا يمكن أن تكون مجموعة من الافراد ذكورا أو اناثا ،أو أن يكون مستوى التعليم أمى / يقرأ ويكتب / ابتدائى / اعدادى / ثانوى / جامعى / عالى ، أو أن يكون الفرد اما غير متزوج أو متزوج أو أرمل أو مطلق . أو ان يكون هناك اتجاه توافق عليه جدا أو نوعا أو توافق فقط أو لاتوافق أو لاتوافق بالمرة . لكن اذا كانت المتغيرات أو النقط التى يشار اليها فى السؤال عن السن مثلا : ١٠ـ ، ٢٠ـ ، ٢٥ـ ، ٣٥ـ ، ٤٠ـ ، ٤٥ـ ، ٥٠ـ ، ٥٥ـ ، ٦٠ فاكثر فان هذه المتغيرات تتعلق بالكم ، كذلك الدرجات التى يحصل عليها الطلاب فى امتحان معين ، وليست تقديراتهم ، من هذا النوع من المتغيرات الكمية .

ثانيا ـ التدوين والاستخلاص :

ماذا نعنى بالتدوين وماذا نقصد بالاستخلاص ؟

التدوين من حيث تحديد معناه يعنى اعادة تسجيل الملاحظات فى صورة

منطقية متخذا مسارين ، أولهمـا عرض لفظى وثانيهما تدوين بالمعنى • ويعنى المسار الاول التدوين دون تحريف أو اختصار ، بينما يعنى المسار الثانى الاختصار وعرض الافكار فى صورة يضفى عليها الباحث أو القارىء من عندياته وأفكاره وخبراته جديدا •

أما الاستخلاص فيعنى النتيجة التى توصل اليها القارىء أو المستمع من خلال معرفته ودرايته بالمحاضرة أو الكتب المسموعة أو المقروءة •

المنطلق السابق يعنى أن كل منكم مستمع أو قارىء فقط ، لكن هناك منطـلق أهم وعلى درجة أكـبر من الخطـورة ، وينحصر فى كيفية نقل المحاضرة أو الافكار التى يتناولها الكتاب الى الآخرين • وهذا يعنى الالتزام بخطوات المنهج العلمى سواء فى التدوين أو استخلاص النتائج • وقد يمكن استخلاص النتائج من خـلال قراءات نظرية فقط أو من خـلال التطبيق الميدانى المعتمد على الملاحظة والمقابلة والاسـئلة البحثية التى توجه الى المبحوثين • ومانقوله فى هذا الصدد يعتمد على المنطلقين • فما يعتمد عليه كل منا عند اعداد بحث أو تقرير أو محاضرة هو نفس ما يعتمد عليه عند سماعه لمحاضرة أو قراءته لكتاب معين • على الا يغيب عن أذهاننا أن هذه الطرق متسمة بالمرونة ، يختـار منها الباحث مايتفق وقـدراته وميوله ، وما يتفق مع طبيعة دراسته وموضوع بحثه •

وتنحصر الاشكال المنطوقة فى الخطبة والمحاضرة والحديث والمناقشة ، أمـا الاشـكال المكتـوبة فمثالها الكتيبـات والكتب والنشرات والمقـالات والتقـــارير(١) •

والاستخلاص هو «الادراك الصحيح الكامل لمحتويات المادة المنطوقة أو المكتوبة ثم عرضها فى صورة مركزة وكاملة حسب الحاجة والهدف» • أن ادراك المادة المقروءة والمسمـوعة وفهمها فهما سليما عنصر هام جـدا فى

---

(١) يمكن الرجوع لمزيد من الاطلاع على كتابنا • ديناميات العلاقات الاجتماعية ، دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٣ •

عملية الاستخلاص • وطبقا للحاجة والهدف يختلف الاستخلاص من موقف الى آخر • فالطالب الذى يستخلص أو يدون لنفسه استعدادا للامتحان ، غير الاستاذ الذى يعمل بذلك تمهيدا لاعداد أحد البحوث ونشره فى احدى المجلات العلمية ، وكلاهما يختلف عن الموجه أو الخطيب الذى يقوم بهذا العمل استعداد لالقاء حديث • والمثل المقنع والحكمة ذات الكلمات المحدودة ليست الا استخلاصا فكريا ومركزا لآلاف التجارب التى شاهدها الانسان ورأى فيها ـ رغم تعددها ـ فكرة واحدة أساسية استخلصها وعرضها فى عبارة مركزة أو فى جملة قصيرة •

أما التدوين ، كما تدل عليه الكلمة ، فيعنى التسجيل الحرفى الآلى لكل ما يلقى فى المحاضرة أو المناقشة أو الخطبة • ومع أننا نحتاج الى هذا النوع من التدوين فى بعض المواقف ، الا أنه لايحل مشكلة تضخم المواد التى يواجهها الانسان ، وضيق الوقت المتاح لاستيفائها • والآلة التسجيلية تستطيع أن تقوم به أفضل من الانسان سريع الكتابة • ولذلك فالمقصود من التدوين استخلاص الحقائق وعرضها فى كمية من الكلمات أقل بكثير من الكمية الاصلية ، وهو من هذه الناحية يشبه الاستخلاص فى المواد المكتوبة ويؤدى نفس الوظيفة •

اذن فالتدوين هو تدوين المادة المنطوقة ، أما الاستخلاص فهو مرتبط بالمادة المكتوبة أو المنطوقة على السواء •

ثالثا ـ أنواع الاستخلاص :

١ ـ الاستخلاص الاشارى :

ومعناه الاستخلاص بالاشارة وفيه يكتفى المستخلص فى عرضه المركز بالاشارة الى رؤوس المسائل التى وردت فى الاشكال المكتوبة أو المنطوقة ، أى المكتوبة فى كتب أو مقالات أو مذكرات ، والمنطوقة أى التى تلقى فى الخطب والمحافل وفى المحاضرات • ولا يذهب المستخلص الذى يتبع الاستخلاص الاشارى أكثر من ذلك • وبمعنى آخر فان الاستخلاص الاشارى أقرب مايكون الى سرد للمحتويات أو الفهرست التفصيلى دون أى تعقيب

أو تعليق أو نقد ودون سرد أية معلـومات تفصيلة أو تجزيئية تورد فى أى نوع من نوعى الاتصال المكتوب والمنطوق ٠

٢ ـ الاستخـلاص التوضيحى :

وفيه لايكتفى المستخلص بالاشارة الى رؤوس الموضوعات العامة كما هو فى النوع الاول من الاستخلاص ٠ ولكنه يوضح فى كل منهـا أى من هذه الموضوعات أوفى ، وأى المسائل والقضايا ـ التى عالجها الكتاب أو المقـال أو المحاضرة أو ما الى ذلك من أشكال الاتصـال ـ اكثر اسهابا وشرحا ، موضحا أهم الحقائق التى وصل اليها المقال أو الكتاب٠ويجب على الباحث أو المستخلص الملتزم بهذا النوع من الاستخلاص ـ أى الاستخلاص التوضيحى ـ أن يعرضها فى صورة موجزة ، ليس بها اسهاب يـؤدى الى كتاب آخر ، وليس بها تلخيص يخل بالمعنى ، بحيث يستطيع قارىء الاستخلاص أن يستخدم هذه الحقائق دون الرجوع الى الكتاب أو المقال مثلا اذا أراد ٠

ويرتبط الاستخـلاص التوضيحى بالاطـار الايديولوجى للبـاحث أو المستخلص٠ومعنى ذلك أن كل باحث يستهويه فصل من الكتاب أو تستهويه فكرة فى المقال تتفق مع ميوله الفكرية وأطره المرجعية سواء فى البحث أو الخبرة أو السلوك الشخصى ٠ ولذلك فليس من العجيب أن يكون الاستخلاص التوضيحى مطولا فى بعض أجزائه مقتضبا فى أجزاء أخرى ٠ مثال ذلك أن الباحث فى موضوع الجماعة أو الطبقة ، اذا كان بصدد استخلاص توضيحى لكتاب فى علم الاجتماع العام ، يكون أقدر على الاستخلاص فى موضوع بحثه هو عما اذا كان الاستخلاص فى بقية موضوعات الكتاب ٠ كما أن الباحث الذى تاثر بظروف اجتماعية معينة تستهويه أفكار قـد تتفق أو تختلف مع الخبرة الشخصية له ان قام هو بتلخيص أو باستخلاص قصة أو بصدد تحليل مضمونها ٠ وقد يكون الباحث من خلال عمله أو مهنته متاثرا بموضوعات معينة تختلف عن تلك التى يهتم بها آخر ٠

٣ ـ الاستخلاص النقدى :

وفى هذا النـوع من الاستخـلاص لايكفى المستخلص بتوضـيح القضايا

والمسائل وعرض الحقائق الهامة التى اشتمل عليها الكتاب أو المقال ، ولكنه يناقش غالبا مايستحق المناقشة بماقدمه فى عرضه المركز ، تأييدا بفكرة أخرى أو تطبيقا لما جاء به فى موقف جديد ، أو معارضته له بوجهة نظر مخالفة أو مغايرة . ومن الملاحظ أن النوعين الاخيرين تنطبق عليهما نفس الفكرة من حيث أن المستخلص أو الباحث سجين تجربته واطاره الفكرى ومعتقده الايديولوجى . واذا كان الباحث متخصصا فى موضوع بعينة فهو اقدر على النقد فيه عن غيره من غير المتخصصين .

طرق العرض ـ التدوين :

تعتمد طرق عرض البيانات او التدوين على وسائل متعددة وطرق متنوعة يمكن تلخيصها فيما يلى :

١ ـ الطريقة البيانية .

٢ ـ الطريقة الاحصائية .

٣ ـ الطريقة التاريخية .

٤ ـ طريقة تحليل المضمون .

٥ ـ الطريقة النقدية .

اما عن الطريقة الاولى فيمكن استخلاص نتائج بحث معين أو دراسة معينة عن طريق رسوم بيانية . ومن أهم هذه الاشكال المدرج التكرارى الذى يعتمد على رسم أعمدة متلاصقة على مسافات متساوية القاعدة ومختلفة الاطوال ،كل يشير الى كم معين تحدده نتيجة البحث بالنسبة لقاعدة العمود . وقد تكون تلك الاعمدة متباعدة لكنها منتظمة المسافات من حيث قاعدتها . وقد يكون استخلاص نتائج البحث فى صورة منحنى صاعد أو نازل أو اعتدالى ، كما قد يكون الاستخلاص أو العرض البيانى عن طريق الدائرة (ترمز الى جدول بسيط) . أما عن الطريقة الثانية وهى الطريقة الاحصائية فتعتمد على الارقام دون كلام باعتبار أن لغة الرقم هى أبلغ بيان . وهى تعتمد كذلك على الجدولة والمعادلات واستخدام الاحصاء سواء من حيث

مقاييس النزعة المركزية أو مقاييس التشتت أو معاملات الارتباط واختبارات الدلالة وتوضح تلك المعالجات الاحصائية نتائج البحث او الدراسة بطريقة أكثر استخلاصا عما اذا كانت المعالجة كيفية . وذلك لان الحدود أو معامل الارتباط أو الاختلاف أو التباين أو الانحدار انما يضع رقما أو رقمين على الاكثر أو جزء من الرقم الاحادى .

أما عن الطريقة التاريخية وطريقة تحليل المضمون والطريقة النقدية فقد سبق أن تعرضنا اليها عند معرض الحديث عن المنهج التاريخى وطريقة تحليل المضمون والبحوث النقدية .

ان الباحث أو المستخلص يمكن أن يكون مستمعا أو قارئا كما يمكن أن يكون محاضرا ، أى أنه يمكن أن يستقبل المادة المكتوبة أو المنطوقة، ويمكن أن يكون هو وسيلة أو هو الاساس فى نقل المادة المكتوبة أو المنقولة من جانب مقابل . وذكرنا كذلك أن كلا المنطلقين يعتمد عليه كل باحث فى اعداد بحثه وكل كاتب فى تحضير تقرير أو محاضرة . وذكرنا ثالثا أن طرق التدوين والاستخلاص عبارة عن طرق تتسم بالمرونة يختار منها الباحث بما يتفق وميوله وقدراته . وقلنا رابعا وأخيرا أن كلا المنطلقين سواء كان مستمعا أو محاضرا أو كاتبا يعتمد على خطوات البحث العلمى .

رابعـــا ـ البيانات الميدانية :

أشرنا فى نقاط سـابقة الى أهم مناهج البحث المستخـدمة فى العلوم الاجتماعية وكذلك الى أهم طرائق البحث ووسائله ومزايا كل وسيلة بحثية وعيوبها ، ومدى كفاءتها وصلاحيتها وفقا لطبيعة كل دراسة منفردة .ووفقا لهذه الوسيلة أو تلك تجمع البيانات الميدانية من خلال الواقع المدروس حسب تكنيكات معينة . والذى يلفت النظر هنا سؤالين : الاول مؤداه هل وسيلة البحث هذه تقيس بالفعل مايريد الباحث قياسه ؟ ويرتبط السؤال الثانى بمدى ثبات البيانات التى جاءت بها الدراسة الميدانية واتفاقها فى مجموع نتائجها اذا ما أعيدت على مجموعة متشابهة فى نفس الظروف أو على نفس المجموعة فى فترة زمنية أخرى .

هاتين المشكلتين هما مشكلتا الثبات والصدق فى العلوم الاجتماعية والتى نرى أنها هامة جدا فى هذه العلـوم مع أن الكثير من الباحثين والدراسين والمشتغلين بعلم الاجتماع لا يهتمون بهذه المشكلة الاهتمام الجدير بها ، بل يتغافلونها أحيانا . اما لجهلهم بطرائق الاحصاء.واما عمدا منهم لصعوبتها البـــالغة .

وتعد عملية جمع البيانات عملية أساسية فى البحث الاجتماعى حيث تعتمد بعض البحوث على هذه العملية اعتمادا كليا . ومن ثم فان أى خطأ مقصود أو غير مقصود فيها . يأتى من الباحث ، أو من مجتمع البحث ، يمكن أن يؤثر تاثيرا كبيرا على البحث كله . ولهذا كان على الباحث أن يخطط لهذه العملية ، ويعتنى بها بنفس الدرجة من العناية التى يتعهد بها أى عملية أخرى من عمليات البحث سواء كانت سابقة على هذه العملية أو لاحقة عليها .

ولهذا تبدو ناحيتين هامتين فى عملية جمـــع البيانات : ترتبط الاولى بالباحث أو جامع البيانات من حيث اختياره وتدريبه ، وتتعلق الاخرى بمجتمع البحث من حيث اعداده وتهيئته لتقبل الباحث والادلاء بمعلومات سليمة غير مضللة .

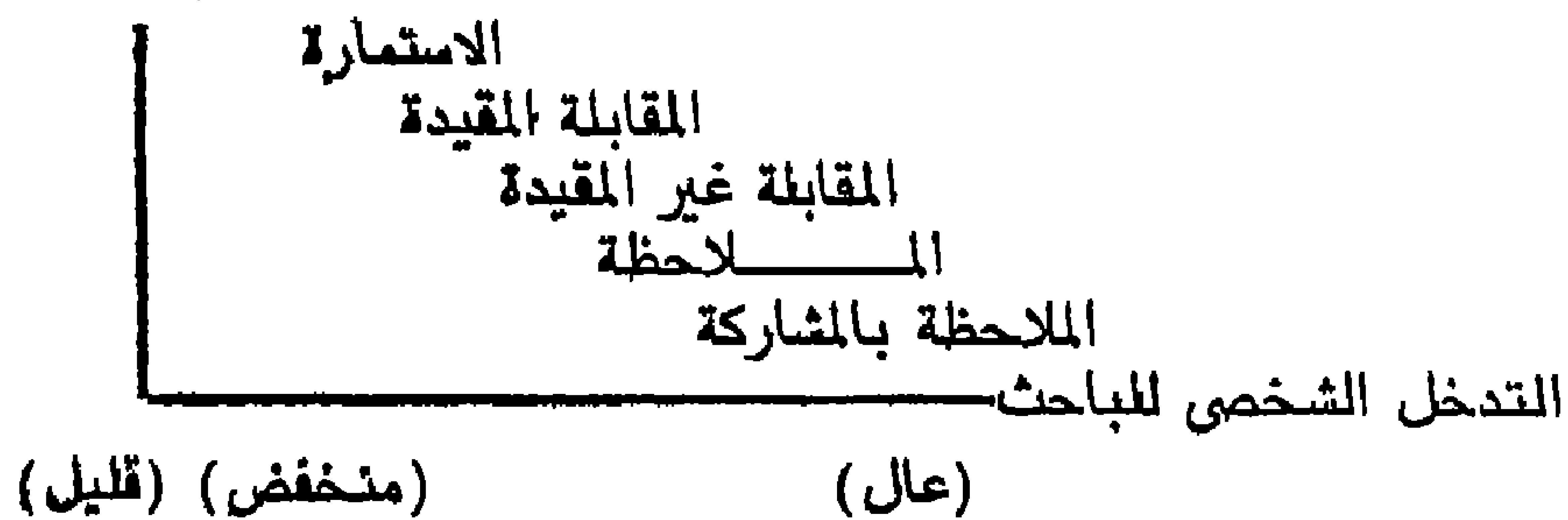
فهناك عدد من الخصائص التى يجب توافرها فى جامع البيانات،منها أن تكون قدراته ومواهبه الشخصية مساعد له على التذكر والتصرف واللباقة والتجمل ... ومـــا الى ذلك . وفى هذا يمكن الرجـــوع الى ماكتبناه عن اجراءات المقـــابلة وشروطها بالاضـــافة الى المام الباحث بأصـــول البحث الاجتماعى العلمى واهتمامه بهذا النوع من النشاط ، والمامه ببعض القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الخاصة بالمجتمع ، وتبدو أهمية هذا عند اجراء المقابلات الحرة . كما يجب ألا تكون بالباحث عيوب جسمية ـ وخاصة فى حواسه ـ اذ يمكن لجامع البيانات من خلال الملاحظة وادراك ماحوله أن يوضح مدى صدق المبحوث وعدم تضليله للباحث .

وبالاضافة الى الخصائص والسمات الواجب توافرها عند انتقاء جامعى

البيانات ، فانه يجب على هيئة البحث القيام بتدريبهم التدريب الذى يتناسب مع خطة البحث وذلك لشرح هدف البحث ونوعه وخطته بالتفصيل. والمام جامعى البيانات بمعلومات عن مجتمع البحث ، وخاصة مايرتبط منها بالجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . وكذلك تدريبهم على تطبيق أدوات جمع البيانات وما يمكن أن يقوم به جامع البيانات من تصرفات فى مختلف المواقف .

أما فيما يرتبط بمجتمع البحث فهناك مجموعة من العوامل التى تؤثر على استجابة الجمهور منها : القيم الاجتماعية والثقافية السائدة فى المجتمع ، وموقف المبحوثين من السلطة ، ووضعهم الاجتماعى والطبقى ، ومدى ادراكهم ووعيهم باهمية البحوث الاجتماعية . فاحيانا نجد نوعا من اللامبالاة وعدم الاهتمام بالبحوث الاجتماعية وموضوعاتها نظرا للمشكلات التى يعانى منها المبحوث ، وفقدان ثقته بالنتائج التى سوف يصل اليها البحث ، أو تخوفه وتشككه من موضوع البحث نتيجة لرواسب ماضية وخبرات سابقة له مع المسئولين . وأحيانا تكون فترة جمع البيانات غير مناسبة مع ظروف مجمتع معين . ولهذا يجب على الباحث الالمام بظروف المجتمع من ناحية وتهيئة المجتمع لتقبل جامع البيانات وتوعية جمهور البحث من خلال وسائل الاعلام المناسبة واجراء مقابلات مع القيادات الرسمية والشعبية للتمهيد جمع البيانات وتسهيل مهمة الباحثين .

ونعرض فيما يلى رسما يوضح العلاقة بين درجة تدخل الباحث وعدد المبحوثين وفقا لاستخدام مختلف أدوات جمع البيانات .



الفصل الحادى عشر

البحث الاجتماعى والاحصاءات

أولا : أهمية الاحصاء للتخطيط .

ثانيا : الاحصاءات الاساسية التى تخدم التخطيط .

ثالثا : تعداد السكان .

رابعا : احصاءات الخدمات الاجتماعية .

خامسا : الاحصاءات الصناعية .

سادسا : الاحصاءات الزراعية .

سابعا : الاحصاءات الثقافية .

البحث الاجتماعى والاحصاءات(*)

لقـد تطور على الاحصـاء وتنوعت طرائقه ، وأصبح لـه من القواعد ما يمكنه من القيام كعلم مستقل يمكن الاستعانة به فى رسم وتحديد السياسات الاجتماعية التى ينتجها المجتمع · كما برز دور الاحصاء ـ بما يقدمه من بينات واحصاءات ـ فى عمليات التخطيط والتنمية التى تمر بها مجتمعاتنا اليـــوم ·

والتخطيط أسلوب علمى حديث يحدد سيامة العمل فى أى جهاز سواء للخدمات أو الانتاج ، ويضع الخطوط العريضة لمسـتقبل العمل والنشاط لتحقيق رسالة هـذا الجهاز وتمكينه من أداء وظيفته ، ويحـدد البرامج والمشروعات والخطـوات التنفيذية التى توصل للاهـداف التى يتوخـاها هـذا الجهـاز ·

ان الاساليب الرياضية والاحصائية المستخدمة فى مناهج البحث بصفة عامة تستخدم الآن فى مجـال العلوم الاجتماعية بنجاح · وقـد أمكن عن طريقها التوصل الى بعض الحقائق العلمية والنظريات ، ولكنها لم ترق فى هذا المضمار الى ما وصلت اليه العلوم الطبيعية من نظريات علمية وقوانين· وتصادف العلوم الاجتماعية صعوبات منهجية تحول دون تحقيق اهدافها فى الوصول الى ما وصلت اليه الابحاث الطبيعية ، ومن بين هذه الصعوبات :

١ ـ لا تخضع التفاعلات الاجتماعية لنظام آلى رتيب ولا تسير وفق

(*) اعد هذا الفصل أ·د· غريب سيد أحمد ·

مبدأ الاطراد فى تتابع الاحداث مما يسهل عملية الحصول على القوانين التى تحكم نظمها .

٢ ـ صعوبة التوصل الى قوانين التنبؤ الاجتماعى . وقد كان الاعتقاد السائد أن السلوك الاجتماعى والعلاقات الانسانية التى تربط بين الافراد فى المجتمع انما تخضع لنظم وقوالب يصب فيها الافراد أعمالهم وافكارهم ولايكون الخروج عما ترسمه الطبيعة لهم من حدود ومانفرضه من التزامات.

٣ ـ ليس لدى بعض العلوم الاجتماعية وحدات معينة تستخدم لقياس الظواهر موضوع الدراسة كما هو الحال فى العلوم الطبيعية التى تستخدم وحدات كمية لوصف ظواهرها والتعبير عنها بمعادلات رياضية والتنبؤ بها بتوفر شروط معينة .

٤ ـ عدم استجابة البيئة الاجتماعية موضوع الدراسة للغايات التى يقصدها الباحث ، وعدم تمكن الباحث من السيطرة على الكثير من العوامل التى تلعب دورا كبير فى سير الحوادث وارتباطها بعضها بالبعض الآخر .

والمزايا التى يجنيها الباحث من الطرق الاحصائية يمكن تلخيصها فيما يـأتى :

١ ـ تساعد الباحث على اعطاء أوصاف على جانب كبير من الدقة العملية . فهدف العلم الوصول الى أوصاف الظواهر ومميزاتها الطبيعية ، وكلما توصل العلم الى زيادة دقة الوصف ، كلما كان هذا دليلا على التقدم العلمى ونجاح الاساليب العلمية .

ودقة الوصف تحتاج دائما الى اختبار مدى ثبات النتائج التى حصل عليها الباحث . فمجرد الوصول الى النتائج دون التحقق من ثباتها لايكفى عادة كأساس يعتمد عليه فى تفسير الحقائق وتحقيق الفروض .

٢ ـ تساعد الاحصاء على تلخيص النتائج فى شكل ملائم مفهوم . فمجرد ذكر الدرجات فى هذا المثال لايكفى للمقارنة بين الجنسين بل ان حساب متوسطى الدرجات قد سهل مهمة المقارنة كثيرا . فالبيانات التى

يجمعها الباحث لاتعطى صورة واضحة الا اذا تم تلخيصها فى معامل أو رقم أو شكل توضيحى كالرسوم البيانية التى سياتى شرحها فيما بعد ٠

٣ ـ تساعد الباحث على استخلاص النتائج العامة من النتائج الجزئية فمثل هذه النتائج لايمكن استخلاصها الا تبعا لقواعد احصائية٠كما يستطيع الباحث أن يحدد درجة احتمال صحة التعميم الذى يصل اليه ٠

٤ ـ تمكن الباحث من التنبؤ بالنتائج التى يحتمل أن يحصل عليها فى ظروف خاصة ٠ فبمساعدة الاحصاء يمكن للباحث أن يتنبأ من نتائج ما يجريه من اختبارات فى وقت ما لقدرة أو قدرات خاصة ما ينتظر للافراد الذين يختبرهم من نجاح فى مهنة معينة أو نوع معين من التعليم ٠

٥ ـ فى كثير من البحوث يهدف الباحث الى تحديد اثر عامل خاص دون غيره من العوامل مما لايتسنى تحقيقه عمليا ٠ وهنا يستطيع أن يلجأ الى الاحصاء فتعاونه على فصل عامل خاص من العوامل المحتملة وتحديد اثره على حدة ، كما تعينه على التخلص من أثر العوامل الاخرى التى لا يستطيع تفاديها فى بحوثه والتى تؤثر دائما فى نتائج كل بحث كعامل الصدفة واختيار العينات ٠

٦ ـ وقبل هذا كله تهدى الاحصاء الباحث عند تنظيم خطوات بحثه٠ فهو يحتاج اليها فى مرحلة تصميم البحث وتخطيطه حتى يمكنه فى النهاية أن يخرج من بحثه بالنتائج التى يسعى الى تحقيقها ، فهى تهديه الى أضبط الوسائل التى تؤدى الى التفكير الصحيح من حيث الاعداد أو الاستدلال والقياس أثناء خطوات البحث ٠ واذا كان هذا هو حال الاحصاء بالنسبة للبحوث العلمية بوجه عام فان حاجة البحوث الانسانية أشد ماتكون الى تطبيق هذه الوسائل٠لذلك كانت البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية من أصعب البحوث ، وتحتاج الى حرص زائد ومهارة فائقة من الباحث ٠ ويمكن تلخيص أسباب ذلك فيما يأتى :

١ ـ السلوك البشرى فى تغير دائم،ومدى تغيره من فترة لاخرى أوسع مما نظن لدرجة تجعل من الصعوبة بمكان اعطاء تنبؤات علمية دقيقة عنه،

٢ ـ السلوك البشرى كثيرا ما يخدع دارسه، ذلك لان حقيقته قد تختلف كثيرا عما يبدو عليه ، مما يحتاج الى ضبط فى البحث ودرجة كبيرة من الدقة الاحصائية .

٣ ـ السلوك البشرى معقد تعقيدا كبيرا وتتدخل فيه عوامل قد تزيد أو تختلف عما يتوقعه الباحث .

٤ ـ البحوث الانسانية يقوم بها انسان . كذلك مما يسمح بتدخل العوامل الشخصية كثيرا فى نوحى القياس والوصف بدرجة قد تكون كبيرة أو صغيرة حسب الطرق التى يستخدمها الباحث . وطرق الضبط الاحصائى خير وسيلة تعين الباحث على استبعاد هذه العوامل الشخصية .

الا أنه ينبغى الا تفهم من ذلك أن الاحصاء هى كل شىء فى البحوث العلمية . فالاحصاء فى يد من لايجيد تطبيقها واستخدامها استخدام الخبير الفنى ، لا تفيد كثيرا . فهى مرحلة تالية لاكتشاف المشكلة وتحديدها ، وهى تتطلب عـادة فروض علمية يتوقعها الباحث بنـاء على دراساته السابقة وملاحظاته العديدة ، وهى تتطلب كذلك فى آخر الامر تفسيرا مبنيا على خبرة علمية وقدر وافر من المعلومات فى الميدان الذى يجرى فيه البحث . وكلما كان الباحث مدركا للاسس التى بنيت عليها الطرق الاحصائية التى يستخدمها كلما سهل ذلك عليه تطبيقها تطبيقا صحيا وتفسير النتائج تفسيرا مناسبـا .

أولا : أهمية الاحصاء للتخطيط :

توضح العناصر التالية أهمية الاحصاءات فى خدمة التخطيط :

١ ـ ان أهداف المشروعات الكبرى الانتاجية والعمرانية والاجتماعية تبنى على أساس دراسات وبحوث علمية عن كل مايتصل بهذه المشروعات وغيرها من المشروعات المماثلة لها . ولا غنى لهذه المشروعات عن الاسلوب الاحصائى الذى يساعد على تصوير الظروف والنتائج والتوقعات بالصورة السليمة الواضحة . وتظل هذه الدراسات تصاحب المشروع وتلاحقه وتتابعه وكذلك فى مراحل تنفيذه بالتقويم المستمر .

٢ – يستدعى أسلوب التخطيط الكثير من الدراسات لضمان توافر البيانات ، اذ تعتبر هذه الدراسات والبيانات أساسا للتعرف على الاحتياجات وقياس الموارد والامكانيات ومن ثم ظهرت الحاجة الى دراسة الموارد والامكانيات والاحتياجات على أساس احصائى سليم .

٣ – الاحصاءات السليمة ضرورية لنجاح تخطيط الاقتصاد القومى ، ومن ثم ظهرت الحاجة الى وضع سياسة احصائية قوية تهدف الى النهوض بالاحصاء وأساليبه لملاحقة احتياجات التخطيط والتنمية الاقتصادية والاجتماعية فى الدولة .

٤ – تطور المجتمعات وتشعب العلاقات الانتاجية وتعقدها وظهور تقسيم العمل والتخصص وقيام الانتاج الكبير ، استتتبع استخدام الاساليب الاحصائية كى تكون عونا للفرد المنتج فى اتخاذ القرارات المناسبة على أسس علمية سليمة .

٥ – تطور وظائف الدولة التى تمارسها واتساع نطاق مسئولياتها ، ترتب عليه زيادة الحاجة الى الاحصاءات لتنظيم اعمالها .

٦ – اتباع سياسة الاقتصاد الموجه استتبع توفير بيانات كاملة عن مختلف قطاعات الانشطة الاقتصادية فيها ، وهذا لايتأتى الا ببرامج احصائية معدة لهذا الغرض .

٧ – الاتجاه الى أسلوب التخطيط القومى الشامل فى التنظيمات الاشتراكية الحديثة والتى شملت ممارسة الدولة لاغلب الانشطة الاقتصادية عن طريق الملكية العامة لادوات الانتاج لصالح الشعوب ، وزيادة القرارات التى تصدرها الحكومات فى هذا الشأن – يتوقف كل هذا على مدى كفاءة الاجهزة الحكومية فى الحصول على البيانات اللازمة لعملية اعداد القرارات ومتابعة تنفيذها وذلك باستخدام الاساليب الاحصائية .

٨ – جمع البينات والاحصاءات التى تعاون فى تحديد حجم الحاجات والمشكلات ، ثم فى تحديد نطاق الغمل واتجاهاته .

٩ ـ ضرورة استخدام الاحصاءات فى ايجاد التوازن والتنسيق والتكامل بين القطاعات المختلفة نظرا لاهمية الترابط فى انجاح الخطة • فالتوسع مثلا فى صناعة معينة يقتضى توافر المواد الاولية لهذه الصناعات ، وهذه المواد قد تكون من انتاج المناجم او الانتاج الزراعى أو غير ذلك أو كلها معا ، وهذا يقتضى الترابط مع صحة البيانات عن المواد الاولية المتاحة لهذه المشروعات •

وتتضح أهمية دور الاحصاءات فى المؤسسات النوعية العامة التى أنشأتها الدولة حديثا للاشراف على قطاع اقتصادى معين •

١٠ ـ أهمية الاحصاءات فى التغلب على مشكلة توزيع الموارد القومية على أوجه الاستثمارات المختلفة كى يتسنى الحصول على أحسن الاستخدامات الممكنة فى ظل الاهداف التى حددها المجتمع •

١١ ـ أهمية الاحصاءات فى التغلب على المشاكل العامة التى تواجه الدولة حاليا وأهمها مشكلة تضخم السكان • لذلك فانه من واجب المخططين لمستقبل افضل أن ياخذوا نمو السكان فى اعتبارهم اذا أرادوا الوصول الى أهداف واقعية عن العمالة والانتاج والتعليم والحاجات الاخرى للاجيال القادمة ، ودراسة أثر ازدياد عدد العاملين وعدد المستهلكين عن انتاجية العمل ومستوى المعيشة •

ويمكن القول أن الاحصاء بدأ فى شكل منظم اعتبارا من عام ١٩٠٥ حيث انشىء مكتب عموم الاحصاء تحت اشراف خبير ايطالى بناء على رغبة اللورد كرومر ، وذلك لخدمة أغراض الاستعمار وقد أصبح فيما بعد مصلحة الاحصاء والتعداد ، والحق بوزارة المالية عام ١٩١١ ويقوم بجمع بيانات معينة مثل احصاءات الجمارك واحصاءات الاموال المقررة •

وحتى عام ١٩٥٢ لم يكن هناك وعى احصائى لدى الحكومات أو الشعب مع قصور ميزانيات الدولة فى تخصيصها أية مبالغ للاحصاءات والتعدادات التى تستلزمها • وبدأت الدولة تهتم بالاحصاء بقيام ثورة مصر المباركة عام ١٩٥٢ وذلك لملاحقة احتياجات التخطيط فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

وبدأ التطور الاحصائى يحتل المكان الاول ، فبعد أن كان الكثير من العمليات الاحصائية تجرى على أسلوب تقليدى ثابت لايتجدد ولا يتغير ، تولى الجهاز الاحصائى تطوير نظام العمل وأسلوبه لخدمة اغراض الدولة حتى صدر القرار الجمهورى رقم ٢٩١٥ لسنة ١٩٦٤ بانشاء الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء ، الذى أصبح من أهدافه توفير البيانات الاحصائية السليمة والتخطيط للطوارىء .

ثانيا ـ الاحصاءات الاساسية التى تخدم التخطيط :

ان الاحصاءات الاساسية التى تخدم التخطيط فى الدولة هى تلك التى تحدد الموارد والامكانيات سواء أكانت بشرية أو مادية أو طبيعية أو انتاجية. ويمكن تصويرها فى :

الاحصاءات السكانية ـ احصاءات الانتاج ـ الاحصاءات الاقتصادية .

أ ـ الاحصاءات السكانية :

تسير الدول الى اتباع طريق التعداد العام للسكان بصفة دورية وذلك بجانب الحصر احيانا بطريق العينة . وتعتبر عملية تعداد السكان الوسيلة لمعرفة عدد السكان وخصائصهم فى مكان معين فى وقت محدد وتستفيد جميع الهيئات فى الدولة من التعداد فى الحصول على الكثير من المعلومات التفصيلية وقد أمكن بتحليل بيانات التعداد استخدامها فى عدة ميادين أهمها :

١ ـ البحوث الديمغرافية والتى تتناول نسب النمو والانكماش والكثافة والمواليد والوفيات وعلاقة كل ذلك بالدخل القومى ومستوى المعيشة للافراد.

٢ ـ البحوث الاقتصادية والتى تتناول العمالة والبطالة وتوزيع المشتغلين والعاملين فى أوجه الانشطة المختلفة . وتقدير أثر ذلك على اقتصاديات المجتمع فى الانتاج والاستهلاك . كما تستخدم بيانات التعداد فى علاج مشكلة تضخم السكان ووضع خطط وبرامج المشروعات العلمية و الصحية والعمرانية وغير ذلك .

ب ـ احصاءات الانتاج :

تهدف احصاءات الانتاج الى معرفة أنواع الانتاج الموجودة ، وكمية

وقيمة أى عدد من الوحدات المنتجة من كل سلعة ، وقيمة هذا الانتاج ، ثم التعرف على العوامل المستخدمة فى الانتاج والتى تشمل عدد المشتغلين والاموال المستثمرة وغير ذلك من العوامل الاخرى .

وبدراسة هذه الاحصاءات وتحليلها يمكننا استنباط المقاييس الاحصائية التى تصور ظروف الانتاج تصويرا شاملا سريعا واضحا ، يمكن معه العمل على تعديل السياسات الانتاجية فى ميادينها المختلفة وتطويرها بالشكل الذى يحقق الحصول على أكبر عائد باقل نفقة .

وتشمل احصاءات الانتاج كافة النشاط الاجتماعى الآتى بيانها :

١ ــ الانتاج الصناعي ، اى انتاج السلع الصناعية .

٢ ــ الانتاج الزراعى ، أى انتاج السلع الزراعية .

٣ ــ انتاج الخدمات ،أى الاشياء غير المنظورة مثل الخدمات التعليمية والطبية والعمرانية والاجتماعية .

وتهدف الاحصاءات الزراعية عامة الى الوقوف على نمط الانتاج الزراعى والحصول على مقاييس دقيقة للدخل الاهلى الزراعي ومصادره ، وتكاليف الانتاج الزراعى ومتوسط الانتاجية للمحاصيل الزراعية الرئيسية والحاصلات الحيوانية ، والتوزيع الامثل للاستثمارات والعمالة فى قطاع الزراعة .

وتهدف احصاءات الانتاج الصناعى الى الحصول على تقدير نصيب الصناعات التحويلية فى الدخل القومى والكشف عن الحاجة الى صناعات جديدة أو تنمية بعض الصناعات القائمة .

اما احصاءات الخدمات العامة فتشمل كل ما من شأنه ان يساعد على تنمية المستوى الثقافى والاجتماعى والصحى للافراد ، وكذلك مستوى العمران خاصة فى ظل النظام الاشتراكى ، وتعتبر احصاءات التعليم والاحصاءات الصحية واحصاءات خدمات المرافق العامة من الدعائم الاساسية للتنمية الاجتماعية التى تسير جنبا الى جنب مع خطة التنمية الاقتصادية .

جـ ـ الاحصاءات الاقتصادية :

وتضم احصاءات المال والتامين والبنوك والتجارة الخارجية ، وتبين درجة الكفاية الذاتية للاقتصاد القومى .

ثالثا : تعداد السكان :

التعداد العام للسكان من اهم العمليات الاحصائية الميدانية الضخمة وأكثرها اتصالا بسياسة الدولة ونشاطها العام . فهو يرمى الى حصر الموارد البشرية للبلاد وتصوير خصائصها وصفاتها وامكانياتها أصدق تصوير ، تمهيدا لاستخدام هذه المعلومات فى اداء الخدمات التى تلتزم بها الدولة قبل المواطنين لتحقيق الرفاهية الاقتصادية والاجتماعية لهم جميعا .

ويعتبر تعداد السكان الاساس الذى تنبنى عليه الاحصاءات الحيوية . وهو الاطار الشامل للاسر بمختلف المستويات الادارية ، ويعتبر بذلك اساسا لدراسة العينات والدراسات الاخرى .

١ ـ **تاريخ التعداد :** من الناحية التاريخية فالتعداد أول ماعنى به من الاحصاءات . فهو نظام عرف منذ القدم وسجله تاريخ أكثر الامم ، وافادت منة الدول التى اجرته كل حسب اغراضها المحددة فى ذلك الوقت، وهو معرفة عدد السكان فى وقت معين . فترى ان قدماء المصريين قد قاموا باجراء تعدادات للسكان منذ زمن بعيد لاغراض سياسية واجتماعية وادارية. وكذلك قام العرب باجراء تعداد للسكان فى العصور الوسطى ، كما قامت الدول الغربية فى أوربا مثل انجلترا وفرنسا والمانيا باجراء تعداد للسكان .

وحديثا تقوم الدول بعمل تعدادات دورية على فترات متساوية من السنين (كل عشر سنوات أو خمس) كما تقوم بعمل تقديرات لعدد السكان من سنة لاخرى دون اجراء عملية العد ، بالاضافة الى التنبؤ بما سيكون عليه عدد السكان مستقبلا .

وأولى الدول التى قامت بتعدادات للسكان منتظمة كل عشر سنوات هى السويد (من سنة ١٧٥١) والولايات المتحدة الامريكية (من سنة ١٧٩٠) وانجلترا (من ١٨٠١) حتى الان .

وأول تعداد أجرى فى مصر على النظم الحديثة كان فى عام ١٨٨٢ وتلاه تعداد آخر سنة ١٨٩٧ ٠ ومنذ ذلك التاريخ يجرى التعـداد مرة كل عشر سنوات حتى عام ١٩٤٧ ثم بدأت سلسلة جديدة للتعدادات فى الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٦٠ بعد وقف تعداد سنة ١٩٥٧ لظروف العـدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٧ ٠ وقد بدأت سلسلة جديدة للتعدادات بالعينة سنة ١٩٦٦ ثم تعـداد ١٩٧٦ ٠ وكان الغرض الاساسى من عمل التعدادات قديما هو معرفة عدد السكان فى الدولة فى تاريخ معين ، ولكن نظرا للتطور الذى طرأ على البشرية من مدنية وثقافة وتقدم فى العلوم وظهور المخترعات الحديثة وابتداعا لطرق علمية لتحليل بيانات التعداد بالاضافة الى التقدم الذى حدث فى الوسائل الآلية المستخـدمة فى تبويب البيانات من استخدام للبطاقات المثقبة ثم أخيرا استخدام للعقـول الاكترونية فى تجهيز بيانات التعداد،كل ذلك كان له أكبر الاثر فى حجم البيانات التى يتضمنها التعداد، كما كان له الفضل فى تصعيد أهداف التعدادات وطرق الافادة منها ٠

فالتعداد حاليا يصف سكان الدولة فى أجزائها الجغرافية المختلفة وحسب فئات السن لكل نوع من السكان (ذكور وأناث) ٠ كما يصف الحالة الزواجية والحالة التعليمية والمرحلة التعليمية ويبين توزيع الحرف والمهن فى الانشطة المختلفة وقد يغطى بيانات لقياس الهجرة الداخلية وكـذا حركة السكان بالاضافة الى قياس الخصوبة والتكسب والعمالة والبطالة ٠

ومنه يمكن أن نصل الى الاهداف التى ترمى اليها التعدادت عموما ، من التعرف على درجة رقى الامة ورفاهية أهلها من النواحى الاجتماعية والصحية والثقافية ٠ كما يحدد التعداد الاتجاه الذى تأخذه الدولة فى طريق الاصلاح والتنمية ٠ ويستفـاد من تحليل بيانات التعداد فى ميادين عـدة أهمهـا :

أولا ــ البحوث الديمجرافية :

وهى تتناول عدد السـكان ونسبة نموهم أو انكماشهم ونـوع الهيكل السكانى الذى ينشأ عن هذا النمو أو الانكماش ودراسة كثافتهم وتقدير أثر

عوامل التغيرات السكانية ، وهى المواليد والوفيات والهجرة ، فى مستقبل السكان عددا وتوزيعا وهيكلا ٠

ثانيا ـ البحوث الاقتصادية :

وهى تتناول توزيع السكان من حيث عدد المشتغلين بالنشاط الاقتصادى والمعولين وتوزيع الحرف والصناعات والعمالة والبطالة فى فئات سن العمل وتقدير اثر كل هذا على اقتصاديات المجتمع انتاجا واستهلاكا ومستوى عـاما للمعيشـة ٠

ثالثا ـ البحوث الاجتماعية :

وتتصل بالقيم والعادات والتقاليد التى تقترن بتفاوت فى سلوك طبقات اجتماعية واقتصادية وبيئية وفى الحالة الزواجية وما يترتب عليها من درجة الانســـال ٠

ويقصد بتعداد السكان «عدد الاشخـــاص الموجودين على قيـد الحياة داخل حدود بلد معين فى تاريخ محدد» ٠ وهناك أساسان لاجراء التعداد همـــــا :

أ ـ التعــداد الفعلى :

وهو حصر الاشخاص فى مكان وجودهم وقت التعداد بصرف النظر عن كونهم من سكان هذا المكان بصفة دائمة أو زائرين بصــفة مؤقتة ٠ وتتبعه انجلترا وجمهورية مصر العربية ، ويمتاز هذا الاساس بالسهولة والبساطة وعدم تعرض التعداد للخطأ ٠

ب ـ التعــداد النظرى :

هو حصر الاشخاص بحستب محال اقامتهم المعتادة ٠ فاعضاء الاسرة الغائبون عنها لسبب طارىء يوم التعداد يعدون مع الاسرة ٠ وهذا الاساس يوفر صورة صحيحة لتوزيع السكان الا أن تنفيذ أصعب من الناحية التطبيقية.

وقد أجرى تعــداد السكان بالعينة ســنة ١٩٦٦ لاول مــرة وتم جمع بيانات الحصر الشامل وفق أسلوب التعداد الفعلى ٠

كما جمعت بيانات العينة وفق الاسلوبين الفعلى والنظرى ٠

٢ ـ كيفية التنفيـذ لاجراء التعـداد :

يتم اجراء التعداد فى مراحل عدة أهمها :

١ ـ الدراسة والتصميم ٠

٢ ـ التنفيذ أو العمل الميدانى ٠

٣ ـ التجهـــيز ٠

وسأتناول كل مرحلة بشرح موجز :

مرحلة الدراسة والتصميم وغالبا تقوم بها لجنة فنية من خبراء التعداد ويتم فيها دراسة وتصميم الاستمارات والنماذج والسجلات ٠ كما يتم دراسة الاحتياجات والبيانات اللازم توفرها بالنسبة لكل وزارة أو كل هيئة، بحيث تخدم بيانات التعداد كل الاغراض ٠ كما تقوم بدراسة التعـاريف وتحديد مدلولها وكذا التعليمات والوحدة الجغرافية ووحدة العـد ومنطقة العـد والتوقيت الزمنى لكل مرحلة من مراحل التعـداد ٠ بالاضافة الى تحديد أعداد وأنواع ووظائف واختصاصـات وواجبات الهيكل الوظائفى للعملية وكذلك كيفية تنفيـذ العملية فى الميـدان ، وكيفية اجراء التجهيز المكتبى والآلى ٠ وكيف ومتى تنشر كل النتائج الاولية والنتائج النهائية للتعداد بالاضافة الى الميزانية ٠

٣ ـ مرحلة التنفيذ او العمل الميدانى :

ويقوم بتنفيذ هذه المرحلة الهيكل الوظائفى للعملية بمستوياته الادارية والوظائفية المختلفة والتى قد تصل الى أكثر من ٣٠ ألف مشتغل ٠

ويتم فى هذه المرحلة جمع البيانات الخاصة بالتعداد كنتيجة للتفاعل بين مصادر البيانات (وهم السكان) وبين التعدادين ٠

ولذلك فتعتبر هذه المرحلة من أصعب وأهم وأخطر المراحل جميعها ، وذلك لوجود العنصر البشرى بشكل كثيف ، وما يلزم لذلك من ضرورة توفر مـــا يلى :

١ – تدريب كاف للمشتغلين وتنظيم الاتصال بينهم .

٢ – توزيع مناطق العمل عليهم وتعريفهم بها على الطبيعة .

٣ – توفير الامكانيات البشرية عددا وصلاحية وخبرة مع توفير الامكانيات المادية من مطبوعات وسجلات وتعليمات ادارية وفنية لكل عملية.

٤ – توفر الوعى الاحصائى الناضج لدى كل من العدادين والسكان ، وذلك بالدعاية الكثيفة المركزة الهادفة والمانعة لاى أثر لما توسوس به نفوس البشر ، أو أثر الدعايات العكسية التى غالبا ماتنشر وترافق التعدادات .

مرحلة التجهيز وتتم مركزيا فى الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء باستلام وتخزين السجلات والدفاتر والنماذج بطرق فنية معينة للتخزين تسهل تداول هذه السجلات خلال مرحلة التجهيز بالاضافة الى أنه يتم فى هذه العملية (الاستلام والتخزين) التأكد من شمول وورود سجلات كل وحدة من وحدات مناطق العد .

ثم يتلو ذلك المراجعة المكتبية للبيانات وتهدف الى تنقية البيانات يعقبها عملية توقيع الدليل ثم مراجعة الدليل ثم التثقيب فمراجعة التثقيب ثم الفرز والتبويب . ويذيل التجهيز بالجدولة ثم النشر .

٤ – أهم التعاريف والمفاهيم المستخدمة فى التعداد :

أ – الحضر والريف :

فالحضر هى المناطق التى تتميز بتوفر المرافق العامة واتساع العمران وزيادة نسبة التعليم ومزاولة الانشطة الاقتصادية غير الزراعية بالنسبة لغالبية سكان تلك المناطق .

والريف هى المناطق التى لاتتوفر بها معظم المرافق العامة ولا يوجد بها اتساع عمرانى وتزداد فيها نسبة الجهل ، كما يقتصر معظم نشاط السكان على الزراعة .

وفى تعدادات ٦٠، ١٩٦٦ أعتبر الحضر محافظات القاهرة والاسكندرية وبور سعيد والسويس وعواصم باقى المحافظات وعواصم المراكز والتى يطلق على وحداتها شياخات .

واعتبر الريف مجموعة القرى المكونة للمحافظات عدا عواصم المحافظات وعواصم المراكز والتى تسمى حاليا قرى ، وكان يطلق عليها فى الماضى ناحية ٠

وبشكل عام فالحضر ماتتوفر له مقومات الحضارة والمدينة والتقدم والعمران ٠ والريف هو ما لا تتوفر له المقومات الحضارية بالاضافة الى تركز النشاط الزراعى بصفة رئيسية لغالبية السكان ٠

ب ـ الطريق :

وهو أحد مكونات الشياخات فى المناطق الحضرية وهى كل مايطلق عليه شارع ـ حارة ـ زقاق ـ ميدان ـ عطفة ـ درب ٠٠٠ الخ ٠ والطرق التعدادية هى التى تنتهى حدودها بانتهاء الشياخة رغم امتدادها فى شياخات بل وفى أقسام أخرى ٠

جـ ـ المبنى :

هو أحد أنواع المشيدات القائمة بذاتها سواء كان مرتبطا أو مرتكزا بصفة دائمة أو مؤقته على الارض أو فى الماء مهما كانت مادة صنعه ومهما كان الغرض منه (للسكن / للعمل / للعيادة ٠٠ الخ) ٠

د ـ الوحدة السكنية :

هى مبنى أو جزء منه مخصص لايواء الانسان والتى تعرف بالشقة أو الغرفة أو المنزل كله كما هو الحال فى غالبية مبانى الريف ٠

هـ ـ الوحدة السكنية العامة :

وهى المخصصة لايواء اعداد من السكان تحت هدف مشترك وظروف موحدة كالفنادق والبنسيونات والمستشفيات والملاجىء والسجون والمعسكرات ٠٠٠ الـخ ٠

و ـ الدكان والمكتب :

هو المكان (جزء من مبنى) معد أصلا للعمل وتفتح أبواب الدكاكين غالبا على الطريق مباشرة دون حاجة لاستخدام الباب الرئيسى للمبنى ٠

ز ـ الاسـرة :

هـو شخص أو مجموعة أشخـاص تربطهم أو لاتربطهم صلة القرابة وتجمعهم وحدة الاقامة معا ٠

وقد تشغل الاسرة وحـدة سكنية كلها أو جزء منهـا ، ويطلق عليها الاسرة التعدادية ، وقد تكون هذه الاسر أحد الحالات الاتية :

١ ـ أسرة معيشية وهى الاسرة التى يضمها الايواء والمعيشة (الاكل)٠

٢ ـ أسرة زواجية وهى الاسرة التى يضمها الايـواء والمعيشة نتيجة الصلة الزواجية القائمة ٠

٣ ـ أسرة شبه زواجية وهى الاسرة التى يضمها الايواء والمعيشة نتيجة الصلة الزواجية السابقة ٠

٤ ـ أسرة نـووية وهى الاسرة التى يضمها الايواء والمعيشـة نتيجة الصلة الزواجية المركبة ٠

٥ ـ أسرة مركبة وهى الاسرة التى يضمهـا الايواء والمعيشـة نتيجة الصلة الزواجية وغير الزواجية ٠

ح ـ محل الاقـامة المعتـاد :

هو المكان الذى يعيش فيه الفرد عادة مع أسرته أو بمفرده ٠ ويجب أن يوضح ذلك فى أى تعداد بالنسبة لافراد الاسر الذين يعدون فى غير أماكن اقامتهم المعتادة للتمكن من التعرف على التعداد بالاساس النظرى من واقع التعداد بالاساس الفعلى ٠

ط ـ وحدة الزمن الذى تجمع عنه البيانات :

حيث أن السكان فى حالة حركة مستمرة بالاضافة الى أنهم يـخضعون لنواميس الطبيعة من ميلاد ووفاة ٠ لذلك يجب أن توضح وتـختار وحـدة الزمن التى تجمع عنه بيانات التعداد والتى غالبا ما تشـير الى منتصف ليلة معينة تسمى ليلة التعـداد ٠ وتشير جميع بيانات التعداد الى هـذه اللحظة منعا من ازدواج العد أو نقصه عن الواقع ، وأهم شرط لهذه الليلة

أن تكون في وقت أقل ما يكون فيه السكان حركة خلال السنة التى يجرى فيها التعـــداد ٠

٥ ــ العمليات الميدانية للتعداد :

للوصول الى أفراد الاسر لجمع الخصائص المختلفة عنهم يلزم معرفة أماكن تواجد هؤلاء الافراد ٠ وأننا نجد الفرد يعيش فى مكان عضوا فى أسرة وهذا المكان جزء من مبنى ، وهذا المبنى جزء من طريق ٠ وهذا الطريق جزء من شياخة ، وهذه الشياخة جزء من قسم أو مدينة ، وهذه القسم أو المدينة جزء من محافظة ، وهذه المحافظة أحدى التقسيمات المكونة للدولة (فى الريف : المبنى أحد مكونات العزبة أو النجع أو مسكن الناحية) ٠

لذلك يجب أن يتم حصر جميع الوحدات الادارية من المحافظة حتى أدنى المستويات الادارية وهى الشياخة فى الحضر والقرية وتوابعها (عزب ونجوع) فى الريف ٠

بعد ذلك تتم الخطوات الاتية :

١ ــ التحديد المكتبى لحدود الشياخات فى المدن وحدود القرى وتوابعها فى الريف وتسجيل هذه الحدود ٠

٢ ــ التحيد الميدانى لحدود الشياخات فى المدن وحدود القرى وتوابعها فى الريف وتسجيل هذه الحدود ٠

٣ ــ حصر وترقيم الشياخـات جميعها وتسجيل بعض بيـانات كل طـــريق ٠

٤ ــ حصر وترقيم المبـانى فى كل طريق فى المدن وكـذا مبانى سكن القرى ومبـانى التوابع الخـاصة بها فى الريف ، واستيفـاء بيانـات عن خصائص كل مبنى ٠

٥ ــ حصر الوحدات السكنية والاسر والحصول على جملة عدد أفراد كل أسرة ٠

٦ ــ استيفاء البيانات التعدادية لكل فرد من الشخص الرشيد المسئول عن الاسرة ٠

٦ - البيانات ألتى تتضمنها استمارة التعداد :

١ - الاسم الثلاثى الكلمات

٢ - الصلة برئيس الاسرة .

٣ - النوع (ذكر / أنثى) .

٤ - الســـن .

٥ - الديـــانة .

٦ - الحالة الزواجية .

٧ - عدد الزوجات بالعصمة (للمسلمين فقط) .

٨ - الحالة التعليمية (درجة التعليم أمى أو أعلى شهادة .. الخ) .

٩ - المرحلة التعليمية (السنة الدراسية) .

١٠ - المهنة بالتفصيل حاليا وسابقا .

١١ - مدة مزاولة المهنة الحالية بالسنوات .

١٢ - اسم المكان الذى يعمل به .

١٣ - النشاط الاقتصادى بالتفصيل .

١٤ - الحـــالة العملية .

١٥ - مدة الاقامة بالمنطقة (مدينة / قرية) .

١٦ - مكان الميلاد (مدينة / قرية) (محافظة - خارج الدولة) .

١٧ - مكان الاقامة السابق (مدينة / قرية / محافظة) .

١٨ - محل الاقامة المعتاد للضيوف والزائرين المقيمـين بصفة مؤقتة (محافظة ثم مدينة / قرية) .

١٩ - بيانات عن النساء المتزوجات اللاتى سبق لهن الزواج لقياس الخصوبة مدة الحياة الزواجية (حالى وسابق) .

٢٠ - بيانات عن الزواج الحالى والاخير (مهنة الزوج / مدة الحياة الزواجية / عدد المولودين أحياء / عدد المولودين موتى) .

٢١ ـ بيانات باقى الزيجات لمن سبق لهن الزواج قبل الزواج الحالى.

٢٢ ـ بيانات عن المتكسبين فى الاسرة وعدد أيام الانقطاع عن العمل (الاسبوع السابق ليوم العد بسبب التعطل أو بسبب آخر وسبب الانقطاع ـ ثم بالنسبة للاسبوعين السابقين ليوم العد .

٢٣ ـ مدة التعطل الحـــالى .

٢٤ ـ ساعات العمل فى الاسبوع السابق ليوم العد .

٢٥ ـ الاجر المنصرف خلال الشهر السابق ليوم العد .

٢٦ ـ القسم أو المركز الذى يقع بدائرته مكان العمل .

رابعـا ـ احصاءات الخـدمات الاجتماعية :

وتعتبر الخدمات الاجتماعية فى مفهومنا بأنها كـافة الاعمال المنظمة ـ الحكومية والشعبية ـ التى تهدف الى مساعدة الافراد فى مختلف فئات السن والاخذ بيدهم حتى يتمكنوا من تحمل أعباء الحياة بصورة تؤدى الى منع الاضرار المادية والمعنوية التى أصابتهم . كما أنها فى بعض جوانبها تقوم بدور الوقاية للمواطنين من أضرار يحتمل أن يصابوا بها .

ومن هذا المفهوم الواسع العريض نجد أن الخدمات الاجتماعية ليست قاصرة على مساعدات المحتاجين . كما هـو فى مفهوم معظم العاملـين فى الميدان الاجتماعى ، ولكنها عملية تؤدى على مختلف المستـويات بهدف الرفاهية وتعويض المواطنين لنواحى القصور الاجتماعى الموجود فى حياتهم.

ويهتم الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء بالتصوير الاحصائى لمختلف المجالات الاقتصادية والانتاجية والزراعية والخدمات ، وهو بذلك يساعد دائما جميع العاملين فى النواحى المختلفة من مخططـين ومنفذين وباحثين ومشرعين على الحصول على صورة واضحة تساعد بطريقة فعالة كل هـؤلاء فى أداء واجبـاتهم على الوجه الاكمل . وبالنسبة للخـدمات الاجتماعية على وجه التخصيص فهى من المجالات الحديثة التى اهتم بها الجهاز واهتم بتطريزها وتطـوير بياناتها خاصة فى فترة ما بعـد الثورة المجيدة . ومن أهـداف الاحصاءات الاجتمـاعية الحصول على بيـانات

الخدمات الاجتماعية توفيرا للصورة الفعلية لها ومساعدة على رسم الخطط المتصلة بالخدمات • كما أن التوصل الى معرفة الصورة الفعلية يمكننا من معرفة مدى كفاية هذه الخدمات بالنسبة للافراد موضع الخدمة • هذا من الناحية المحلية ، وبالاضافة الى ذلك فانه يتم الاستعانة بها فى الدراسات الاكاديمية والمقارنات الدولية •

كما يتم نشر البيانات على مختلف المستويات الممكنة والتى يمكن أن تؤدى الى دور ذو قيمة بالنسبة لمستهلكى البيانات الاجتماعية ، ويتم النشر على المستويات الاتية :

١ ـ المستوى الجغرافى •

٢ ـ مستوى نوع الخدمة (خدمات ـ رعاية ـ دور حضانة ـ علاج ـ مساعدات ••• الخ) •

٣ ـ مستوى القطاع الذى تتبعه المنشآت التى تؤدى الخدمات (حكومى ـ عام ـ خاص) •

٤ ـ مستوى الفئات المستفيدة من الخدمات (أطفال ـ شبان ـ عجزة ـ شيوخ ••• الخ) •

٥ ـ مستوى الحضر والريف •

٦ ـ المستوى الاجمالى بالنسبة للجمهورية •

ويتم نشر البيانات على المستويات السابقة اما منفصلة أى كل مستوى على حدة ، ويتم نشرها بمستويات متشابكة كان ينشر توزيع الخدمات حسب نوع الخدمة والقطاع الذى تتبعه المنشاة فى المحافظات ، وهنا نلاحظ أن النشر قد تم على ثلاثة مستويات معا •• الخ •

خامسا ـ الاحصاءات الصناعية :

تهدف الاحصاءات الصناعية الى تصوير النشاط الصناعى تصويرا رقميا بأسلوب علمى بغرض معرفة :

١ ـ الصناعات القائمة وتوزيعاتها الجغرافية •

٢ ـ كميات وقيم الانتاج والخدمات الصناعية في كل صناعة ٠

٣ ـ كميات وقيم مستلزمات الانتاج السلعية والخدمية ٠

٤ ـ الوقوف على مدى مساهمة كل من القطاعين العام والخاص فى الانتاج الصناعى والوفاء باحتياجات السوق العربية ٠

٥ ـ العاملون بالنشاط الصناعى وأجورهم وتوزيعاتهم المختلفة ٠

٦ ـ الاموال المستثمرة وظروف التمويل ٠

هذا بالاضافة الى بيانات احصائية أخرى مثل المزايا العينية والخدمات الاجتماعية وعدد الورديات وساعات العمل ٠٠٠ ثم دراسة وقياس معاملات الانتاج ٠٠٠ ودوال التكاليف والانتاج وتحليل المدخلات والمخرجات فى القطاع الصناعى وفى النشاط الاقتصادى ٠٠٠ وقياس الكفاية الانتاجية ، والانتاجية الحدية لرأس المال ٠

سادسا ـ الاحصاءات الزراعية :

الاحصاءات الزراعية هى عبارة عن اعداد بيانات عن كل ما يتعلق بالزراعة وفروعها من أراض ومحاصيل وحيوان وانتاج كل منها ، وكذا ما يتعلق بالسكان الزراعيين ودخولهم وأجورهم وما الى ذلك ٠

ويعتبر الجهاز المركزى للتعبئة العامة والاحصاء المصدر الرئيسى للاحصاءات المختلفة بموجب القرار الجمهورى رقم ٢٩١٥ الصادر فى سبتمبر سنة ١٩٦٤ ٠ وتجمع الاحصاءات الزراعية من الوزارات والمصالح الحكومية والهيئات مثل : وزارة الزراعة،وزارة الاصلاح الزراعى واستصلاح الاراضى ، وزارة الرى ، وزارة التموين والتجارة الداخلية ، مصلحة الطرق والكبارى ، مصلحة الاموال المقررة ، مصلحة السواحل والمصايد ، الهيئة العامة للاصلاح الزراعى ، الهيئة الزراعية المصرية ، معهد علوم البحار والمصايد ، صندوق دعم الاسمدة ٠ وكذلك المؤسسات العامة والشركات مثل : المؤسسة المصرية العامة لتعمير الاواضى ، المؤسسة المصرية العامة لاستصلاح الاراضى ، المؤسسة المصرية العامة لتنمية واستغلال الاراضى المستصلحة ، المؤسسة المصرية العامة للثروة المائية ، المؤسسة المصرية العامة للائتمان

الزراعى والتعاونى ، المؤسسة المصرية التعاونية الزراعية العامة ، مؤسسة القطن ، شركات السكر ، شركات الكتان ، الشركات المختلفة التى تقوم بأستصلاح الاراضى منها المحلية مثل : الشركة العامة لاستصلاح الاراضى ، شركة مساهمة البحيرة ، شركة وادى كوم أمبو ، الشركة العقارية المصرية ، شركات الابحاث والمياه الجوفية ، شركة المبانى الريفية . والاجنبية مثل : شركة أيتال كونسلت الايطالية .

سابعا : الاحصاءات الثقافية :

يقوم قسم الاحصاءات الثقافية بالادارة المركزية للاحصاء بدراسة ومتابعة الاحصاءات الثقافية عن طريق طلب هذه البيانات من مصادرها المتعددة على النماذج التى خططتها الادارة المركزية للاحصاء ، بحيث تصور بعض الاغراض التى تهدف اليها الدولة وهى نشر الثقافة بين أفراد المجتمع وأن لاتكون قاصرة على فئة معينة من الشعب . فان رفاهية الشعوب ومدى ما يتمتع به كل فرد من خدمة ثقافية انما يرجع الى ماتبذله الدولة من جهد ومال لتحقيق زيادة دخل الفرد ، ليس من الناحية المادية فحسب ، وانما من الناحية الثقافية أيضا . فكلما انتشرت الثقافة بين الشعوب كلما ساعد ذلك على الحفاظ على زيادة دخول أفرادها . ولكنا نعلم مدى ما بذلته الدولة فى الخمسة عشر عاما الاخيرة لنشر الوعى الثقافى بين أفراد جمهوريتنا ، وذلك بما اقامته من مراكز ثقافية تنتشر فى جميع محافظات الجمهورية ، ومكتبات عامة تذخر بالنفيس من الكتب العلمية والادبية والتاريخية ... ولا يخفى علينا ما تقوم به الفرق المسرحية التى انشأتها الدولة لتجوب أنحاء المدن المتفرقة بل الى قرى الجمهورية العديدة المترامية . هذا بجانب الجهود الكبرى التى قامت بها الدولة لنشر الوعى السياسى والثقافى والتعليمى والصحى والرياضى ... عن طريق التليفزيون الذى أصبح يغطى جميع المحافظات فى مدى سنوات قليلة . بل أصبح من محطات التليفزيون فى العالم . هذا بجانب محطات الاذاعة الصوتية المحلية والموجهة التى زادت فى عهد الثورة . وهذه حقائق نلمسها جميعا على مختلف طوائفنا بل أصبحت ضروريات لاغنى لنا عنها .

الفصل الثاني عشر

تفريغ البيانات وعرضها

أولا : المراجعة الميدانية والمكتبية ٠

ثانيـا : التفريغ اليدوى والآلى ٠

ثالثـا : العرض الجـدولي والبيـاني ٠

تفريغ البيانات وعرضها(*)

تحدثنا فيما سبق عن كيفية تصميم البحث الاجتماعى ابتداء من اختيار مشكلة البحث وتحديد اطارها وأبعادها ، وتحديد المنهج الذى يتبع فى الدراسة وأساليبه وأدوات جمع البيانات.وعرضنا الى اختيار عينة البحث، وكيفية تنفيذه ، وكانت أهم النقاط التى تلفت النظر عند تنفيذ البحث تناول الطريقة التى بها تدون المواد المنطوقة وتستخلص المواد المكتوبة ، وكذلك كيفية حساب كل من الثبات والصدق لادوات جمع البيانات والبيانات ذاتها . وفى الفقرة التى نحن بصددها نعرض الى كيفية تصنيف البيانات وتبويبها . وذلك من وجهتين : **الاولى** أسلوب المراجعة الميدانية والمكتبية ، **والثانية** عملية التفريغ اليدوى والآلى للبيانات . وهذا لايعنى أننا نلم بالطرق الاحصائية جميعها فى هذه الفقرة ، ولكننا سنكمل هذه الطرق فى الفصل القادم عند الحديث عن أسلوب التحليل الاحصائى بالذات .

لقد ارتفع شأن التكنيكات الاحصائية ، وأصبحت مقبولة لدى العلماء الاجتماعيين كنتيجة للحاجة الى مناهج أكثر موضوعية ودقة . ولقد وجد كذلك أن التطور الذى يلحق اى علم يمكن ملاحظته من خلال مدى وجود المعطيات والاساليب الفنية الاحصائية الدقيقة واحلالها محل الانطباعات التصورية والكيفية . ويحق القول بانه كلما تقدمت العلوم الاجتماعية من المراحل الكيفية والانطباعية الى المناهج الاحصائية ، كلما زادت أهميتها وقيمتها . وفى الحقيقة فان معرفة المبادىء الاحصائية على الأقل أصبحت

(*) اعد هذا الفصل أ.د. غريب سيد أحمد .

ضرورية لمتطلبات الباحث فى مجال العلم الاجتماعى فى الوقت الراهن . كما أن معرفة المفهومات والتكنيكات الاحصائية الاساسية أصبحت ايضا ضرورية من أجل الفهم الجيد للكتابات المعاصرة فى العلوم الاجتماعية. وقد اصبح عاما جدا لدى الكتاب أن القارىء على قدر معين من المعلومات والاساليب الاحصائية . ومن هنا كانت كتاباتهم تحاول أن تؤكد على الاساليب والمناهج الاحصائية(١) .

اولا ـ المراجعة الميدانية والمكتبية :

بعد تصميم كشف البحث أو صحيفة الاستقصاء واستيفائها يجب على الباحث القيام بمراجعتها ثم تبويب نتائجها للحصول على النتائج النهائية من البحث فى شكل جداول احصائية . وعملية المراجعة هى عبارة عن تصفح الاستمارات واحدة بعد أخرى ـ وتسمى أحيانا بالمراجعة المكتبية ـ لاكمال ماتم الاجابات فيها عن استهتار بالبحث وأغراضه أو عدم فهمه للاسئلة ومدلولاتها .

كما تؤدى المراجعة الى الكشف عن الاجابات المتناقضة ، فيعمل الباحث على تصميمها اذا ما تمكن من ذلك أو الى ارسالها الى أصحابها ان أمكن. ومن أمثال هذه المتناقضات أن يذكر أحدهم سنة وحالته التعليمية بما لايتفق مع سنه ، كأن يكون سنه ٤ سنوات وحالتة التعليمية حاصل على شهادة عليا ، فقد يكون الخطأ فى الكتابة (٤٠ سنة مثلا) أو قد يذكر المبحوث أن سنه ٦ سنوات ويذكر عن حالته المدنية أنه متزوج وهكذا ...

وتشتمل عملية المراجعة على القيام بالعمليات الحسابية التى يستلزمها البحث والتى أعفينا المبحوث من القيام بها . فاذا كان المطوب هو حساب نصيب الفرد الواحد من الدخل فاننا نسأل المبحوث عن دخل العائلة

---

(1) P.V. Young. Op. Cit., pp. 274-275.

الشهرى ثم عن أفراد العائلة ، وهنا يتم فى المراجعة تسجيل نتيجة قسمة الدخل الكلى على عدد أفراد العائلة(١) •

وتعتبر المراجعة من أهم مراحل أو خطوات البحث الاجتماعى ، وذلك بالنسبة للمعطيات التى جاءت بها استمارات البحث أو المقابلات أو غيرها من أدوات جمع البيانات • وهذا يتطلب مراجعة اداة جمع البيانات من حيث(٢) •

أ ـ الاكتمال Completeness : بمعنى الا يترك بيان لم يأت به الباحث وكان مطلوبا • ولكى يتأكد المراجع من أن المبحوث لم يترك سؤالا لم يجب عليه ، أو أن الباحث نسى أن يوجه سؤالا الى المبحوث • أو أن الاستجابة لسؤال ما كانت غير متطابقة مع المطلوب من السؤال ، أى أن المبحوث قد فهم السؤال بطريق خاطىء • وقد تتطلب هذه الخطوة اعادة اجراء المقابلة مرة أخرى لاستكمال البيانات •

ب ـ الدقة Accuracy : انه لم يكف أن يبحث فى كون جميع الاسئلة قد أجيبت ، ولكن المراجعة تسعى أيضا الى أن تكون هذه الاجابات على درجة من الدقة والصحة • وقد ترجع الدقة الى المحاولة الواعية لاعطاء اجابات خاطئة (مضللة) • كما قد ترجع أيضا الى خطأ من الباحث نفسه• ويمكن الكشف عن هذا الخطأ الذى يتعمده المبحوث أو يقع فيه الباحث عن طريق المعادلات الحسابية الاحصائية •

جـ ـ الانساق Uniformity : وفيها ينظر الى الحالة ككل ، واضعين فى الاعتبار العلاقة بين الاجابات التى أعطاها المبحوث مع مختلف الاسئلة ومدى اتساقها وتجانسها ككل • وقد يحدث هذا بالنسبة لعدد من (عينة) الحالات فقط •

---

(١) د• أحمد عبادة سرحان ، مقدمة فى الاحصاء الاجتماعى ، مرجع سابق ، ص ٦٥ وكذلك يمكن الرجوع الى د• عبد الباسط محمد حسن ، مرجع مذكور ، ص ٥٨٥ ـ ٥٨٨ •

(2) C. A. Moser, Survey Methods in Social Investigation, London, Heinemann Educational Books. 1969. pp. 269-272.

تعريف المراجعة :

يقصد بمراجعة البيانات الاحصائية بصفة عامة اعادة النظر بامعان ودقة وأمانة فيما هو مدون بالاستمارات الاحصائية من بيانات وأرقام تهدف التأكد من سلامتها طبقا للتعليمات الادارية والفنية ، وحتى يمكن الحكم على صلاحيتها لاعمال التجهيز حيث تخرج منها نتائج تصور لنا الهدف من البحث تصويرا دقيقا . ويحدد لعمليات المراجعة توقيت زمنى عند رسم خطة العملية الاحصائية .

أنواع المراجعة :

١ ــ مراجعة الشمول وتتخذ مظهرين : أولهما اطار الدراسة أو مصادر المعلومات حيث يجب التحقق من عدم وجود نقص فى الاستمارات أو مفردات البحث حتى لا تتأثر النتائج النهائية بذلك . وثانيهما شمول الاستمارة لكافة البيانات المطلوبة .

٢ ــ مراجعة ميدانية ، ويقوم بها الباحث أو جامع البيانات أو المشرف على أعماله .

٣ ــ مراجعة مكتبية ، وتتم بعيدا عن مصادر المعلومات ولها ثلاث مراحل :

أ ــ مراجعة شكلية .

ب ــ مراجعة حسابية .

ج ــ مراجعة موضوعية .

المقومات الاساسية للمراجع :

١ ــ توفر الدقة والامانة فى العمل .

٢ ــ المعرفة الكاملة بالعملية الاحصائية وأهدافها ونتائجها .

٣ ــ المعرفة الكاملة بتعليمات استيفاء الاستمارة ومراجعتها .

٤ ــ تفهم التعاريف والمصطلحات المتصلة بالعملية .

٥ ــ توفر الخبرة الميدانية بالعملية .

٦ ــ توفر الخبرة بعملية جمع البيانات قبل أن يصبح مراجعا .

ومن هذه المفهومات مجتمعة يتوفر لنا المراجع الذى يمكنه أداء مهمته على الوجه الاكمل ٠

والان ننتقل الى مناقشة المراجعة الميدانية والمراجعة المكتبية بالتفصيل ٠

المراجعة الميـــدنية :

أسلوب التنفيذ :

يبدأ المراجع بمطابقة البيانات الواردة بالاستمارات ، وكذلك الارقام على ماهو مدون فعلا فى الدفاتر والسجلات بالمنشآت باعتبارها مصادر رسمية للبيانات ولذلك يطلق عليها أيضا «المراجعة المستندية» ٠

وتتم المراجعة الميدانية بالصورة الآتية :

١ ــ التحقيق من تنفيذ معدلات الانتاج اليومية ٠

٢ ــ التأكد من أن البيانات قد أتبع فى استيفائها التعليمات الموضوعة بكل دقة ، مع التأكد من صحة النقل من السجلات أو الدفاتر ، مع التركيز على البيانات التى لم تسجل بطريق السهو ٠

٣ ــ مراجعة البيانات التعريفية كالاسم التجارى للمنشاة مثلا ــ موقعها الجغرافى ــ الكيان القانونى ــ النشاط الرئيسى ٠

٤ ــ التأكد من أن كل استمارة قد دونت بياناتها عن الفترة الزمنية المأخوذ عنها البيان وليس قبله أو بعده ٠ فاذا أخذنا مثالا عمليا لذلك وهو «احصاء التوظف والاجور» نجد أن التعليمات قد نصت على أن البيانات تكون عن شهر يناير أو عن شهر يوليو وعن الاسبوع الاول الكامل من الشهر أو المدة الاولى الكاملة من الشهر أو عن الشهر نفسه ٠ ومثـال آخر هو الانتاج الصناعى السنوى للمنشاة التى يعمل بها (٥٠) مشتغـلا فاكثر ، نجد أن الفترة المأخوذ عنها البيان هى ثلاثة شهور فعلية ، بينما فى حالة المنشآت التى يعمل بها (٥٠٠) مشتغل فاكثر نجد أن الفترة الزمنية هى شهرين للبيانات الفعلية وشهر للبيانات التقديرية ٠

٥ ــ التأكد من وضع البيانات والارقام ٠

٦ ــ مراجعة مجاميع القيم بالاستمارة أفقيـا وراسيا فى حالة ما اذا

كانت البيانات خاصة بالانتاج وذلك بعد الانتهاء من المراجعة المستندية للتأكد من عدم وجود خطأ نتيجة وجود خطأ فى المفردات ٠

٧ ـ مراجعة الاستمارة كلية وذلك للربط بين بياناتها ، حيث تظهر لنا أوجه النقص فى البيانات أو التضارب بين بعضها والبعض الآخر ٠

٨ ـ التأكد من توقيع المسئول عن صحة البيانات الواردة بالاستمارة ٠

المراجعة المكتبية :

وهى احدى خطوات مرحلة تجهيز البيانات الاحصائية ، وهى اما محلية سواء فى مكاتب الاحصاء الفرعية أو الادارات الاحصائية المركزية،واما مركزية وتتم فى الادارات المركزية بالجهاز وفروعها (ادارات فرعية وأقسام) وتتم حسب تعليمات مكتوبة توزع على العاملين الذين يجب أن يجتازوا فترة تدريبية عملية كافية ٠

وتشمل المراجعة المكتبية :

أ ـ المراجعة الشكلية :

يتأكد المراجع من شمول الاستمارة لكافة البيانات المطلوبة سواء كان البيان لفظيا أو رقميا بالترتيب الآتى :

١ ـ مراجعة الارقام المسلسلة ان كانت موجودة بالاستمارة والبيانات التعريفية والتخطيطية حتى تاريخ تحرير الاستمارة ، وتوقيع المسئول عن صحة البيان ومن راجعه بعده ٠

٢ ـ اذا كانت الاستمارة تشتمل على جداول ، يراجع كل جدول شكليا للتأكد من أنها مستوفاه جميعها ، مع عدم النظر فى مدى صحة البيانات خلال المراجعة الشكلية ٠

٣ ـ اذا اكتشف المراجع نقصا فى أى بيان ، يضع علامة استفهام (؟) بقلم ذى لون مخالف بجوار النقص والتوقيع ، ومعنى هذه العلامة ضرورة الاستيفاء من المصدر الرسمى للبيان ٠

ب ـ المراجعة الحسابية :

تلى المراجعة الشكلية مباشرة وتتضمن :

١ ـ مراجعة مفردات المجاميع وليس مجاميع الارقام فقط ٠ كما انه

يجب مراجعة جميع عمليات الجمع أو الطرح ان وجدت ، ولكل بيان على حدة • فاذا أخذنا مثلا لذلك البيان الخاص باجمالى المشتغلين فى منشأة صناعية ، نجده منقسما الى أصحاب عمل ، عمال ، اداريين ، فنيين ، فيجب اذا مراجعة عملية الجمع للتأكـد من أن التفاصيل تعادل اجمالى المشـتغلين •

٢ ـ يراجع جمع العمليات الحسابية رأسيا وأفقيا مع ملاحظة أنه فى حالة بيان الكميات فانه لا يجمع رأسيا بعكس بيان القيم •

٣ ـ اذا اشتملت الاستمـارة على بيان بالمتوسـطات يجب مراجعة العمليات الحسابية بالجمع والقسمة •

ج ـ المراجعة الموضـوعية :

وتجرى على الاستمارة عن طريق الربط بـين بياناتها • ويجب على المراجع فى هذه الحالة أن يقوم بمراجعته على أساس العلاقات والارتباطات الموجودة بين بيانات الاستمارة كوحدة متكاملة ، بعكس الحال فى المراجعة الشكلية والحسابية ويجب على المراجع فى مرحلة المراجعة الموضوعية اتباع القواعـد الآتية :

١ ـ أن يكون البيان الخاص ببدء ونهاية المدة المحررة عنها الاستمارة• واقعا فى نطاق سنة الاحصاء ، ففى حالة جمع بيانات سنـوية عن الانتاج الصناعى مثلا للمنشات الصناعية التى يعمل بها (١٠) فاكثر،فان البيانات تمثل الحالة فى سنة ميلادية تبدأ فى أول ينـاير حتى آخر ديسمبر • فاذا تصادف ووجدنا منشآت لاتتفق سنتها المالية مع السنة المالية التى جمعت فيها البيانات يتم التاكد بمراجعتها بحيث يقع منها ستة شهور على الاقل خلال هـذه السـنة •

٢ ـ تراجع البيانات حسب النوع (ذكور ـ اناث) مع نوع النشاط الرئيسى ، اذ أن هناك أنشطة تقتصر على الذكور دون الاناث •

٣ ـ فى حالة المنشآت التى تستخدم مواد أولية فى الانتـاج ، تراجع كمية الوقود بالنسبة للنشاط مع مراعاة تناسب كميـاته وكمية المنتجات ،

فهناك منشآت لاتستخدم الا الوقود بينما هناك منشآت اخرى تعتمد على الكهرباء فى تشغيل آلاتها .

٤ – تراجع المبالغ التى صرفت خلال العام لمعرفة مدى تناسبها مع عدد المشتغلين .

٥ – التأكد من أن عدد العمال يفوق غالبا عدد الاداريين والفنيين والكتبة ، كما أن عمال الخدمات يكون غالبا أقل من عدد عمال التشغيل .

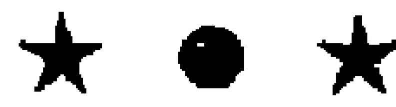
وحتى يمكن اتمام المراجعة المكتبية على أكمل وجه ، فقد جرت العادة أن يصدر بشأنها تعليمات توضح طريقة التصرف بالنسبة للحالات الشاذة التى قد يصادفها المراجع .

نستخلص من العرض السابق أن المراجعة الاحصائية مهما كان نوعها تترتب عليها المزايا الآتية :

١ – منع التضارب بين البيانات التى تجمع من مصدر واحد .

٢ – توفر درجة عالية من الدقة والثقة فى البيانات التى تصلح أساسا للدراسات والابحاث .

٣ – سرعة اصدار النشرات الاحصائية حيث أن البيانات السليمة توفر الوقت الذى يلزم لتجهيز البيانات . وأخيرا فليس الدافع اليها الشك فى أمانة المشتغلين ، بل انها نوع من أنواع الاطمئنان التى تقتضيها طبيعة العمل الاحصائى لزيادة التأكد من دقة البيانات وصحتها .



اذا تمت مراجعة المعطيات مراجعة دقيقة وأصبحت معدة للتحليل ، فان هذا يتطلب خطوات أخرى قبل بدء عملية تحليل هذه المعطيات .

ان هدف الترميز هو تصنيف الاجابات فى فئات ذات معنى ودلالة ، بحيث يوضح اتجاهها الجوهرى . وقبل أن نعرض هذا الاجراء (الترميز) فانه ينبغى التنويه هنا بأن هناك تكنيكا من تكنيكات البحث الاجتماعى وهو تحليل المضمون Content analysis الذى يعتمد على التحليل المتسق ولوصف الدقيق لمحتوى مادة الاتصال .

وهناك خطوتين لاجراء الترميز(١) .

أ ـ اطــــار الترميز The Coding Frame :

عندما تكون هنـــاك اجابات ممكنة قليلة على سؤال مـــا ، فان اطار الترميز يكون سهلا ولا يكون أية مشكلة . فسؤال مثل : هل قمت بالتدخين (سجاير) اليوم ؟ تنحصر الاجابة فى (نعم) أو (لا) أو (لا اتذكر) ، أو أن المبحوث يرفض الاجابة . او أن السؤال لم يطرح بعد ، حيث أن الاطار هنا يتحدد بنفسه . ولكن اذا لم يكن الاطار محددا لنفسه بطريقة آلية . فان هناك مشكلة وضع اجابات تسمح بالترميز بحيث يمكن الاعتماد عليها فى تفسير النتائج [illegible] والتخطيط لتحليلها . ويصدق القول اذا كانت هناك [illegible] متعددة ، اذ يمكن دمج بعض الاجـــابات فيما بينها لتعطى [illegible] واحـــدا أو متقاربا من حيث المعنى . وتعطى بالتالى مؤشرا لاطار الترميز ، او أن نجمع بعض الفئات بحيث تعطى معنى معينا يفيد التحليل . ومثال ذلك أن الفئة من ١ ـ ٦ سنوات تشير الى الاطفال الذين لم يدخلوا المدرسة بعد ؛ وفئة ٦ ـ ١٢ مرحلة ابتدائية ... وهكذا .

كما ان الاسئلة ذات الاجابة النهائية ينبغى أن تغلق بواسطة بعض المتغيرات التى تكرر استجابة المبحوثين لها .

ب ـ ترميز الاجابات Coding The Answers :

وعنـــدما يتحدد اطار الترميز ، فانه من الممكن أن تتحـــدد فئات الاجابات الترميزية . وبينما نجد هناك حالتان تتضمنان الاسئلة قبل الترميز . وكذلك [illegible] القائمين بالمقابلة الذين يحددون الرموز المستـخدمة . وهناك حالة ثالثة هى غالبا ترميز الاسئلة المفتوحة فى فئات ممكنة .

ثانيا : التفريغ اليدوى والآلى :

بعد أن يجمع الباحث البيانات التى يريدها ، قد يرى انه من المتعذر عليه ـ أو قد يكون من المستحيل ـ أن يستوعب هذه البيانات على ماهى

---

(1) Moser, Op. Cit., pp. 272-275.

علية دون تنظيم يضعها فى صورة مبسطة يسهل معه دراستها . فاذا كان الباحث يجمع بيانات عن حالة السكان ـ مثلا ـ من حيث التعليم والزواج والحالة الاقتصادية ، فانه يتعذر عليه الوصول الى الحقائق التى يبحث عنها اذا ما قام بدراسة الاستمارات واحدة بعد أخرى ، وعلى ذلك فيضطر الى البحث عن أسلوب يعرض به هذه البيانات بطريقة سهلة واضحة ، وذلك بتبويبها وتقسيمها الى مجموعات متشابهة . وطريقة التقسيم أو التصنيف تتوقف على الغرض من الدراسة(١) .

فاذا ماحدد الباحث التقسيم أو التصنيف الذى يحدد دراسته ، فانه يقوم بعد ذلك بفرز الاستمارات حسب هذا التقسيم ، ويعد مفردات كل قسم على حدة فيحصل على الارقام التى تظهر فى الجداول ، وهذه العملية يمكن اجراؤها بسهولة اذا كان عدد الكشوف صغيرا وكانت البيانات بسيطة وغير معقدة ولكنها تكون صعبة ومرهقة اذا كان عدد الاستمارات كبيرا أو كانت البيانات كثيرة ، وهنا لابد من استخدام الوسائل الآلية (آلات التثقيب والمراجعة والفرز)(٢) .

ويعتبر ترتيب البيانات وتقسيمها تقسيما يسهل ادراك ما بينها من علاقات ويوضح صفاتها ودلالتها ، هدفا لما يطلق عليه التوزيع التكرارى ، وسيلة لتصنيف البيانات التى سبق جمعها(٣) .

ويعتبر التصنيف Classification أساسى لاى نوع من أنواع التحليل العلمى . ويتحدد أساس أى تصنيف احصائى بشكل البحث من جانب ، وبالخصائص المميزة للمعطيات من جانب آخر . ومن حيث التطبيق الواقعى فانه قد يوجد أن واحد أو أكثر من المعايير (أو المحكات) التالية ، صالحا للاستخدام فى التصنيف الاحصائى(٤) :

---

(١) د. أحمد عبادة سرحان ، مقدمة الطرق الاحصائية ، مرجع سابق ، ص ٢٩ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٩ ـ ٣٠ .
(٣) د. السيد محمد خيرى . مرجع سابق ، ص ٣٩ .
(4) P. Poung, Op. Cit., p. 277.

١ ـ المحك الجغرافى ٠

٢ ـ المحك التاريخى أو الزمانى ٠

٣ ـ المحك الكيفى أو النـــوعى ٠

٤ ـ المحك الكمى ٠

متى يكون التفريغ آليا ، ومتى يكون يدويا ؟

بعد أن يتحدد التصنيف توضع الحالات الفردية أو الموضوعات الفرعية وتحسب وفقا لمختلف المحكات التى حددها التصنيف ٠ ان عملية الحصر والعد يمكن أن تجرى يدويا أو آليا ، وهذا يعتمد على عـدد الحالات أو الموضوعات وعلى هيئة البحث والمال المتاح فاذا كان عـدد الحالات قليلا نسبيا فانه يمكن اجراء الجدولة يدويا [١] ويمكن أن نضع بعض الاعتبارات التالية لتحديد التفريغ اليدوى والآلى وامكانياته[٢] :

١ ـ اذا كان عدد حالات البحث قليلا من ٢٠٠ الى ٣٠٠ حالة أو أقل، فلا يستخدم التفريغ الآلى الا قليلا ٠

٢ ـ واذا كانت أكثر الجداول المطلوبة فى البحث جـداول بسيطة ، فان التفريغ اليدوى يكون مفيدا ومناسبا ٠ وحتى اذا كانت هناك بعض الجداول المركبة (الثنائية) فانها لا تكون صعوبة ، ولكن اذا كانت معظم الجداول مركبة فيستحسن هنا استخدام التفريغ الآلى ٠

٣ ـ ان التفريغ الآلى يتطلب مهارة وتكاليف وخصوصا اذا ما قورن بما ينفق على البحـوث الصغيرة من حيث عـدد أفراد البحث ، وعـادة ما لا تكون عند الباحث نفسه القدرة المهارية على استعمال الآلات ٠ وهنا تكون عملية التفريغ تحت بصره (يدويا) حتى وان لم يكن قد قام هو بها ٠

وليست الجدولة أكثر من مجرد حصر عدد الحالات التى تقع فى كل فئة

---

(1) Ibid, pp. 277-278.

(2) Moser, Op. Cit., pp. 284.

من فئات الترميز والمراجعة . ان المراجعة والترميز من شانهما التاكد من أن المعلومات التى تتضمنها استمرات البحث الفردية مستوفاه ويمكن تصنيفها فى فئات . أما الان فان مهمة الجدولة حصر جيع الحالات الفردية معا فى فئات متجانسة لكى نحصر الذين أجابوا بمتغير معين والذين أجابوا بمتغير آخـــر(١) .

١ ـ التفريـــغ اليـــدوى :

ولوضع البيانات فى جدول تكرارى نرسم جدولا ذا ثلاثة أعمدة ، يشمل أولها الفئات وثانيها العلامات وثالثها التكرارات ، ثم نكتب فى العمـود الاول الفئات مرتبة تصاعديا أو تنازليـا ، ويفضـل فى كثير من الاحيـان الترتيب التصـــاعدى .

وبعد كتابة الفئات بالعمود الاول نعود الى البيانات الاصلية ونأخذها واحدة فواحدة وبالترتيب ، ونضع علامة بالعمود الثانى بالجـدول لكل مفردة أمام الفئة التى تقع فيهـا هذه المفردة . ومنعا لاختـلاط العلامات ببعضها البعض وتفاديا لصعوبة عدها عنـد الانتهاء من وضعها يحسن أن نضعها على صورة مجموعات كل منها مكونة من خمس علامات ، أربعة منها رأسية والخامسة مائلة بحيث تقطع الاربعة جميعها . فتصبح العلامات على صورة حزم تحتوى كل حزمة على خمس منها ، فتدل على خمس مفردات من المجموعة . ويسهل عدد العلامات فى النهاية . واذا ما انتهينا من وضع علامات بدلا من جميع المفردات ملأنا العمـود الاخير من الجـدول بعدد العـلامات الموجـودة فى كل فئة . ولضـمان دقة وضع العـلامات تجمع التكرارات فى العمود الاخير لنحصل على التكرار الكلى الذى يجب أن يطابق العدد الاصلى لمفردات المجموعة . ولو أن هـذا لايدل على أكثر من أننا أخذنا جميع المفردات فعلا . فهو لاينفى احتمال وضع علامة أو أكثر فى غير مكانها الصحيح من الفئات(٢). وهذه الطريقة كانت شائعة قبل استخدام واكتشاف الجدولة الآلية . وتتطلب وضع جداول فارغة تعد تتضمن أعمدة

---

(1) Ibid., p. 280.

(٢) د. حسن محمد حسين ، البحث الاحصائى ، مرجع مذكور ، ص ٤٩ .

وخطوطا ، ومثال ذلك الجدول التالى الذى يوضح التوزيع التكرارى لعدد ٢٦٥ طالبا فى جامعة واشنجتون حسب الوزن(١) .

جدول يوضح كيفية التفريغ اليدوى بطريقة الحزم

الوزن	الجـــدولة	التكرار
٩٠ – ٩٩	|	٢
١٠٠ – ١٠٩	|	١
١١٠ – ١١٩	𝍸 ||||	٩
١٢٠ – ١٢٩	𝍸 𝍸 𝍸 𝍸 𝍸 𝍸	٣٠
١٣٠ – ١٣٩	𝍸 𝍸 𝍸 𝍸 𝍸 𝍸 𝍸 𝍸 ||	٤٢
١٤٠ – ١٤٩	𝍸 𝍸 𝍸 𝍸 𝍸 𝍸 𝍸 𝍸 𝍸 𝍸 𝍸 𝍸 𝍸 |	٦٦
١٥٠ – ١٥٩	𝍸 𝍸 𝍸 𝍸 𝍸 𝍸 𝍸 𝍸 𝍸 ||	٤٧
١٦٠ – ١٦٩	𝍸 𝍸 𝍸 𝍸 𝍸 𝍸 𝍸 ||||	٣٩
١٧٠ – ١٧٩	𝍸 𝍸 𝍸	١٥
١٨٠ – ١٨٩	𝍸 𝍸 |	١١
١٩٠ – ١٩٩	|	١
٢٠٠ – ٢٠٩	|||	٣
	المجموع الكلى للحـــالات	٢٦٥

وهناك طريقة أخرى للتفريغ اليدوى ، وعلى أساسها يوضع جدول التفريغ متمثلا جميع البيانات . ويوضع فى العمود الاول رقم الاستمارة . وهكذا تفرغ بيانات كل استمارة على حدة ، وفى هذا يعد الباحث استمارة تفريغ البيانات ويطلق عليهـا Master Sheet . وعادة ماتحرر هــذه الاستمارة على ورق المربعات حتى تسهل عملية التفريغ ، ويقوم الباحث بتقسيم هذه الاستمارة الى محورين(٢) :

(1) Young., Op. Cit., p. 278.

(٢) د. جمال زكى ، والسيد يسن . مرجع مذكور ، ص ٤٢٨ .

المحور الاول : ويشمل رؤوس الجداول التى تندرج تحتها جميع البيانات التى جمعها ٠

والمحور الثانى : ويشمل أرقام استمارات جمع بيانات بحثه ٠

جدول يبين طريقة التفريغ لكل استمارة مفردة(١)

رقم الاستمارة	السؤال (١)				السؤال (٢)		السؤال (٣)				السؤال (٤)
	التركيب العمرى				الجنس		درجة التعليم				٠٠ الخ ٠٠
	٠ - ٦	٦ - ١٢	١٢ - ٢٤	٢٤ فاكثر	ذكر	انثى	امى	مرحلة اولى	مرحلة متوسطة	مرحلة عالية	- -

هذا ويطلق على الجداول السابقة الذكر «جداول التفريغ» حيث يجب أن يكتب عنوان كل جدول ووحداته ومصدره ٠ والجدول السابق يسمى جدولا بسيطا لان البيانات موزعة حسب صفة واحدة٠وهناك الجدول المزدوج وهو الذى يبين توزيع البيانات حسب صفتين فى نفس الوقت ، وفيه تمثل الصفوف تقسيمات احدى الصفتين بينما تمثل الاعمدة تقسيمات الصفة الاخرى ، ويطلق على هذا الجدول اسم الجدول المزدوج ٠ وفى بعض

(١) عن المرجع السابق ، ص ٤٢٩ ٠

الحالات تعرض البيانات فى جدول يكون التوزيع فيه لاكثر من صفتين ويسمى بالجدول المركب(١) .

٢ - التفريغ الآلى :

أما جدولة المعطيات والبيانات آليا ، فعلينا أن نحولها الى بطاقات عن طريق تثقيب Punching كل معلومة .

ويعتمد تثقيب البطاقات على نظام محدد للترميز Coding ، وبعد عملية التثقيب هذه ، توضع البطاقات فى آلات لحصر الحالات وتصنيفها فى فئات ، ثم فى آلات لجدولتها(٢) . وسنعرض فيما يلى صورة لبطاقة التثقيب الآلى ، ثم نعقب هذا بعرض وصفى موجز للالات التكنولوجية المستخدمة فى التفريغ والجدولة الآلية(٣) .

١ - آلـة التثقيب Puncher :

وهى آلة الغرض منها تسجيل البيانات على بطاقات من حجم خاص وترتيب معين بواسطة ثقوب . وكل بطاقة عبارة عن مستطيل من الورق المقوى مقطوع من احدى زواياه لتسهيل وضع البطاقات جميعها فوق بعضها البعض بحيث تكون كلها فى اتجاه واحد . وكل بطاقة مقسمة الى عدد من الاعمدة يختلف باختلاف حجمها ، فقد تكون من الصغر بحيث لاتحوى أكثر من ٢١ عمودا أو من الكبر بحيث تحوى أعمدة فوق المائة . وفى كل عمود مطبوعة الارقام العشرية من صفر الى ٩ رأسيا على مسافات متساوية ، وفوق هذه الارقام فراغ يستخدم للعددين ١١ ، ١٢ فوق بعضهما على نفس المسافات المتساوية من أسفل الى أعلى ، وفى أسفل كل عمود مطبوع بحروف صغيرة رقم العمود نفسه بالنسبة للاعمدة الاخرى بالبطاقة .

وآلة التثقيب اليدوية تحتوى على اثنى عشر مفتاحا مرقمة من صفر الى ١٢ ماعدا العشرة ، ومفتاح للمسافات ، ومفتاح للقفز ، كما تحتوى

---

(١) د. أحمد عبادة ، مرجع سابق ، ص ٣٢ - ٣٣ .
(2) P. Young, Op. Cit., p. 278. & Moser. Op. Cit., PP, 281-282.
(٣) د. حسن محمد حسين ، مرجع مذكور ، ص ٥٥ - ٦٢ .

رقم المسجون

مصلحة السجون
إدارة السجلات والإحصاء

بطاقة المسجونين

تاريخ وفاء المدة

تاريخ الإفراج الشرطي

مجموع الأحكام

رقم السجن

صورة لكارت التفريغ الآلي

ايضا على اطار متحرك يحمل البطاقة فتوضع البطاقة فى هذا الاطار ثم ينزلق الاطار الى موضع بدء العمل ، وتبدأ الضغط على المفاتيح المناسبة الواحد تلو الآخر . فكلما ضغطنا أحد المفاتيح تحركت معه رافعة محدثة فى البطاقة ثقبا فى العمود أسفلها على نفس الرقم المكتوب على المفتاح المضغوط ، ثم يرفع الضغط عن المفتاح فينزلق الاطار ومعه البطاقة الى الخارج مسافة عمود واحد حتى يحدث الثقب الناتج من الضغط التالى فى العمود التالى . واذا أردنا ترك أحد الاعمدة دون أى ثقب فاننا نضغط على مفتاح «المسافة» . واذا انتهينا من التثقيب فى أعمدة البطاقة وأردنا ترك باقيها دون تثقيب ضغطنا على مفتاح [illegible] فينزلق الاطار الى نهاية المسافة كلها دفعة واحدة وتظهر البطاقة خارج الآلة فنتمكن من استخراجها منهـــــا .

٢ ـ آلـــة المراجعة Verifier :

ولما كان من المتوقع أنه قد يخطىء القائم بعملية التثقيب أحيانا فيضع الثقب فى غير موضعه ، ابتدعت وسائل لتلافى ذلك ، وأن يعاد تثقيب كل بطاقة بواسطة آلة تسمى «آلة المراجعة» تشبه تماما آلة التثقيب فى كل شىء ماعدا موضع الثقب فهو [illegible] حيث يتطابق الثقبان الاصلى والجديد على بعضهما تماما فيكون الثقب الجديد بشكل خاص اذا كان التثقيب صحيحا ، أما اذا كان التثقيب الاصلى خاطئا فتبدو فى العمود الذى به الخطأ ثقبين منفصلين متباعدين ، الثقب الاصلى وهو ناتج عن آلة التثقيب الجديد وهو ناتج عن آلة المراجعة . وهذا يلفت النظر الى موضع الخطأ ويساعد على تصحيحه .

٣ ـ آلـــة الفـــرز Sorter :

للاستفادة من هذه البطاقات بعد تثقيبها ومراجعتها لابد من الاستعانة بأسلوب ميكانيكى آخر يقرأ لنا هذه البيانات ويستخرج لنا منها مانريد ، وذلك باستخدام آلة الفرز التى تفصل لنا البطاقات عن بعضها البعض وفقا لمواضع الثقوب فى أى عمود من أعمدتها .

هذه الآلة تحتوى على مستودع توضع فيه البطاقات المراد فرزها جميعا ، كما تحتوى على عيون مختلفة عددها ١٢ وتحمل نفس الارقام التى يحملها

كل عمود من أعمدة البطاقة ، وعين أخرى اضافية للبطاقات التى لا تحتوى ثقوبا بالمرة فى العمود الذى نجرى الفرز بالنسبة اليه ، أى أن آلة الفرز تمكننا من تحليل البطاقات فى مجموعات أو تتابعات وفقا للمطلوب .

٤ ـ آلـة التبـويب **Tabulator** :

نحتاج أحيانا الى اثبات بعض البيانات بالبطاقات المفروزة فى صورة كتابية ، ولاجراء ذلك نستخدم آلة خاصة تسمى (آلة التبويب) . وهذه الآلة تحتوى أيضا على مستودع توضع فيه البطاقات ، وعدة روافع تحمل الارقام المختلفة وعددها يساوى عدد الاعمدة بالبطاقة،فعندما تمر البطاقة خلال الآلة تتحرك هذه الروافع وتضغط على شريط ملون تحته ورقة تمر فوق اسطوانة بحيث تطبع الورقة أرقاما تدل على مواضع الثقوب فى الاعمدة المختلفة .

ويمكن لهذه الآلة تصميم توصيلاتها بحيث تقوم بكتابة البيانات عن بعض الاعمدة دون بعضها الآخر ، أو تبويب البيانات بترتيب خاص ، أو تقوم بعمليات جمع أفقيا أو رأسيا .

ثالثا ـ العرض الجدولى والبيانى :

بعد جدولة المعطيات تصبح الخطوة التالية وضع هذه المعطيات أو جزء منها على الاقل فى جداول احصائية . والجداول الاحصائية عبارة عن اختزال للاحصاءات ، وليست هناك أية مشكلة احصائية تخضع للدراسة دون أن تحتاج الى جداول . ولذلك تكمن أهمية الجداول الاحصائية والعمليات الاحصائية(١) .

وهناك مجموعة من الشروط يجب توافرها فى الجدول الاحصائى منها(٢) :

---

(1) P. Young., Op. Cit., p. 283.

(2) Ibid., P. 234.

وكذلك أ.د. عبد الباسط حسن ، مرجع مذكور ، ص ٥٩٣ .

١ ـ لابد أن يكون لاى جدول عنوان واضح وموجز مناسب •

٢ ـ لابد أن يكون لكل جـدول رقم بحيث تسهل عملية الرجوع اليه مرة أخرى •

٣ ـ لابد أن يكون هناك وضوح وايجاز فى العبارات التى تدل على كل عمود وكل خط افقى فى الجدول •

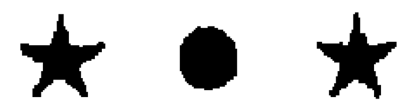
٤ ـ اذا كانت هناك أية تفسيرات توضح فى حاشية الصفحة التى يوجد فيها الجدول مباشرة ، على أن يشار الى هذه التفسيرات بدون أرقام ـ مثلما هو الحال فى الحاشية العادية ـ وانما باشارات مثل * أو × أو •

٥ ـ اذا كانت معطيات الجدول مقتبسة من أكثر من مصـدر ، فانه يجب الاشارة الى المصادر المحددة أسفل الجدول مباشرة •

٦ ـ يجب أن ينفصل كل عمود عن الاخر بواسطة خط واضح •

٧ ـ أحيانا ترقم الاعمدة لتسهيل الرجوع اليها •

ولقد سبقت الاشارة الى الجداول المستخدمة فى تفريغ البيانات • واذا نظرنا الى جدول التفريغ اليدوى فاننا نجده يوضح التكرارات القائمة فى كل فئة محددة ،وهذا الجدول يعتبر جدولا بسيطا • الا اننا قد أشرنا أيضا الى أن هناك جدولا مزدوجا يربط بين متغيرين • كما أن هناك ـ كذلك ـ جداول احصائية مركبة أو معقدة تربط بين أكثر من متغيرين •



اذا توفرت لدينا مجموعة من البيانات فانه يلزم تنظيمها بطريقة تساعد على الالمام بها والاستفادة منها ، فقد يجد بعض الناس صعوبة ظاهرة فى فهم أو تتبع مجمـوعة من الارقام اذ لا يستهويهم العرض بالارقـام ، هذا بينما نجد أن الرسوم التوضيحية تساعد على تفهم الظاهرة المدروسة بمجرد النظر اليها • واستخدام الرسوم والاشكال البيانية شائع ، وكثيرا مانلاحظه فى النشرات والاعلانات ولذلك تختلف هذه الرسوم والاشكال البيانية التى يمكن استخدامها فى العرض البيانى باختلاف البيانات المراد عرضها(١) •

---

(١) أحمد عبادة سرحان ، مقدمة فى الاحصاء الاجتماعى ، مرجع سابق ص ٧٤ •

ويستعمل فى الرسم التوضيحى أو البيانى محوران متعامدان يطلق على المحور الافقى المحور السينى والمحور الراسى المحور الصادى ، ويطلق على نقطة تقابلهما نقطة الاصل أو الصفر ، وتكون قيم (س) على يمين نقطة الاصل دائما موجبة وتزيد قيمتها كلما بعدت عنها ٠ وسالبة على يسار نقطة الاصل ، وتزيد قيمتها السالبة كلما بعدت أيضا عنها ، أما فى المحور الصادى فتكون القيم الموجبة هى التى فوق نقطة الاصل ، والقيم السالبة هى التى تحتها ٠ ولا يشترط مطلقا أن نعبر فى الرسم عن كل وحدة فى القيم بمسافة طولها سنتيمترا واحدا ٠ بل قد نضطر فى كثير من الاحيان الى التعبير عن كل وحده بجزء من السنتيمتر أو أكثر من سنتيمتر ، فاختيار الوحدات يتوقف على حيز الحجم الذى نرسم فيه والقيم التى نريد تمثيلها ، ولكن من المستحسن أن يكون عرض الرسم أكبر قليلا من ارتفاعه[١] ٠

ونعرض فيما يلى أهم الاشكال والرسوم البابينية على أن نعقب ذلك بكيفية رسم كل شكل منها ٠

١ ـ الخط البيانى :

يستخدم الخط البيانى لتوضيح سير ظاهرة ما خلال فترة من الزمن ، ويمثل المحور الافقى (محور س) الزمن مثلا ويمثل المحور الراسى (محور ص) قيم الظاهرة ٠ وعادة ما يسمى الزمن (المتغير على محور س) بالمتغير المستقل ، وتسمى قيم الظاهرة (المتغير على محور ص) بالمتغير التابع[٢] ٠

٢ ـ الاعمدة البيانية :

وهى عبارة عن أعمدة راسية تتناسب ارتفاعاتها مع الاعداد التى تمثلها الاعمدة ، وتكون قواعدها متساوية ٠ ويؤخذ المحور الافقى عادة ليمثل الصفة المميزة ، ويؤخذ المحور الراسى ليمثل القيم المختلفة[٣] ٠

---

(١) السيد محمد خيرى مرجع سابق ، ص ٤٩ ـ ٥٠ ٠
(٢) د٠ أحمد عبادة سرحان ، مقدمة فى الاحصاء الاجتماعي ، مرجع مذكور ، ص ٧٤ ٠
(٣) المرجع السابق ص ٨٣ ٠

٣ ـ الرســوم الـدائرية :

اذا كانت البيانات التى لدينا عبارة عن مجموع عام مقسم الى أجزائه الفرعية فيمكن تمثيل الجملة العمـومية بالمسـاحة الكلية لدائرة وتقسم الدائرة الى قطاعات تتـلاقى فى المركز بحيث تكون متناسبة مـع المقادير الجزئية التى تكون الجملة العمـومية ، وتميز هذه القطاعات بالوان أو تظليل مختلف ٠

ولما كانت الزاوية المركزية فى الدائرة هى ٣٦٠° فـان ١٪ من مساحة الدائرة يمثله قطاع زاويته المركزية ٦ر٣° ، وعلى ذلك فيمكن تمثيل أجزاء المجموع الكلى بقطاعات مساحة كل منها عبارة عن النسبة المئـوية لهذه الاجزاء بالنسبة الى المجموع الكلى(١) ٠

٤ ـ المدرج التكرارى (الهيستجرام) :

وفى هذا الشكل نرسم محورين متعامدين ونأخذ المحور الافقى ـ عادة ـ لتمثيل الفئات والمحور الرأسى لتمثيل التكرارات ، ثم نقسم المحور الافقى الى أقسام متساوية بمقياس رسم مناسب يكفى لتمثيل الفئـات ، ونقوم بتدريج المحور الرأسى حسب مقياس رسم مناسب ـ ليس ضروريا أن يكون نفس مقياس رسم المحور الافقى ـ بحيث يسمح بظهور قيمة أكبر تكرار فى الجدول ٠ ونرسم على كل فئة مستطيلا يتناسب مع التكرار الخاص بالفئة (وتمتد قاعـدة المستطيل على المحـور الافقى من أول الفئة الى آخرها) فنحصـل بذلك على شكل هـو عبارة عن مستطيـلات متلاصـقة تسمى بالهيســتجرام Histogram أو المدرج التكرارى ٠ وهو يمثل التوزيع بالجدول التكرارى بشـكل هندسى (كما تدل عليه العـلامات فى جـدول التفريـــغ)(١) ٠

٥ ـ المضـــلع التكرارى :

اذا مـا أردنا تمثيل توزيعـين بيانيا على نفس المحـور وذلك برسم

---

(١) المرجع السابق ، ص ٨٨ ٠
(٢) المرجع السابق ، ص ١١٩ ـ ١٢٠ وكذلك مرجع مذكور ص ٢٨٥ ٠

المتناظرة تتداخل بعضها فى بعض مما يصعب معه اجراء المقارنة والتمييز مدرجيهما التكراريين وحاولنا المقارنة بينهما ، فاننا نجد أن المستطيلات بين التوزيعين . ولذلك فاننا نلجأ الى تمثيل كل توزيع بما يسمى بالمضلع التكرارى Frquency Polygon .

وفى هذا الشكل نقوم بتقسيم المحورين كما فى حالة المدرج التكرارى تماما ثم نحدد مراكز (منتصفات) الفئات على المحور الافقى ونرصد نقط احداثياتها الافقية هى مراكز للفئات ، واحداثياتها الرأسية هى التكرارات المتناظرة ، وتصل هذه النقطة مستقيمات فنحصل على المضلع التكرارى ، وهنا اعتبرنا أن التكرارات فى كل فئة تتجمع (أو تتركز) عند مركز الفئة تماما ـ ويحسن اقفال المضلع التكرارى مع المحور الافقى ، وذلك بأن يفترض وجود فئة قبل الفئة الاولى بالجدول وتساويها فى الطول وكذلك فئة أخرى تالية للفئة الاخيرة وتساويها فى الطول وتكرار كل من هاتين الفئتين = صفرا ، فاذا رسمنا النقطتين الممثلتين لهاتين الفئتين فانهما يقعان على محور (س) عند مركزى الفئتين ، وبتوصيلهما بطرفى المضلع يتم قفله .

ويلاحظ أن المضلع التكرارى يمكن رسمه من المدرج التكرارى ، فنأخذ منتصفات القواعد العليا للمستطيلات فى المدرج التكرارى ونصلها بمستقيمات فنحصل على المضلع التكرارى(١) .

٦ ـ المنحنى التكرارى :

وهناك طريقة أخرى لتمثيل التوزيعات التكرارية فى شكل هندسى واضح وذلك برسم المنحنى التكرارى الذى نحصل عليه بتمهيد خطوط المضلع المنكسرة . ولرسم المنحنى التكرارى نرسم فقط المضلع التكرارى ونمهد الخطوط المنكسرة التى تصل بين هذه النقط ، وقد يكون هذا التمهيد باليد أو بطرق رياضية . ولا يشترط أن يمر المنحنى بجميع رؤوس المضلع التكرارى(٢) .

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٢٢ .
(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٣ ـ ١٢٥ .

مزايا الرسوم البيانية :

١ ـ البساطة فى قراءة البيانات وخاصة اذا كان عدد المشاهدات كبيرا .

٢ ـ سهولة تذكر النتائج ، اذ من المعروف أن الرسوم تعطى فكرة أكثر ثباتا من الارقام أو الكلمات .

٣ ـ امكان توضيح أو تاكيد بيان ما ، وذلك عن طريق استخدام الالوان أو أى طريق آخر ، فمثلا يمكن استخدام اللون الاحمر لتوضيح بيان هام له خطورته .

٤ ـ جذب الانتباه ، فمن المسلم به أنه اذا أحسن رسم شكل بيانى فمن السهل أن يجذب اليه الانتباه ويعلق بالذاكرة ، بينما مهما أحسن عرض الجداول فقد لا يهتم بها الكثيرون(١) .

عيوب الرسوم البيانية :

١ ـ التضحية فى دقة البيانات اذ أن الاشكال ، اذ توضح فقط التغيرات العامة ولا تبين التفاصيل الكاملة الدقيقة ولذا يحسن دائما ارفاق الجدول مع الرسم .

٢ ـ أحيانا تكون الرسوم معقدة ـ اذا كانت تشتمل على مجموعات من البيانات المختلفة ـ أو كثيرة التكاليف اذا كانت تحتوى على بيانات تحتاج الى مقاييس رسم كبيرة .

ويجب أن ننوه هنا أنه لابد أن يكون لكل شكل بيانى عنوان يبين ماهية بيانات الشكل وكيفية تصنيفها ومكانها وزمانها . ولا بد من ذكر مصدر البيانات فى أسفل الشكل(١) .

وسوف نعرض فيما يلى الرسوم البيانية السابق الاشارة اليها .

---

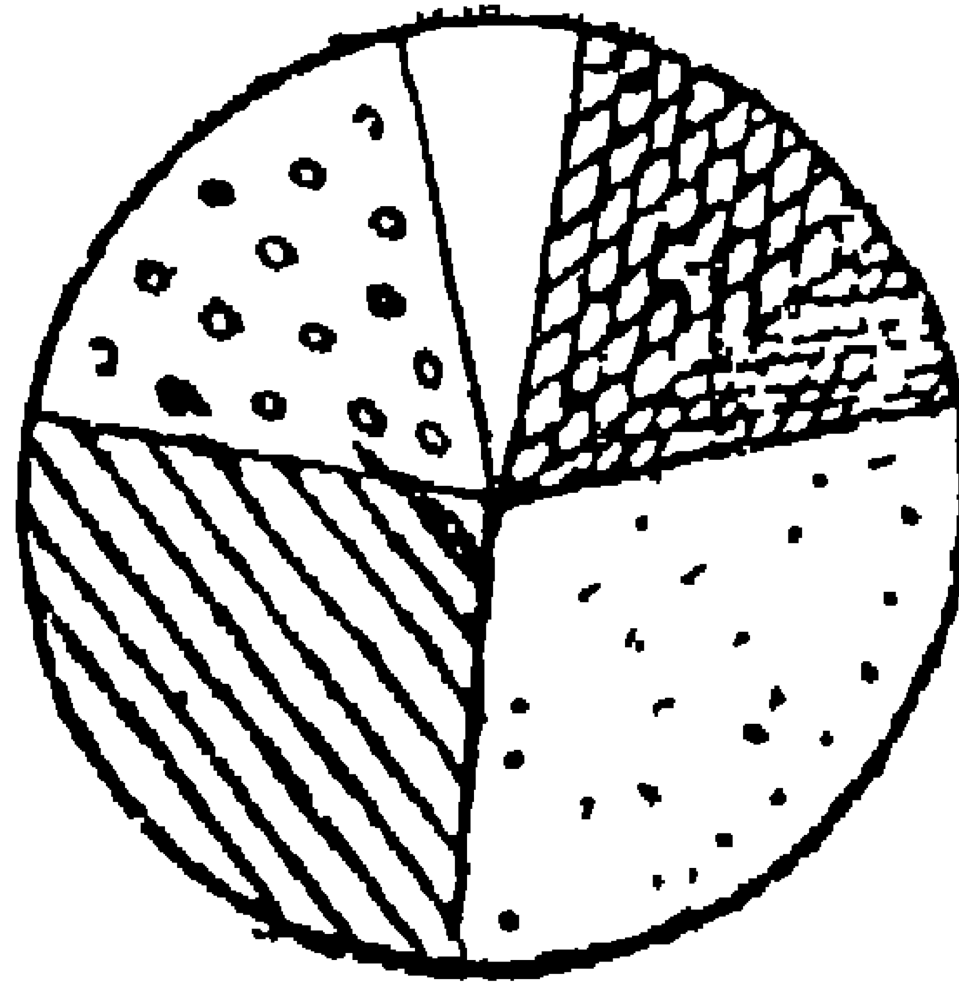
(١) المرجع السابق ، ص ٩٣ .
(٣) المرجع السابق ، ص ٩٤ .



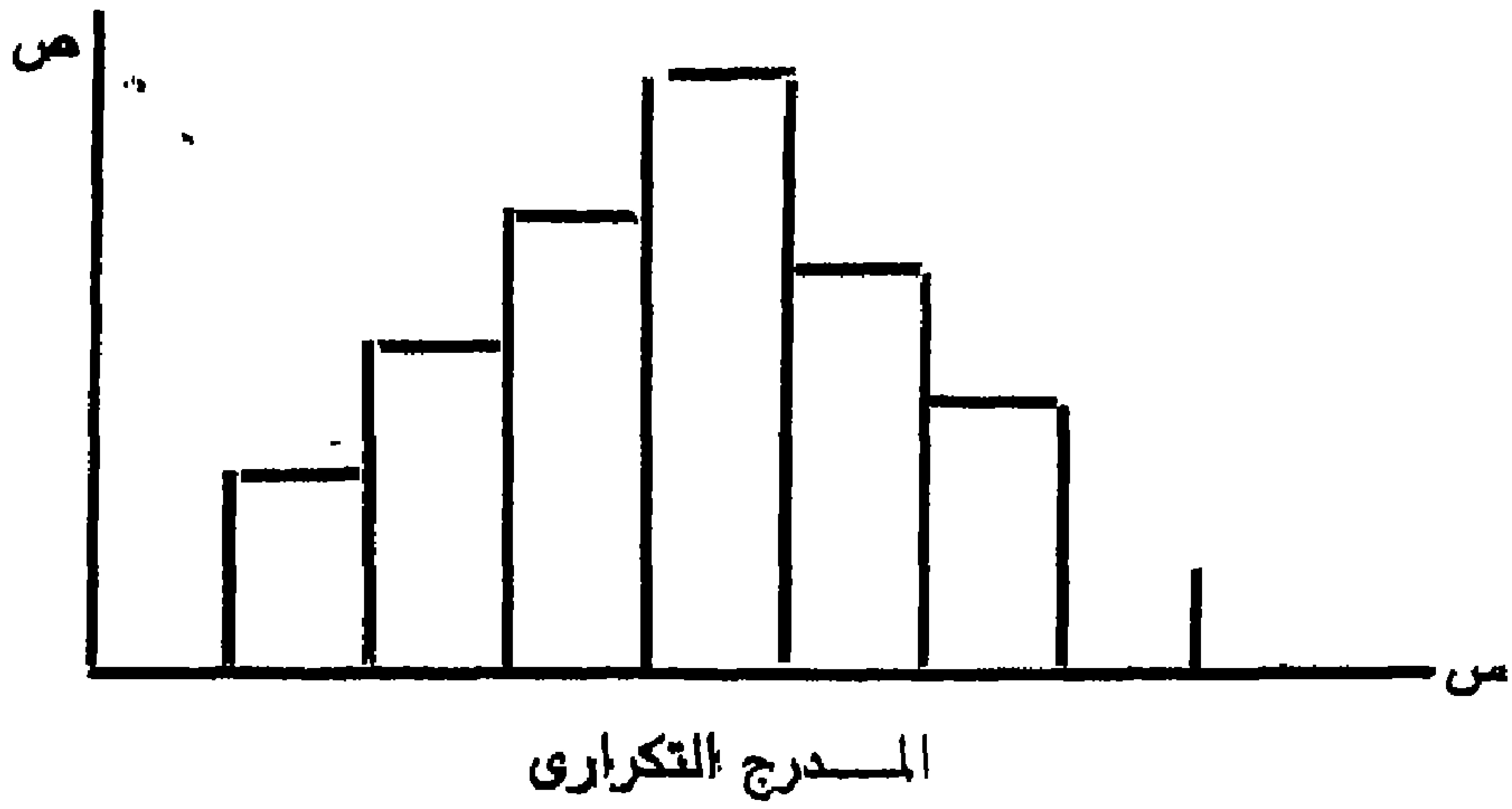
الخــط البيـــانى



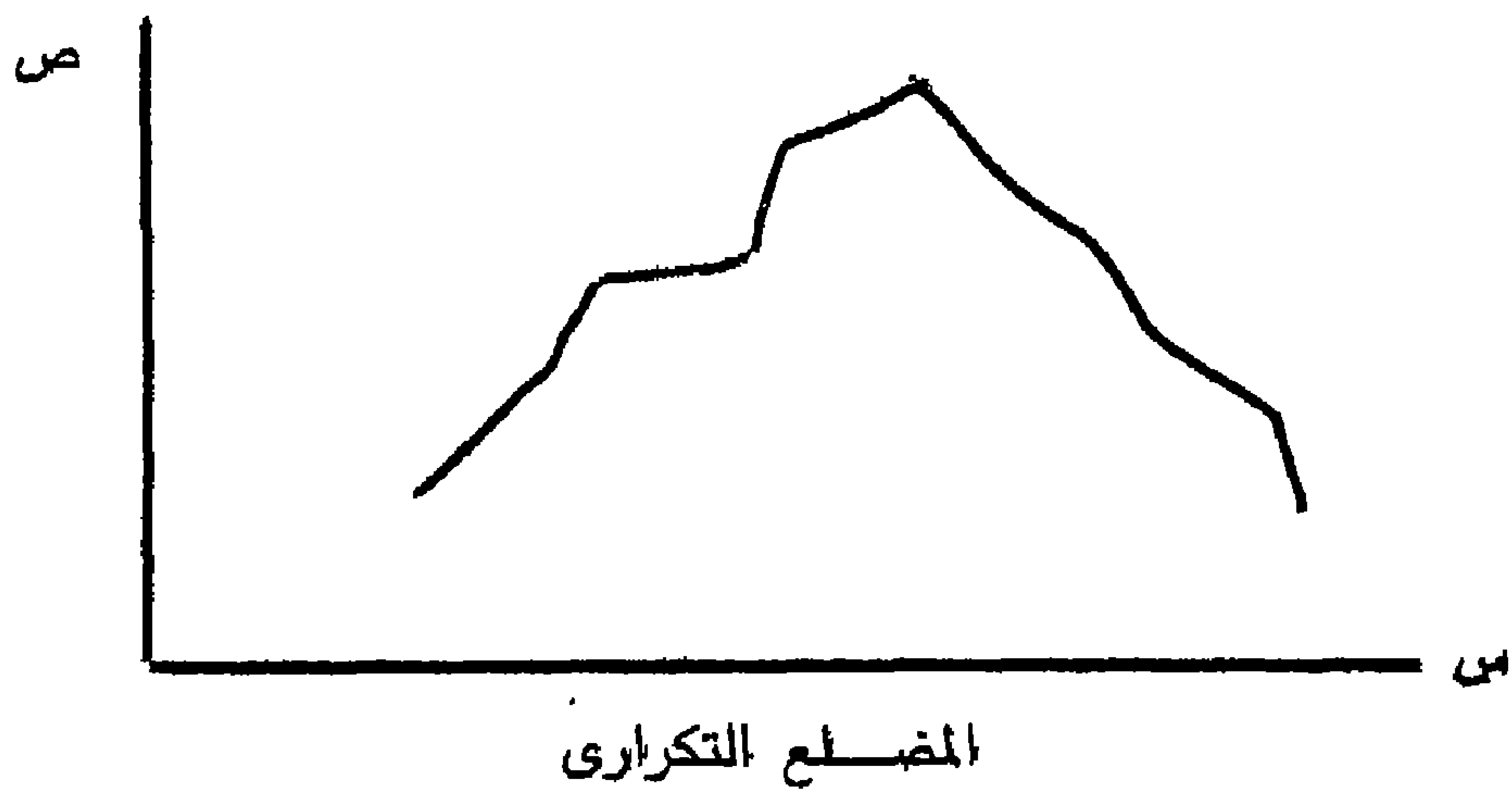
الاعمـــدة البيـــانية



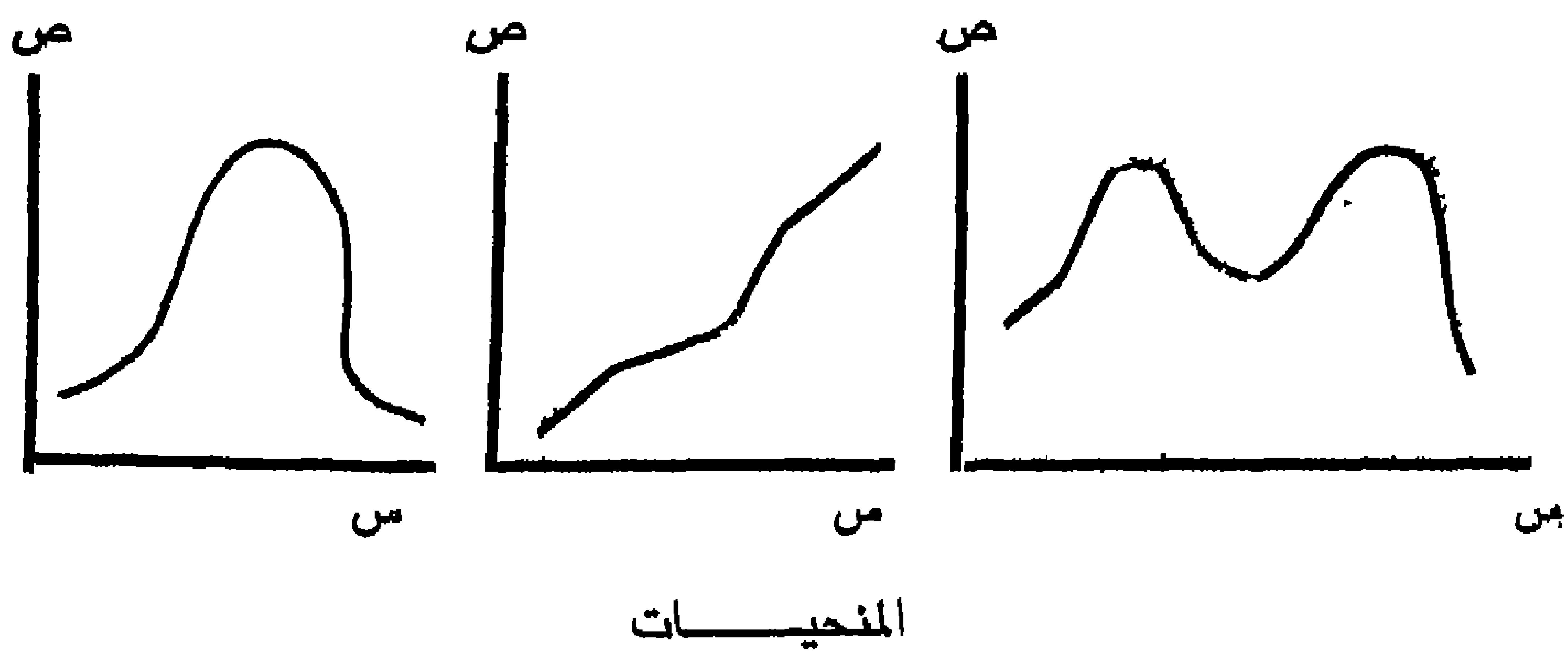
الرسم الدائرى



المدرج التكرارى



المضـــلع التكراري



المنحيـــــات

الفصل الثالث عشر

تحليل البيانات وتفسيرها

أولا : أهمية التحليل والتفسير فى العلوم الاجتماعية ·

ثانيـا : التحليل النوعى الكيفى ·

ثالثـا : التحليل الاحصائى الكمى ·

رابعـا : مقاييس النزعة المركزية ·

خامسا : مقاييس التشتت ·

سادسا : مقاييس الارتباط ·

سابعا : مقاييس الدلالـــة ·

تحليل البيانات وتفسيرها(*)

التحليل Analysis كلمة يونانية معناها «فك كل مركب الى اجزائه» ويقابلها فى الفلسفة «التركيب» الذى يعنى بناء كل من أجزائه . وعلى ذلك فالتحليل فى العلم وان كان يستند الى المعنى السابق ، فهو فى جوهرة يعنى تصنيف مكونات الظاهرة ، أو الوقائع التى تم جمعها عنها . وتبدو أهمية التصنيف فى عبارة هوايت هيد الشهيرة بأن «التصنيف نصف الطريق الى الحقيقة» . واذا كان التحليل يعنى تقسيم الظاهرة المعقدة وتصنيفها الى الاجزاء التى تكونها ، فهذا جدير بتوضيح جوهر الظاهرة وبنائها . لان توضيح مكوناتها وتحديد عناصرها يمكن الباحث من فصل العناصر الجوهرية وتمييزها عن تلك العرضية ، ويحدد العناصر المطردة ويميزها عن العناصر الطارئة . كما يحدد العناصر الاساسية ويفصلها عن الفرعية . وبالتالى يتمكن من معرفة العلاقات القائمة بين الاجزاء المختلفة للظاهرة . واذا كان للتصنيف العلمى فئات أساسية فان تحديدها يعتمد على النظرية الموجهة للبحث ، وعلى فروض البحث وأهدافه ، ونوعية المجتمع الذى يتعامل معه الباحث . وهناك مجموعة من الشروط التى ينبغى مراعاتها عند تحديد فئات التحليل ، سواء كان التحليل كيفيا أو كميا كتحليل المضمون أو التحليل الاحصائى . ومن هذه الشروط(١) :

١ ـ أن يكون معيار أو أساس اقامة الفئات واحدا بقدر الامكان .

(*) اعد هذا الفصل أ.د. غريب سيد أحمد .

(١) غريب سيد أحمد وعبد الباسط محمد ، البحث الاجتماعى : الجزء الاول : المنهج والقياس، دار الكتب الجامعية، ١٩٧٤، ص ٤٧ ـ ٤٨ .

٢ ـ أن تكون الفئات شـاملة ٠ بمعنى امكـانية تصنيف البيانات فى كـل فئـــة ٠

٣ ـ أن تكون كل فئة جامعة مانعة بقدر الامكان ٠

وهناك جانب آخر له أهميته فى عملية التحليل ، وهو ذلك الذى يتعلق بتعيين وحدة التحليل التى يمكن التمييز فيها بين وحدات صغرى تركز على أصغر عناصر الظاهرة ٠ ووحدات أكثر كثيرا من سابقتها حتى تصل الى البناء الاجتماعى ككل ٠ والذى تجدر الاشارة اليه فى هذا الصدد أن مسالة وحدة التحليل ، تتحدد أولا بنـوعية العلم الذى يتخصص فيه البـاحث ، فمن المعروف ـ مثلا ـ أن علم الاجتماع يعتبر «الجمـاعة الاجتمـاعية» اصغر وحدة للتحليل ، وان درس الافراد فانما يدرسهم لالقاء مزيـدا من الضوء على الجماعة وبنائها ، وهو فى هذه الحالة لا يتعـامل معهم كافراد وانما كاعضاء اجتماعيين أو اشـخاص ٠ هذا بعكس الحال فى علم النفس الفردى الذى يعتبر «الفرد» وحدة صغرى للتحليل وربمـا كبرى فى وقت واحد ٠ وان درست الجماعة الاجتماعية فى علم النفس الاجتمـاعى ، فذلك لانها سياق أو اطار يؤثر فى استجابة الافراد وفى بناء الشخصية ٠ وتتحدد وحدة التحليل ـ ثانيا ـ داخل التخصص الواحد أو العلم الواحـد تبعا للنظرية التى يتبناها البـاحث ، فمن المعروف ـ مثـلا ـ أن الطبقة الاجتمـاعية Social Class وحدة التحليل ،اذ تحتل مكانة هامة فى المادية التاريخية ، فى حين أن تحليل نواتج الوظائف الاجتماعية لمكونات البناء الاجتماعى ، وتحليل الفعل الاجتماعى Social Action فى نظرية الفعل التى قدمها بارسونز T. Parsons يركز على عنـاصر هذا الفعل الذى يتضمن فاعـلا Actor وغاية End وموقفا اجتماعيا Social Situation يحوى الوسائل والظروف والموجهات التى تحدد مسارات الفعل كى يفى بمتطلبات النسق الاجتماعى ٠ وهكذا تتحدد وحدات التحليل العلمى بالاطار المرجعى الذى يرتكز عليه الباحث فى دراسته(١) ٠

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٩ ـ ٥٠ ٠

ان التحليل ــ بلغة سهلة ــ هو تصنيف مكونات الظاهرة الى عناصرها الجزئية أما التفسير فهو تعليل أو تبرير كيفية وجود هذه العناصر على هذا النحو المركب ٠ وسوف نعرض فيما يلى الى ثلاث نقاط نعتبرها جوهرية فى عملية التحليل ، **أولهما** : أهمية التحليل ونوعيته فى العلوم الاجتماعية ٠ **وثانيها** : التحليل الاحصائى ودلالاته ، **وثالثها** : التحليل الكيفى والنوعى للظاهرة الاجتماعية ٠

أولا : أهمية التحليل فى العلوم الاجتماعية :

منذ نهاية القرن الماضى اهتم علماء الاجتماع بالتعميمات المجردة ، ويتضح ذلك بصورة واسعة المدى وذائعة الانتشار ٠ وفى هذا لم يستفد علماء الاجتماع بما حققته علوم اجتماعية أخرى فقط ، ولكنهم أيضا حاولوا أن يطوروا أنفسهم بحرية لكى يكونوا مستعدين لصياغة بعض التعميمات التى وجدوها فى تراث علم الحيوان Zoology والانثربولوجيا وعلم النفس والتاريخ والاثنولوجيا Ethnology والاقتصاد وغيرها ٠ مختارين من بين هذه العلوم ما يمكن الرجوع اليه والتأليف بينه ككل دون اختبار مدى حقيقته ، حيث أنهم ــ فى الواقع ــ كانوا يحاولون هذا واضعين فى اعتبارهم أنهم غير متخصصين فى هذه العلوم التى يستطلعونها ٠ وهم اذ يستخدمون أحيانا مادة علمية محسوسة فانها حقا سوف تساعدهم فى تفسير نظرياتهم أكثر من اختبار مدى صدقها(١) ٠

ان القضايا العامة تصبح نظريات فى علوم الطبيعة ، فبين وصف عملية كميائية خاصة أو نبات معين ، وبين صياغة قانون عام لنوع محدد من العملية الكيمائية أو تعميم أنواع (فصائل) النباتات جميعها ، يصبح الفصل واضحا ولا يمكن أن يكون مخطئا ٠ وعلى العكس من ذلك فى علم الاجتماع فان موضوعه ليس بهذه البساطة ، حيث تعميمات متعددة تدور حول البشرية وتعتمد على المادة العلمية التى يدرسها عالم الاجتماع باعتبارها

---

(1) Florian Znaniecki; The Method of Sociology, New York, Farrar and Rinchart, Inc., 1934, pp. 26-27.

مادة علمية ، وليست كنظريات يمكن قبولها أو نقدها عند ربطها بنظريته الخاصة • ولهذه نجد نموذجين للتعميم •

الأول : أن هناك تصنيف فى الحياة الاجتماعية للافراد وللجماعات باعتبارها موضوعات للنشاط الاجتماعى،وبعض هذه التصنيفات لها دلالتها على اعتبار أنها تشير الى تشابهات واختلافات حقيقية (واقعية) للسلوك الاجتماعى •

والثانى : أن هناك نوع مختلف للتعميم الاجتماعى الهام وهو الذى يتضمن ما يعرف بالمعايير norms التى تنظم السلوك الاجتماعى • وهذه التعميمات المعيارية ليس لها صدق نظرى مباشر ، ولكنها تشيع فى جماعات معينة وتؤكد على حالة عامة • ولهذا فان عالم الاجتماع يستخدم تعميمات الناس على أنها مادة علمية(١) •

ان المادة المرتبطة بعلم الاجتماع مثلها مثل أى مادة علمية أخرى ، تأتى من خلال مصادر امبيريقية وجب اخضاعها للاستخدام العلمى ، وهذا التحضير يتضمن مراحل متعددة • كما أن اتجاه علم الاجتماع هو دراسة الانساق الاجتماعية التى ترتبط وتتداخل مع أنساق أخرى متنوعة مثل الانساق الاقتصادية والتكنيكية (الفنية) واللغوية والدينية • كما أن السلوك الاجتماعى يتم من أجل تحقيق أهداف اقتصادية وفنية ودينية مثلا • وهكذا الحال فى الموضوعات غير الاجتماعية حيث تحتاج آلى علاقات اجتماعية لانجازها فالانتاج الفنى فى البلاد الرأسمالية يعتمد على العلاقة بين صاحب العمل والعامل •

وهكذا فان الخطوة الاولى فى البحث السوسيولوجى تتمثل فى فصل وتقسيم المادة الخام ، حتى يمكن النظر الى المادة الاجتماعية دون غيرها • وثانيا : فان الانساق الاجتماعية عند اخضاعها للتجربة والملاحظة المحسوسة تتشابك فى كل معقد • فكل انسان ينتمى الى جماعات متعددة ، ويشغل

---

(1) Ibid., pp. 193-204.

أوضاعا متنوعة • فأى تقسيم للحقيقة الاجتماعية واخضاعها لملاحظاتنا هو محاولة لتاكيد أن الانسان يدخل فى علاقات متعددة،وأن النظر الى الانساق الاجتماعية فقط دون غيرها هو نظر مجرد،ويجب أن نضع فى اعتبارنا أنها أنساق مترابطة•وثالث هذه المراحل أنه يجب النظر الى المادة العلمية المفيدة فقط ولاننظر الى كل المادة العلمية المتاحة ، بل يكون التركيز على مايفيد الدراسة(١) •

ومعنى هذا ، أنه بعد تعمق المادة العلمية ، ينبغى تحضير الاطار أو وضع تصميم البحث • وفى الواقع فان الاطار هو تصنيف المظاهر العامة للحقائق ، حيث يضع الباحث تصورا كليا لخطة البحث أو للمحتويات المقترحة التى ترتبط بالحقائق التى درسها • ويجب أن يكون اطار البحث هذا فى صورة منطقية وموضوعية(٢) •

ثم ان هناك العديد من التساؤلات الجوهرية التى تدور حول الاساليب الفنية فى البحث الاجتماعى من حيث الدقة والثبات Precision وملاءمة المادة العلمية وتحليلها(٣) •

١ – كيف يمكن ملاحظة الدقة فى البحث ؟
٢ – هل يستطيع علماء آخرون تكرار نفس الملاحظات ؟
٣ – هل تشبع المادة العلمية متطلبات مشكلة البحث ؟ وهل بامكانها أن تصل الى نتائج مرضية ؟

واذا كانت الملاحظات غير دقيقة ، وقد ثبت ذلك بطريق احصائى ، فانها لاتخدم البحث•واذا لم يستطع علماء آخرون من تكرار هذه الملاحظات وثبت هذا أيضا احصائيا ، فانها تصبح ملاحظات عديمة الجدوى • واذا كانت المادة العلمية لم تستطع اشباع البرهان المنطقى ، فان النتائج مشكوك فيها •

---

(1) Ibid., pp. 213-215.
(2) P. Young, Op. Cit., pp. 473-476.
(3) Goode & Hatt, Op. Cit., p. 313.

ان الخطوة المبكرة فى التحليل الاجتماعى هى اختبار نقدى للمعطيات، واضعين فى الاعتبار هدف الدراسة وما يمكن أن تكشف عنة علميا . انه يجب قراءة المعطيات واعادة قراءتها . كما يجب اختبارها واعادة اختبارها . ولهذا فهناك مجموعة من الاسئلة يجب على الباحث الاجابة عليها(١) :

- هل تظهر المعطيات بكفاءة ووضوح أنماط السلوك والعلاقات التى ينبغى أن تشرحها أسئلة البحث ؟

- هل سجلت المعطيات بموضوعية ؟ وهل تتاثر الموضوعات وتخضع للمعالجات الكمية ؟

- هل تعتبر المعطيات المجمعة عن طريق العينة ممثلة للمجتمع الاصلى ؟ وهل تتلاءم مع نفس الاطار المرجعى ؟

- هل المعطيات معقولة من وجهات نظر متعددة ، وفى ظروف متغيرة؟ وفى مختلف مراحل البحث ؟ وهل هى تتناسق تناسقا داخليا ؟

- هل من الممكن فهم موضوعات الدراسة عندما تندمج المعطيات الآتية من مصادر مختلفة فى هيكل واحد ؟

- هل تظهر موضوعات الدراسة على أنها افعال نفسية اجتماعية منبثقة من سياقها الثقافى ؟ أو أنها تعبر عن كائنات أو انساق منفصلة وقائمة بذاتها؟

- هل الجمل ، وخاصة فى المقابلات وسجلات تاريخ الحياة ؟ توضح مصاحباتها الانفعالية ؟

- هل تتوجه المعطيات ناحية فهم البناءات الاجتماعية من حيث الشكل والمعنى خلال الزمن الذى تعبر فيه عن استخداماتها ؟

- اذا كانت المعطيات قد جاءت من المعمل الاجتماعى ، فهل التداخل بين الوسط الاجتماعى وموضوعات الدراسة واضح الفهم ؟

- ماهى الاختلافات والاتفاقات الاساسية التى يمكن التوقف عليها فى الظواهر المدروسة ؟

---

(1) P. Young, Op. Cit., pp. 277-278.

ماهى العلاقات الدالة بين مختلف الحقائق القائمة ؟ وما هو أساس دراسة علاقات السببية ؟

ـ هل تحددت الفئات بدقة ؟

ـ كيف حددت الفئات ؟ وكيف يمكن التحكم فيها ؟

ـ ماهى الانعكاسات الجديدة التى يمكن أن نحصل عليها من خلال الهيكل الكلى للمعطيات ؟ وماهى الفروض الجديدة التى يمكن صياغتها ؟

ـ ماهى النتائج المتسقة التى يمكن الخروج بها من خلال تحليل المعطيات ؟

ان هذه الاسئلة تتضمن أهمية الضبط والدقة والتحقق من المعطيات المتوافرة ٠ وليس تطبيق هذه الاسئلة جامدا أو متحجرا ٠ ولكن يجب على الباحث أن يتوخى أكبر قدر من الضبط والتحقق والدقة فى المعطيات ٠

ان الدراسة النقدية للاستخدام العلمى تحتم جمع البيانات التى تحقق صياغة واختبار الفروض السوسيولوجية العامة ٠ ولهذا فان عالم الاجتماع ـ اليوم ـ فى اعتماده على البحث المحسوس ينسى عادة كل هذه المادة المحسوسة التى يجمعها عن طريق الناس الذين يجهلون أيضا علم الاجتماع، أو أنهم على الاقل يتساوون معه فى دقة الملاحظة والمصلحة الانسانية(١) ٠

ويعبر زنانيكى عن هذا الاعتماد البنائى بالقضية التالية : «ان موضوع النسق يتحدد عن طريق بنائه» ٠ وكذلك فان وجوده يعتبر ظرفا أو شرطا لهذا الموضوع(٢) ويرى زنانيكى أن القانون الثابت Static Law هو تعميم لحقائق الاعتماد البنائى Stuctural Dependence بين عناصر محددة ٠ وأن شكل القانون الثابت فى علم الاجتماع يصبح على النحو التالى :

«اذا انتمى نسق اجتماعى معين الى الفئة M التى تشتمل على عنصر ما

(1) F. Znaniecki, Op. Cit., p. 28.

(2) Ibid., pp. 266-267.

من النموذج B (المعتمد Dependent · فانه يجب أن يشتمل أيضا على عنصر ما من النموذج A (الدائم Dominant) · ومثـال ذلك : اذا تضمنت جماعة اجتماعية ما نظاما للسلطة المتحكمة، فيجب أن تشتمل أيضا على ارادة جمعية(١) ·

ويفترض الذى يقوم بالتحليل أنه بجانب المعطيـات المتراكمة فهناك شىء أكثر أهمية من الحقائق والارقام نفسها ، انه يفترض أن الفكر الواعى للحقائق والارقام يصبح هكذا عندما يرتبط بهيكل المعطيات ككل ، ويأخذ معناه الدال والعام عندما تصبح التعميمات صادقة · انه يفترض ـ كذلك ـ أن التحليل الاجتماعى عبارة عن عملية مستمرة من خلالها يظهر البحث ككـــل(٢) ·

وبالاضافة الى ذلك فان التحليل المتسق عبارة عن عملية خاصة تستخدم عندما يستكمل هيكل المعطيات : الحقائق والارقام والافكار · بحث يمكن ايجاد العلاقات وما تتضمنها من أفكار، وايجاد ماوراء هذه الارقام والمعطيات من دلالات وأفكار أيضا · ان هذه المعطيات والارقام والحقائق لاتتحدث عن نفسها ولا ترتبط فى حد ذاتها ، بالسياق الاجتماعى التاريخى الثقافى الذى وجدت فية وبالتالى لا يمكن لها أن تصل الى نظرية طالما أنها لاتحمل وراء المعطيات والارقام والحقائق ، أفكار تحليلية(٣) ·

وهناك بعض المشكلات التى تقابل التحليل وخاصة عنـد البحث فى السلوك الاجتماعى · وسوف تبدو ثلاث مشكلات رئيسية وعامة وهى أن هناك أولا كثيرا من المعطيات فى البحث الاجتماعى يطلق عليها المعطيات الكيفية · وسوف تخضع لاساليب فنية لترجمة مثل هذه المعطيات الى شكل قابل للتحـليل(٤) ·

---

(1) Ibid, p. 273.
(2) Op. Cit., p. 472.
(3) Festinger, Op. Cit., p. 419.
(4) Ibid., p. 473.

كما أن هناك نزاعا وتنافسا مؤداه أن العلم الدقيق يتجه الى أن يصبح كميا فى وحداته ومقاييسه ومفهوماته. بينما معظم اهتمام موضوعات العلوم الاجتماعية يتجه نحو الكيف ولا يسمح بالقضايا الكمية ، ومع ذلك فاننا نجد كثيرا من معطيات العلوم الاجتماعية يمكن ان تخضع للقياس بالرغم من الافتراض الشائع بأنها معطيات كيفية وشخصية وغير قابلة للقياس(١) :

ان الصراع المزعوم بين المناهج الكمية والكيفية يجب أن ينتهى بحيث أن هذين المصطلحين لا يمثلان الا مراحل مختلفة من الموضوعية فى الوسائل الفنية للوصف . فعندما تصبح معرفتنا عامة وتحليلية ، فاننـــا نتجه الى وصفها على أسس شخصية وكيفية فى ضوء احساسنا بادراك الحقائق ، أو فى ضوء التقويمات الاجتماعية النابعة من المعايير الاجتماعية . وهكذا فان الاشياء توصف على أنها ســاخنة أو باردة ، خضراء أوحمراء . ولكن فى مجال الافراد والجماعات فان الامر مختلف تماما ، بحيث أننا يجب أن ندمج بين الوصف الكيفى والوصــف الكمى فى هذا المجال . وهكــذا فان الحرارة والبرودة تفسير وتوصف فى ضوء مقياس الحرارة ، ودرجات اللون على أساس أشعة الضوء وهكذا بالنسبة لبقية الاشياء حيث تتجه تفسيراتنا الى النواحى الكيفية(٢) .

وينبغى على البحث الحديث أن يرفض زيف الثنائية المصطنعة للفصل بين الدراسات الكيفية والدراسات الكمية ، أو بين المدخل الاحصائى والمدخل غير الاحصائى فى البحث الاجتماعى . ان تطبيق الرياضات فى علم الاجتماع لايفسد من تحققة كعلم ، وانما يعطيه عمقا ويضفى على البحث الاجتماعى طابعا من الاهمية(٣) .

ففى جميع العلوم المهتمة بالكشف عن الحقيقة ، تصبح للفئات الكمية اهمية فى مجال النظرية اذا كانت تركز حقيقة (فعلا) على الخصائص الكمية

---

(1) G. Lundberg, Op. Cit., p 22.
(2) Ibid., p. 23.
(3) Good & Hatt, Op. Cit., p. 313.

الموضوعية للانساق أو العناصر الواقعية . فما هى اذن هذه الكميات الواقعية والخصائص القابلة للقياس التى ترتبط بالحقيقة الاجتماعية ؟ ان الخصائص الكمية للحقيقة الاجتماعية تأتى من خلال الخبرة بهـا وليس بقابليتها للقياس مباشرة. ، لانه لايمكن أن توجد وحدات قياسية يمكن قياس الحقيقة الاجتماعية بها . فنحن نقيس العلاقات الاجتماعية أو البعد الاجتماعى عن طريق الخبرة ونعطيه رقما تجاوزا . وليس هناك مقياس كمى يمكن أن يكون بمثابة ترمومتر يقيس البعد أو العلاقة ، ومعنى هذا أننا نعتمد على الخبرة وعلى الخصائص الكيفية عند تقرير الفئات الكمية(١) .

وحيث أن الانساق الاجتماعية فى تفـاعل دينامى ، ليس فقـط بين الانساق الاجتماعية بعضها والبعض ، وانما بالانساق الثقافية بما تحمله من متغيرات اقتصادية وفنية ودينية وعلمية وأخلاقية ولغوية ، لذلك فان القوى الاجتماعية تواجه بكل هذه التفاعلات الدينامية التى لاتتحدد كميا الا عن طريق التقدير الكيفى والخبروى(٢) .

وهكذا لم يعد استخدام الاحصاءات عـلامة مميزة للبحث الاجتماعى الحديث وانما أصبح ضرورة للارتقاء بمستوى الدقة والثبات التى تتطلبها اساليب البحث والوصول الى مستوى أفضل من الحقيقة والبرهان ، حتى ان استخدام الاحصاء أضحى ضرورة ملحة للبحث الاجتماعى،وكلما تطورت الاساليب الاحصائية من حيث المعاينة Sampling والنظرية الاحصائية ، فان ذلك يدعو الى حاجتنا لاحصاءات حديثة تتوخى الدقة والموضوعية عند جمع البيانات اللازمة للبحث(٣) .

ولهذا يجب الا نغفل الجانب الكمى فى الوصف والتفسير وخاصة بعـد تقدم العلوم الاجتماعية ، بحيث أننا نجد تطبيقات احصائية فى الجوانب الاقتصادية وفى دراسة التغير الاجتماعى بما يتضمن من تعقيـدات . ومن

---

(1) F. Znaniecki Op. Cit., pp. 307-310.

(2) Ibid., pp. 318-319.

(3) Goode & Hatt, Op. Cit., p. 314.

هنا يتحول علم الاجتماع فعلا الى عملية التكميم طالما أن السلوك الاجتماعى قابل للتصــنيف(١) ٠

ثانيا : التحليل النوعى الكيفى :

يتطلب الباحث فى العلوم السلوكية مهارة فى تحليل المادة الرمزية أو الكيفية ٠ ومن الملاحظ أن البحوث الحديثة تعتمــد على تصنيف وتنظيم وتكميم وتفسير ما يقوله الافراد أو الجمــاعات من رموز أو اشــارات أو محادثات شفاهية ٠ كما يتضمن الوصف المتسق للظواهر الاجتماعية تسجيل الاشارات الرمزية كتصنيفها ووضعها فى فئات وتحديد المؤشرات والارتباطات الكمية بيّنها ٠ واذا حدث هــذا فانه بالامكان الوصــول الى قضــايا عامة وموضـــوعية(٢) ٠

ويقصد بالتحليل الكيفى الوصول الى تفسيرات موضوعية للمعطيات اللفظية التى يسفر عنها البحث ، وقد يتصور البعض أن التحليل الكيفى لا يتطلب نفس الجهد المبذول فى التحليل الكمى ، وهذا التصور بعيد عن الصواب ، اذ أن للتحليل الاحصائى قواعده وعملياته الرياضية التى لاتجانب الصواب على الاطلاق عنــدما يتبع الباحث الخطــوات والاجراءات التى تتطلبها المعالجة الاحصائية ٠ فى حين أن تفسير المعلــومات اللفظية عسير للغاية اذا لم توضع قيود على ذاتية الباحث ، وحــدود للربط والتركيب بالصورة التى تتلاءم مع موضوع البحث وأغراضه ٠ ويتمثل وجه الصعوبة أيضا فى أن هذه القيود والحدود لا يمكن توحيدها بحيث تصبح صالحة لجميع البحوث الاجتماعية كما هو الحال بالنسبة للتحليل الاحصائى ٠ وانما يستلزم تحديدها فى كل بحث على حدة وفقا لمضمون كل سؤال والقضايا التى يمكن أن يتناولها ٠ ومع هــذا فان التحليل الوصــفى أو الكيفى تحكمه ضوابط موضوعية تحدد قبل تنفيذ البحث ومن أهمها(٣) :

---

(1) G. Lundberg, Op. Cit., pp. 24-45.

(2) Festinger & Katz, Op. Cit., pp. 421-423.

(٣) محمد طلعت عيسى ، تصميم وتنفيذ البحوث الاجتماعية ، مرجع سابق ٠ ص ٣٩٠ ــ ٣٩٢ ٠

١ ـ تحديد العبارات التى تدخل تحت تصنيف معين من الميول أو الاذواق أو الاتجاهات ٠

٢ ـ تحديد التصرفات وأنواع السلوك التى يمكن أن تنضوى تحت نمط معين من أنماط الشخصية الانسانية ٠

٣ ـ تحديد المواقف الايجابية والسلبية وغير المكترثة من واقع اجابات معينة وفقا لموضوع البحث ٠

٤ ـ امكانية تحويل أى معطيات وصفية الى رتب قابلة للتصنيف ٠

ويتفق معظم المشتغلين بالمنهج على أن هناك ثلاث عمليات رئيسية تتضمنها عملية التحليل، وهى المراجعة والتنظيم، والتجميع، والجدولة٠ وفى عملية المراجعة والتنظيم يختبر الباحث البيانات التى جمعها والوسيلة التى عن طريقها جمعت هذه البيانات والتأكد من صحة البيانات واستيفائها٠ وفى عملية التبويب والتفريغ تقسم البيانات الى مجموعات متجانسة يطلق على كل مجموعة منها اسم «الفئة» ٠ ومن الطبيعى أنه لاتوجد طريقة واحدة لتقسيم البيانات الى مجموعات متدرجة وتصنيفها وفقا لذلك٠ذلك لان مدى الفئة (ان كانت البيانات كمية) أى الفرق بين حدها الادنى وحدها الاقصى يختاره الباحث بنفسه ٠ وعلى ذلك فهى تتوقف على الهدف الذى يضعه الباحث من هذا التصنيف ٠ الا أنه ينبغى أن يكون عدد أقسام التصنيف متناسبا ٠ فان كان عدد الاقسام صغيرا ـ كأن تقسم هذه الدرجات الى قسمين أو ثلاثة مثلا ـ ضاع على الباحث أغلب الفوائد التى يمكن أن يجنيها من هذا التصنيف ، كما أن مثل هذا الحال يحدث اذا كان عدد الاقسام كبيرا ٠

ومن أكثر الموضوعات صعوبة فى تحليل المعطيات هو ايجاد علاقات سببية بين المتغيرات ، وخاصة عند دراسة المشكلات والقضايا الاجتماعية والشخصية(١) ٠

---

(1) Young, Op. Cit., pp. 484-485.

ولهذا لايكفى أن نقدم نتائج البحث دون مناقشة توضح دلالاتها بالنسبة لفهمنا العام للسلوك البشرى • وقد تقدم هذه المناقشة مصاحبة للنتائج أو تقدم منفصلة فى جزء خاص من تقرير البحث الا أنه يجب على الباحث أن يوضح المدى الذى يمكن الذهاب اليه فى التعميم من النتائج الى مواقف أخرى مشابهة لموقف البحث(١) • ومن واجب الباحث أن يوضح فى تقريره ما اذا كان البحث قد أسهم فى اختبار نظرية قائمة ،أو فى توضيح المفاهيم النظرية ، أو اقتراح نظريات جديدة ، أو امتدادات جديدة لنظريات قائمة • ويجب على الباحث ـ أيضا ـ أن يبرر تعميماته ، وأن يوضح حدودها وأن يسرد خصائص عينة البحث ، وأن يوضح الصعوبات النظرية والمنهجية والميدانية التى واجهته أثناء تطبيق البحث ، وأن يقدم اقتراحاته عن نوع البحوث التى يمكن أن تجرى فى المستقبل لمتابعة بحث المشكلة التى بدأ منها(٢) •

ثالثا : التحليل الاحصائى الكمى :

اذا تم جمع البيانات وفقا للخطة المرسومة ، فان هنـاك أسئلة هامة يمكن الاجابة عليها من خلال المادة العلمية التى حصـل عليها الباحث • وتكون لاجابات هذه الاسئلة درجة من الثبات والصدق • حيث ينبغى التاكد من ثبات وصدق البيانات التى حصل عليها ، باعتبارهما خطوتين هامتين فى البحث الاجتماعى(٣) • وقد أشرنا فى موضع سابق الى هذا • والذى نود الاشارة اليه هنا •أنه بعد أن قام الباحث بجمع البيانات وتصنيفها وترميزها ، فاننا نجد أن اجراءات البحث تصبح سهلة للغاية من حيث تحليلها • أما تفسير نتائج الدراسة فتحتاج الى زيادة ألفة الباحث باطار البحث وبمراحله المختـــلفة(٤) •

ويتحدث جود وهات عن التمثيل الاحصائى Statistical Fepresentation من حيث التوزيع التكرارى ووضـع التكرارات وتصنيفها فى فئــات ، ثم

---

(١) د• نجيب اسكندر وآخرون ، مصدر مذكور ، ص ٥٥٤ •
(٢) المرجع السابق ، ص ٥٥٥ ـ ٥٥٦ •
(3) Good & Hatt, Op. Cit., p. 341.
(4) G. Moser, Op. Cit., p. 288.

جدولتها فى سياق ونظام منطقى • ومن حيث مقارنة هذه التكرارات عن طريق النسب المئوية لتوضيح الخصائص الكيفية بين المتغيرات • ومن حيث تمثيل البيانات ووضعها فى جداول مركبة على أساس ايجاد العلاقة بين متغيرين أو بعدين أو أكثر سواء كانت هذه العلاقة طردية أو سلبية(١) •

ويتحدث جود وهات بعد ذلك عن التناسق المنطقى للمعطيات من حيث البرهان والواقع والتطبيق ، عن طريق توضيح مدى الاتفاق أو الاختلاف أو التباين بين المتغيرات والمجموعات • وتتضمن هذه الخطوة التفسير والتصور الواقعى للبيانات حتى يمكن وصف الظروف التى من خلالها يمكن أن توجد علاقة علية أو سببية بين متغيرين أو لا توجد • وهنا تصلح الجداول الثنائية أو المركبة على أساس بعدين أو متغيرين(٢) •

والمعروف أنه ليس هناك بحثين متشابهين فى مشكلات التحليل والتفسير ولكن القواعد الوحيدة التى يمكن اتباعها فى أى بحث هى تلك المرتبطة بالمنهج الاحصائى ، وعلى ذلك فهناك أربعة مداخل متمايزة(٣) :

١ ـ لا يتطلب البحث بالضرورة أن يكون احصائيا • حيث يختلف البحث من حيث اهتمامه وتركيزه على حالات فردية أو على خصائص جماعية • فليس هناك تفضيل بين المناهج الكمية والمناهج التقويمية ،وحتى اذا اهتم البحث بالنوع الثانى من المناهج فان النوع الاول سوف يكون له دور فيه •

٢ ـ كثيرا مما يطلق علية مجازا «التحليل» لا يخرج عن كونه يعبر عن توزيعات احصائية وتجمعات بسيطة للقياس مثل النسبة المئوية والمتوسطات ومقاييس التشتت ومعاملات الارتباط وغيرها • الا أن التحليل على هذا النحو الاحصائى وحده لايفيد الا اذا ارتبط أيضا بتفسير البيانات فى ضوء الخصائص الكلية وليست الحالات الفردية •

---

(1) Good & Hatt, Op. Cit., pp. 343-353.

(2) Ibid., p. 358.

(3) Ibid., pp. 288-289.

٣ ـ وعلى هذا يعتبر الوصف الاحصائى جزء فقط من عملية التحليل، التى تتطلب تفسيرا للخصائص العامة .

٤ ـ يجب أن يتضمن التحليل وصفا وتفسيرا للعلاقات المتعددة الابعاد. وهكذا فان مصطلح «التحليل» يعنى اجراء عملية الوصف الاحصائى ، بالاضافة الى استنتاج بعض الدلائل والتفسيرات التى تتطلبها هذه العملية.

ان ارتفاع ثبات المعلومات وماينتج عنه من تعميمات يتاتى عن طريق أن عددا من المعطيات يمثل الكل أصدق تمثيل . فنحن لا نستطيع دراسة جميع المنحرفين ـ مثلا ـ فى الماضى والحاضر والمستقبل ، ولكن بامكاننا أن نختار عددا منهم وفقا لقواعد محددة ونحاول أن نوضع خصائصهم العامة والشخصية بحيث نستفيد من الاحصاء عند تحديد مدى تمثيلهم لمجتمع المنحرفين واختلافهم عن غير المنحرفين(١) .

كما أن الاحصائى يستطيع أن يضع عددا من الخصائص فى قوائم منفصلة ، ومع ذلك فهو يستطيع أيضا أن يجمع هذه الخصائص مندمجة فى فئتين أو ثلاث أو أربع مثلا ، ويأتى بخصائص جديدة تقوم على الاعتماد المتبادل الموضوعى بين هذه الخصائص(٢) .

ويمكننا باستخدام الرسوم البيانية استنتاج معلومات عديدة عن أى توزيع تكرارى ولكن هذه المعلومات مهما كثرت وكبرت قيمتها فانها تكون فى العادة ضئيلة ، ذلك لان الرسم البيانى يعطى أفكارا عامة . وهناك طرق أخرى تسمح باستنتاج تفاصيل أكثر دقة وأكبر فائدة من الرسوم البيانية وهى الطرق الاحصائية . وسواء اكتفينا بالرسم أو لجأنا الى الحساب ، فانه لكى نصل الى تفسير مجموعة البيانات الكمية تفسيرا كافيا ووصفها وصفا دقيقا ، يجب علينا القيام بواحدة أو أكثر من العمليات التالية(٣) :

---

(1) F. Znaniecki, Op. Cit., p. 227.
(2) Ibid., p. 231.
(٣) د. حسن محمد حسين ، البحث الاحصائى ، مرجع مذكور ، ص ٨٢ ـ ٨٣ .

١ ـ ايجاد قيمة واحدة ممثلة للدلالة على الحجم العـام للقيم التى بالمجموعة مثل الوسط الحسابى أو الوسيط أو المنوال أو أى مقياس آخر للنزعة المركزية ويسمى هذا المقياس «المتوسط» ٠

٢ ـ بيان مدى انتشار هذه القيم ، أى مقدار تباينها فيما بينها عن بعضها البعض ٠ وهناك عدة مقاييس لهذا التباين أو التشتت منها المدى المطلق والانحراف المتوسط وغيرها ٠

٣ ـ دراسة شكل التوزيع ، فقد يكون المنحنى الناتج عن توزيع القيم مستطيلا ، أو كالجرس ، أو ملتويا ، فاذا كان جرسى الشكل فقـد يكون مدببا أو مفرطحا أو متوسطا ٠ وكل شـكل من هذه الاشكال وغيرهـا له دلالاتـه ٠

كذلك قد تكون القيم لدينا على صورة سلسلة زمنية ويراد توفيق أحسن منحنى-يناسبها لكى نستنتج منه الاتجاه العام ٠ وقد تكون القيم مقاييس لظاهرة لها خاصية النمو ويراد أيضا توفيق منحنى لوغاريتمى لها مثلا ٠

٤ ـ اظهـار العـلاقة بين متغيرين أو أكثر ، وذلك بحسـاب بعض المقاييس المختلفة للارتباط ٠

٥ ـ بيان مدى الاعتماد على التصميمات التى يصل اليها ٠ أو بعبارة أخرى حسب مقدار مايتـوقعه من تغير فى قيمة كل مقيـاس من مقـاييسه الاحصائية كالوسط الحسابى ، أو الانحراف المعيارى ، أو معامل الارتباط من عينة الى أخرى ٠

٦ ـ تحويل القيم التى لديه الى قيم من نوع معيارى لسهولة المقارنة بين مجموعات القيم المختلفة ٠ وذلك كمـا يحدث فى الحيـاة العملية عند تحويل قيم المسافات الى أقـدام أو أمتار ، وقيم الاوزان الى أرطـال أو جرامـــات ٠

كما يفترض فى أى نوع من العمل الاحصائى وجود وحدات معبر عنها فى شكل كمى ٠ فهناك المجموع الكلى والجمع والتقسـيم والتصنيف كلها

عمليات احصائية لها أهميتها فى جمع المعطيات الاحصائية وتحليلها وتفسيرها·ويجب أن يكون للوحدة الاحصائية المرضية (السليمة) الخصائص التالية(١) :

١ ـ الملاءمة Appropriatences ·

٢ ـ الوضوح Clarity ·

٣ ـ قابلية القياس Measurability ·

٤ ـ قابلية المقارنة Comparability ·

وتتحدد ملاءمة الوحدة الاحصائية عن طريق هدف الدراسة بحيث يجب أن يكون معبرا عن هذا الوحدات فى شكل موضوعى وكمى طالما أنها سوف تستخدم للعد وللقياس ·

ان المتغيرات التى تصنف وفقا للحجم أو للاهمية تكوين متسلسلة فى شكل توزيع تكرارى · وجدول التفريغ السابق عبارة عن توضيح مبسط للتوزيع التكرارى · حيث يلاحظ أن الفئات توجد يمين الجدول وأن عدد الحالات والتكرارات توجد شماله · ولكى نقوم باجراء عملية التوزيع التكرارى فمن الضرورى أن نحدد مايلى مقدما(٢) :

١ ـ عدد حالات كل فئة مستخدمة ·

٢ ـ حجم كل مايدخل فى الفئة الواحدة ·

٣ ـ تصميم الفواصل بين كل فئة وأخرى ·

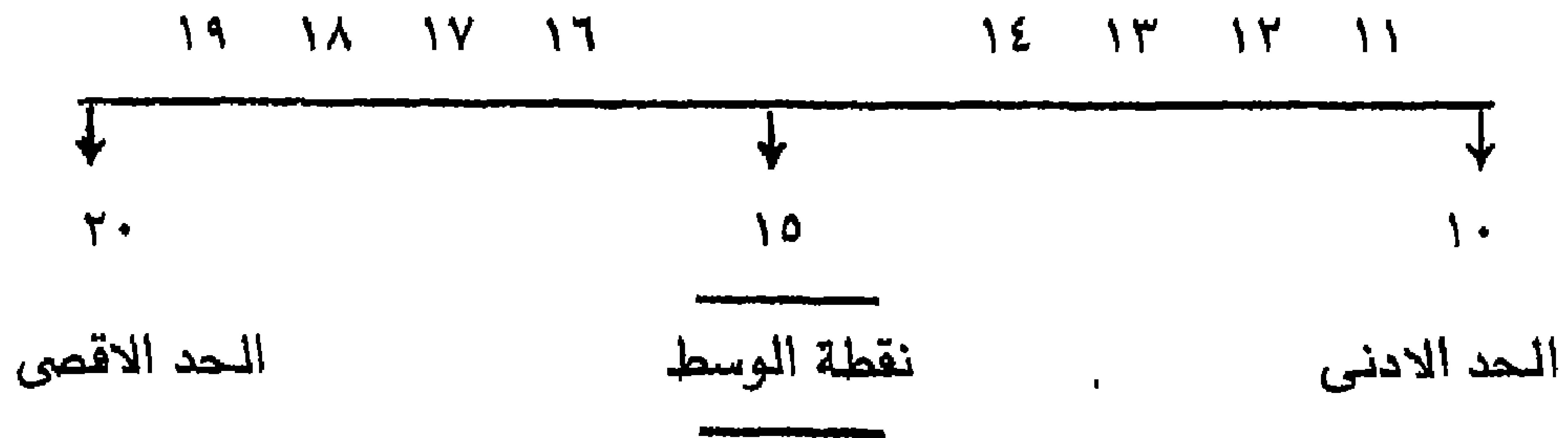
المعروف ان لكل فئة نقطة وسط تتحدد بين الحدود العليا والدنيا لها والرسم التالى يوضح نقطة الوسط فى فئتين تقع الاولى بين ١٠ و ١٩ وتصبح نقطة الوسط هى ١٥ ، أما الفئة الثانية فتقع بين ١٠ ، ١٤ وتصبح نقطة

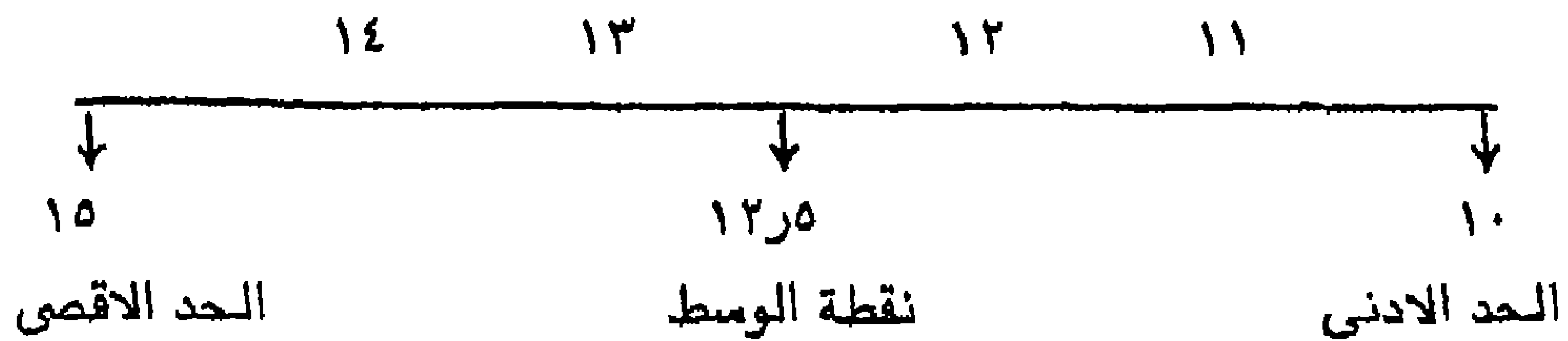
---

(1) P. Young, Op. Cit., pp. 275-276.

(2) Ibid., p. 281.

الوسط ٥ر١٢ . وبعد أن تتحدد هذه الفئات فمن السهل عد وحصر عـدد الـحالات التى تقع فى كل فئة(١) .





ونوجه النظر فى هذا الصـدد الى بعض المعـادلات الاحصـائية التى تستخدم ـ بطريقة شائعة ـ والتى يمكن أن تستخدم فى دراسة الموضوعات الاجتماعية . وأهم هذه المعادلات ما يستخدم فى قيـاس النزعة المركزية ومقاييس التشتت ومقاييس الارتباط واختبارات المعنوية والدلالة .

(1) Ibid., p. 282.

الفصل الرابع عشر

اخراج البحث فى تقرير

تمهيـــــــــد ·

أولا : أهمية اخراج تقرير البحث ·

ثانيـا : الجمهور المستفيد من التقرير ·

ثالثـا : أهـداف تقرير البحـث ·

رابعـا : شكل التقرير وأسلوبه ·

خامسا : مضمون التقرير وتنظيمه ·

سادسا : المسئولية الاخلاقية فى كتابة التقرير ·

اخراج البحث فى تقرير(*)

تمهيـــــــــد :

فضلت أن اضع هذا الفصل تحت عنوان اخراج البحث فى تقرير،وبرغم أن هذا العنوان فيه خروج عن العادة والمالوف فى كتب البحث الاجتماعى عندما نتناول هذه الخطوة الاخيرة من خطوات البحث ونضعها تحت عنوان تقـرير البحـث Research Report أو كتـابة التقـرير Report Writing أو وضع التقرير Reporting الا أن تفضيلنا للعنوان «اخراج البحث فى تقرير» ، لا يرجع الى مجرد الاختلاف فى ذاته ، وانما يرد الى اعتبارين اساسيين . الاول اعتبار موضوعى يؤكـد أن هذه المرحلة النهـائية ليست مجرد كتابة تقرير بل هى عملية كبيرة تنطوى على تحديد والتزام وترتيب وتنظيم فضلا عن الكتابة ، اذ يتطلب الامر تحديد هدف التقرير والتعرف على نوعية الجمهور الذى سيستفيـد منه ، وتحديد لحجم التقرير وشكله واسلوبه ومضمونه وكيفية تنظيمه،وكتابته ، والالتزام فى كل هذا بمجموعة من القواعد المنهجية والقيم الخلقية وكل هذا من أجل توصيل كل ما قام به البحث من جهود وما توصل اليه من نتائج ، اذن يمكن اعتبـار هذه المرحلة الاخـيرة فى البحث ، والتى عرفت بتقرير البحث ، واحـدة من عمليات الاتصال ، التى اخراج ومن هنا فضلنا أن نطلق عليها عبارة اخراج البحث فى تقرير . اما الاعتبار الثانى والذى جعلنا نفضل هذا العنوان ، فهو اعتبار شكلى ظهر لنا فى اثناء تدريس هذه المادة للطلاب والذين كانوا رغم كل ما يبذل لهم من توضيح لهذه الخطوة الاخيرة فى البحث،يفهمونها

(*) اعد هذا الفصل أ.د. على جلبى .

على أنها مجرد سرد للبيانات التى تم جمعها والنتائج التى توصلوا اليها وأنها عملية منفصلة عن كل ما قاموا بالتنقيب عنه فى التراث من افكـار نظرية ودراسات سابقة ، فكانوا يعرضون هذا الجزء ثم يضعون بعده عنوان تقرير البحث ليشمل فقط جانب البيانات والنتائج ولذلك وجدت أن استبعاد عنوان تقرير البحث وكتابة التقرير والاخذ بعنوان اخراج البحث فى تقرير فيه تأكيد على أن هذه الخطوة الاخيرة فى البحث لا تركز على جانب دون آخر بل تشمل البحث كله كعناصر متـداخلة ومتفاعلة افضـت الى بعضها الآخر ٠ ولقد قصدت بهذا الفصل أن اجيب على مجموعة تساؤلات ، ماهى أهمية اخراج تقرير البحث ؟ ، ومن هم الجمهور الذى يمكن أن يسـتفيد من هذا التقرير ؟ وهل هناك أهـداف مختلفة للتقارير ؟ وما هـو شكل التقرير والاسلوب الذى يكتب به ؟ وما هو مضمون التقرير ؟ وكيف يمكن تنظيمه ؟ وما هى القواعـد الاخلاقية التى يجب أن تلتزم بهـا فى كتابة التقـرير ٠؟

أولا ـ أهمية اخراج البحث فى تقـرير :

وبانتهاء مرحلة تحليل البيانات لا يعتبر البحث قد وصل الى نهايته ، بل تظل مهمة البحث غير مكتملة تماما حتى اخراجه الى حيز الوجود فى صورة تقرير مكتوب ٠ ولذلك تعتبر المرحلة الاخيرة فى البحث هى الكتابة والتعبير عن كل ما جاء فيه واخراجه فى صورة تقرير ٠ ومن ثم ينظر الى هذه المرحلة على أنها من أهم مراحل عملية البحث ، طـالما كانت تقوم بتوصيل المعارف الى الاخرين وهذا أمر لا يمكن انكار جوهريته فى سبيل تحقيق التقدم العلمى ، خاصة وان هذه العملية تسمح للاخرين بالاستفادة من النتائج وتقترح عليهم الوجهات التى ينبغى أن تسير فيها البحوث فى المسـتقبل(١) ٠

وتظل النتائج المثمرة والمبشرة بالجديد والتى قد يحدث وان يتوصل اليها البحث ، غير ذات قيمة وأهمية حتى يتم توصيلها للاخرين من خلال تقرير البحث ٠ ولـذلك اذا كانت عملية اعـداد تقرير للبحث تعمل على توصيل النتائج وتمكينها من الدخول الى رصيد المعرفة ، فان هذا الجانب

(1) H. F. Weisberg & B. Bowen, Op. Cit., p. 223.

من عملية البحث يضع مسئولية كبيرة على عاتق الباحث ، ويجعله يبذل نفس الجهد والاهتمام الذى يوجهه للجوانب السابقة(1) . وعادة ما تكون المادة التى توصل اليهـا الباحث من النوع الذى يثير اهتمـام الآخرين ، مما يحفزه على ضرورة العمل على اطلاع الاخرين عليها ومشاركتهم فيها ، وهنا يبدو جـانب آخر من الجوانب التى تؤكـد أهمية اخراج البحث فى صورة تقرير . اضف الى ذلك أن كل من أسهم فى هذا البحث سواء بالمال أو النصيحة أو المساعدة أو الوقت يتطلع الى أن يرى نتيجة هذا الاسهام . وكذلك كـان من الضرورى أن نخرج لهـم البحث فى صـورة تقرير حتى نطمئنهم على أن جهودهم لم تذهب سدى . كما أن أهمية اخراج البحث فى التقرير تتأكد بنـاء على أن التقرير وما يهدف اليه من توصـيل صورة كاملة عن النتائج التى تم التوصل اليها وكيفية الوصول اليهـا بالتفصيل الكاف والمنظم يتيح الفرصة امام الاخرين ويساعدهم على أن يحكموا على صدق الاستنتاجات(2) وتقييم كل ما بذل من جهد فى سبيل التوصل اليها . وهكذا يتضح لنا أن هناك ضرورة وأهمية لاخراج البحث فى صورة تقرير بناء على ما يقوم به التقرير من توصيل للمعـارف للآخرين وتسهيل عملية دخول النتائج الى رصيـد المعرفة ، واشراك الآخرين فى النتـائج المثمرة واطلاعهم على غيرها من نتائج مثيرة للاهتمام ، بالاضافة الى عمل التقرير على تأكيد فضل من ساهموا فى جهود البحث ، وجعلهم يطمئنون على أن جهودهم هذه لم تضيع سدى ، هذا فضلا عن مساعدة التقرير على تسهيل مهمة تقييم جهود البحث ككل ، والحكم على صدق النتائج .

ثانيا ـ الجمهور المستفيد من التقرير Audiance :

والسؤال الـذى يواجه عملية أخراج البحث فى صورة تقرير بعـد أن اتضحت لنا أهمية وضرورة العملية على النحو السابق ، هو : من هم القراء

---

(1) T. S. Wilkinson & P. L. Bhandarkar, Methodology & Techniques of Social Research, Op. Cit., p. 327.

(2) W. J. Goode & P. K. Hatt, Methods in Social Research, Mc-Graw - Hill. Book Company, London, 1952. p. 359.

المعنيون بهذا التقرير أو من هم الجمهور المعنى بهذا التقرير والذى يمكن أن نستفيد منه ؟

والواقع أنه يمكن أن يصدر تقرير البحث ويوجه الى مجموعة واسعة من الجمهور ابتداء من العلماء المهتمين بالبحث الاساسى حتى عامة الناس. وبالامكان تصنيف هذا الجمهور الى الفئات التالية :

١ ــ العلماء المتهمون بالبحث الاساسى ٠

٢ ــ العلماء المنشغلون بالبحث التطبيقى ٠

٣ ــ الممارسون والعاملون فى هيئات الخدمات ٠

٤ ــ صانعوا السياسة ٠

٥ ــ المشرفون على البحوث ٠

٦ ــ عامة الناس ٠

ويهم العلماء المنشغلون بالبحث الاساسى تلك المعلومات التى تضيف الى بناء المعرفة العلمية رصيد آخر ٠ وهم معتادون على المفهومات والنظريات واجراءات البحث(١) ٠ وذلك نجدهم يتوقعون من التقرير أن يكون دقيقا ، ومتقنا ومنظما باحكام ٠ وعادة ما يكون لهم اهتمام بالنظم الفكرية الاكاديمية مثل علم الاجتماع والاقتصاد وعلم النفس ٠٠٠ الخ ، فى الجامعات ومراكز البحث العلمى ٠

ويسعى العلماء المنشغلون بالبحث التطبيقى من ناحية أخرى ، الى الوصول الى المعلومات التى يمكن أن يستفيدوا منها فى جهودهم نحو تطبيق المناهج العلمية والمعرفة فى مجال وضع السياسات التى توفر الحلول لمشكلات محددة ٠ وهم ليسوا على دراية والفة بالمفهومات والنظريات كما هو الحال بالنسبة لزملائهم المنشغلون بالبحث الاساسى ٠ وعلى التقرير

---

(1) Nan Lin, Foundations of Social Research, McGraw - Hill Book Company, 1976, New York p. 358.

الذى يقدم لهم أن يدلل على فائدة مناهج المعرفة فى مساعدتهم على حل المشكلات التى يتعاملون معها . والكثير من هؤلاء العلماء ينتمون الى مراكز البحث ومؤسساته والوكالات العامة والخاصة وغيرها .

ويستفيد الممارسون والعاملون فى هيئات الخدمات بالمعلومات التى يقدمها تقرير البحث فى التعامل والعمل مع عملائهم. وهم يعنون بالمعلومات التى تنطوى على توجيهات عملية وبالاخرى التى تفيد فى الانجاز أو بكليهما الى الحد الذى يمكن أن يأخذون بها فى ممارساتهم وخدماتهم . ويعتبر المدرسون والاطباء والباحثون الاجتماعيون وهيئة التمريض والمكتبات أمثلة على هذا النوع من الجمهور(١) .

ويهتم صناع السياسة بالمعلومات التى تشير الى امكانية تطوير السياسات والادوات القائمة أو تقترح البديل لها . ويتوقعون ان يشمل التقرير على حد أدنى من الشعارات العلمية والفكرية وعلى قدر أكبر من المعلومات المتعلقة بحلول المشكلات ذات الصلة بالسياسة .

ويعنى المشرفون على البحوث بالتفاصيل الفنية للدراسة وبالمعلومات التى تدلل على أن الدراسة قد وصلت الى نتائجها على النحو الذى حددت به اهدافها واجراءاتها فى المشروع أو الخطة التى سبق وان وافق عليها هؤلاء المشرفون .

ولهذا ينبغى أن يصدر تقرير البحث ويوجه الى جمهور معين على أنه جالمهور المعنى أو المستفيد . وبينما قد يوجه التقرير أيضا الى جماهير من المستفيدين الخارجيين أو الاخرين ، الا أن علية أن يوصل لهم المعلومات التى لا تتعارض مع الاجراءات والاساليب المعيارية التى يتوقعها الجمهور المستفيد . والواقع أن عدم تاكد الباحث من طبيعة ونوعية الجمهور المستفيد سوف يترتب عليه عادة بعض القصور فيما يوصله التقرير من معلومات الى هذا الجمهور(٢) .

---

(1) Ibid, p. 358.
(2) Ibid, p. 358.

ثالثا ـ أهداف تقرير البحث :

واذا كانت التقارير قد تقدم لمجموعات متباينة من الجمهور ،فالمتوقع أن تكون هناك أهداف متباينة تحاول تقارير البحوث توصيلها لكل منهم.

والواقع أن التقرير يتأثر أيضا بالهدف الذى يسعى اليه الباحث من وراء اعداده . اذ يمكن للتقرير أن يلخص أو يوجز كل جهود البحث التى تراكمت فى ميدان معين ، ويتوقف هذا على معرفة فن كتابة التقرير ، بحيث يشتمل على كل نتائج البحث المتاحة ذات الدلالة ويقوم بتنظيمها فى بناء نظرى متماسك .

وبامكان التقرير أن يضف معلومة واحدة جديدة ، يمكن أن تضاف الى رصيد المعرفة المتاح . ويحتمل أن تكون هذه الاضافة مجرد عملية تحقق من مجموعة المفهومات أو النظرية المتوافرة ، أو اعادة تطبيق أو توسيع لها (معلومات معيارية) . أو قد يقترح بهذه الاضافة مفهومات أو نظريات جديدة تم التحقق منها (معلومات تطورية أو قياسية Paradigmic) . وهناك ميل الى التعبير عن المعلومات المعيارية كما لو كانت معلومات قياسية . وهذا الميل يسود بشكل واضح فى البحث الاجتماعى ، طالما لم يتوافر هناك الاتفاق اللازم فيما يتعلقبالتطابق بين المفهومات والمتغيرات، ونتيجة للطبيعة البدائية للقياس ولعدم دقة الاساليب المستخدمة فى البحث الاجتماعى ، فقد يستخدم باحثون مختلفون متغير واحد للاشارة الى مفاهيم عديدة . ولكن المتغيرات المختلفة التى تزعم أنها تشير الى نفس المفهوم ، لا تتطابق مع بعضها الآخر فى اثناء عمليات المعالجة الاحصائية الدقيقة . وهكذا يحول عدم الدقة فى الربط بين المعارف دون تطور الابنية النظرية . وعلى الباحث أن يجرى فحصا شاملا لاستخدامات الباحثين الاخرين لاى متغيرات ومفهومات يقوم بدراستها . ويحتمل بالصدفة أن تكون هذه الارتباطات المعرفية بين المفهومات والمتغيرات قد نوقشت سلفا وتم اختبارها امبيريقيا بمعرفة باحثين آخرين . الا اذا كان لدى الباحث المبررات النظرية التطبيقية الصادقة لرفض هذه المناقشات السابقة ، فان الباحث سوف يسدى للتراث العلمى خدمة كبيرة لو قاوم ذلك الميل الى

استحضار مفهومات جديدة في تفسيره للبيانات . وتعتبر المعلومات القياسية نادرة في التطور العلمي . اذن قد يهدف التقرير الى تقديم معلومات معيارية أو اخرى قياسية . والهدف الثالث من وراء كتابة التقرير هو البرهنة على الفائدة للمعلومات المقدمة للممارسين أو عامة الناس . وهنا لا يقوم الباحث في العادة بعرض أفكارا جديدة ومعلومات وانما يقوم باعلام القارىء بمضامن نظريات معينة أو مناهج وفوائدها الممكنة في العمل المهنى الذى يخص القارىء(١) .

رابعا ـ شكل التقرير واسلوبه :

يتوقف شكل التقرير والصورة التى يظهر بها وحجمه والتخطيط العام له أو هيكله والاسلوب المستخدم فى كتابته واللغة المعبرة عن افكاره ، يتوقف كل ذلك على الجمهور المستفيد من التقرير وعلى الهدف الذى يسعى التقرير الى تحقيقه .

١ ـ حجم التقرير :

لما كان التقرير ينظر اليه باعتباره تلخيصا لكل ما تم فى البحث ، ويمثل كل ما جاء فيه افضل العناصر والوسائل التى توصلنا الى الهدف(٢) فالمتوقع أن لا يزداد حجم التقرير عن الحد الذى يبعد فية عن فكرة التلخيص والايجاز والاختصار ويضم عناصر ووسائل قد لا يكون لها صلة بالهدف الذى يسعى اليه البحث وتعتبر زائدة عن المطلوب وتسهم في تضخم حجم التقرير بدون مبرر واضح . فكلما كان حجم التقرير معقولا ويضم العناصر الملائمة للهدف ، كلما اسهم فى توفير مادة مختصرة لا تكلف صاحبها ما لا طاقة له بها ولا تزيد من اعباء القارىء أو الجمهور المستفيد وعنائه فى مقاومة الجهود التى بذلت فى البحث .

٢ ـ صورة التقرير :

ويقصد بها الوسيلة medium التى يخرج بها التقرير الى حيز الوجود.

---

(1) Ibid, p. 359.
(2) W. J. Good, & P. K. Hutt, Op. Cit., p. 365.

وتشتمل الصور أو الوسائل المتاحة عموما أمام الباحث لكتابة تقريره على المقالات التى تنشر فى دوريات ، أو التقارير الفنية المحددة ، أو الرسائل monographs أو الكتب أو الفصول فى كتب ، أو العروض التى تقدم فى لقاءات أو مؤتمرات أو نشرات أخبار • وأكثر من ذلك يمكن فى اطار كل نوع من هذه الوسائل ، أن تعد وثائق مختلفة وصيغ لتناسب جمهور مستفيد معين • اذ هناك دوريات مختلفة وتتعامل مع أقسام متباينة من الجمهور المستفيد • بعضها يصدر للعلماء الذين يجرون بحوث أساسية وبعضها يصدر للممارسين ويصدر البعض الثالث لعامة الناس(١) •

وهناك على أية حال ، نوع من الارتباط بين الوسيلة أو شكل التقرير وبين الجمهور المستفيد • اذ يميل العلماء فى البحث الاساسى الى استخدام الدوريات والكتب باعتبارها منافذ تعبر عن جهودهم • ويميل العلماء فى البحث التطبيقى الى الاستعانة بالتقارير الفنية والرسائل • اما العلماء الذين يوجهون تقاريرهم لعامة الناس يميلون الى استخدام نشرات الاخبار أو وسائل الاعلام (المجلات والتليفزيون ٠٠ الخ) وهى وسائل متاحة أمام هذا الجمهور • وتحدد عملية التطابق بين وسيلة الاتصال الخاصة من ناحية والجمهور المستفيد والهدف من ناحية أخرى ، الى حد كبير ما اذا كان هذا التقرير سيلقى الاهتمام أم سيلقى عدم الاكتراث •

وليست هناك قيودا خاصة على عدد الاماكن التى يمكن فيها للبحاث أن يكتب تقرير لنتائج دراسته طالما كانت التقارير الاولية يتم الاستشهاد بها عادة فى التقارير اللاحقة • وغالبا ما تصدر الدراسة سلسلة من المنشورات والعروض • والقاعدة أن يعد الباحث أولا تقريرا ليعرضه فى مناسبة غير رسمية مثل الحلقات الدراسية التى تعقد فى القسم أو المعهد الذى يعمل به ، ويرسل الباحث مسودات من التقرير لزملائه الذين يعملون فى نفس الميدان حتى يحصل على تعليقاتهم ووجهات نظرهم بطريقة غير رسمية • ويحتمل بعد ذلك أن يعد الباحث تقريرا ليقدم فى مؤتمر أو لقاء يحضره العلماء من

---

(1) Nan Lin. Op. Cit., p. 360.

معاهد أخرى ومؤسسات على المستويات الاقليمية والقومية والدولية • وفى النهاية يصبح الباحث مؤهلا لاعداد مسودة من هذا التقرير مخطوطة طباعة تدفع للنشر فى احدى الدوريات أو الكتب • فقد يصدر كذلك نشرة اخبارية تذاع فى وسائل الاعلام • وباتباع هذا التعاقب فى وضع التقارير يمكن للباحث أن يستفيد من التعليقات والمقترحات التى يقدمها زملائه قبل أن ينهى تقريره ويقدمه للنشر •

والواقع ان نشر تقرير فى دورية لا يعدو أن يكون محاولة لا تتم ، وذلك لاسباب عديدة ، منها ضيق المساحة المخصصة للمقالات فى دوريات العلوم الاجتماعية ، وبسبب المعايير غير الدقيقة فى التقييم ، وزيادة معدل رفض الدوريات المعترف بها لما قد يصل اليها من مقالات ، وقد بلغ هذا المعدل ٩٥٪ لكل التقارير المطبوعة التى تتسلمها هذه الدوريات ، ونتيجة لذلك ينبغى أن ندفع بالتقارير المطبوعة الى أكبر عدد ممكن من الدوريات حتى تتاح لها فرصة النشر • وبرغم أن القاعدة الاخلاقية توجب علينا أن ترسل مسودة التقرير المطبوعة الى دورية واحدة فقط فى وقت محدد • الا أن الوقت الذى يضيع فى عملية الارسال والرد غير قصير حيث يستغرق فى المتوسط ٢٥ شهرا بين المؤسسة التى أجريت البحث الى الدورية التى تنشر التقرير فى العلوم الطبيعية ، والى حوالى ٣٥ شهرا فى العلوم الاجتماعية • وهناك اتفاق غير رسمى بين العلماء يسهم فى استمرار عملية النشر المطولة هذه ، وهى أنه ينبغى على أية معلومة تضاف الى رصيد المعرفة أن يتم تقييمها أولا بمعرفة علماء اكفاء فى الموضوع وبعدها تنشر فى الدورية المعترف بها من جانبهم قبل أن تصدر بهذه المعلومة نشرة اخبارية فى وسائل الاعلام أو يعرفها جمهور الناس • وهذا الاجراء يحافظ على القيمة المتميزة لرصيد المعرفة ، الى درجة تعمل على استمرارها فى أن تتمتع بتقدير الجميع باعتبارها معرفة مقبولة بين العلماء فى ميدان هذا الموضوع • وهذا أيضا يعمل على اطالة الفترة الزمنية من كتابة التقرير وصولا الى مجتمع العلماء حتى يقدرها الممارسون وصناع السياسة والجمور كمعلومة جديدة تفيدهم فى حياتهم العملية(١) •

Ibid, p. 360.

ويتوسل الباحثون بالطرق المختصرة للتقليل من هذا التاخير • أو عادة ما يستعان بالتقارير الفنية والرسائل التى يقوم زملاء الباحث بمراجعتها كوسيلة فى النشر • وبرغم أن هذه الوسائل تعانى بالضرورة من افتقارها الى التقييم واعتراف المتخصصين ، الا أنها تمدنا بوسيلة اتصال سريعة وفعالة بين الباحث والجمهور المستفيد ، بخاصة الممارسون وصناع السياسة وجمهور الناس ، ولكن تظل هناك مشكلة الى أى حد يمكن أن نعترف بقيمة معلومات لم يتم تقييمها ، والى أى حد يمكن للجمهور الذى يفتقر الى الكفاءة فى القيام بمثل هذا التقييم ، ان يستخدم مثل هذه المعلومات وبأى قدر من الثقة ؟ ونستطيع التخفيف من هذه المشكلة بعض الشىء من خلال الطلب المتزايد على استعانة الهيئات والمؤسسات بالعلماء كمستشارين فى مجال تقييم المعلومات العلمية المفيدة غير أن هذا يثير قضية انشغال العلماء فى المؤسسات ذات الاهداف المتباينة سواء اكان على العلماء أن يرتبطوا هم انفسهم بما تنطوى عليه نشاطات هذه المؤسسات من أهداف غير ظاهرة • وهذة قضية اخلاقية أخرى من قضايا البحث تستحق منا النظر(١) •

٣ ـ هيـكل التقـرير :

وفى اللحظة التى يستقر فيها الباحث على الحجم الذى يظهر به التقرير ، واختصار ما يراه مناسبا من عناصر توصله الى أهدافه ، وينتهى من تحديد الوسلية أو الصورة التى سيكون عليها تقريره ـ مقال أو رسالة أو فصل فى كتاب • • الخ ـ عليه أن يبدأ باعداد تخطيط مفصل لهذا التقرير • وبرغم أنه قد يكون من الصعب على الكثير من الباحثين التوصل الى تقرير واضح ومنظم تماما لبحوثهم ، وان كل ما يمكن لهم التوصل اليه هو مجرد فكرة عامة أو غامضة عن الشكل النهائى وهيكل تقرير بحثهم • الا أن اعداد تخطيط مفصل لهذا التقرير يسمح للباحث بأن يركز كلية على ما يجب قوله أو ادراجه فى هذا التقرير ، بحيث أنه اذا استطاع الباحث أن يتصور بناء هيكل التقرير على هذا التخطيط ، فانه يمكن له بالنظر الى الخطوط الرئيسية لهذا المخطط أن يدرك بسهولة ما اذا كان التقرير قد اشتمل على

---

(1) Ibid, p. 361.

كل النقاط الهامة وما اذا كانت هناك نقاط أخرى هامة قد أغفلت ؟ . كما يساعد هـذا التخطيط بما ينطوى عليـه من تحـديد واضح للموضوعات الرئيسية . وكذلك الفرعية وغيرها من تقسيمات، يساعد على تركيز الانتباه كله على العلاقات المنطقية بين العناصر المختلفة فى المادة التى يعالجها . كما يعمل هذا التخطيط على تسهيل عمليات تسلسل واستمرارية خط التفكير، ويعين على الانتقال بوضوح عن موضوع الى آخر ، ويمكننا من تجميع كل النقاط المتقاربة معا حول موضوع واحد(١) .

وزيادة فى حسـن تنظيم التقرير وتخطيط هيكـله يمكن الاشـارة الى بعض الوسائل التى تحقق هذا الهدف ، وبخاصة أسلوب العناوين الرئيسية والفرعية والهوامش والحواشى والاحصائيات أو الجداول الاحصائية والرسوم البيانية والخرائط التوضيحية .

أ ـ العناوين الرئيسية والفرعية للموضوعات :

يسهم استخدام أسلـوب العناوين الرئيسية والفرعية للموضـوعات أو المادة أن يضمها التقرير فى وضوحها خاصة وان هذه العناوين توجه انتباه القارىء نحـو المعلومات المعروضة فيه وكيفية تنظيمها . كمـا تسهل على الكاتب مهمة أن يرى أخطاؤه ، هذا فضلا عن أنه لما كان من الصعب على القارىء أن يتابع موضوعات التقرير التى تمت مناقشتها على طول ٥٠ أو ١٠٠ صفحة بدون وجـود عناوين لها كان من الصـعب عليه أن يتذكر كل التفاصيل التى قرأها مرة واحدة ، غير أن هذه العناوين تساعده على تتبع الفقرات وادراك الاساس الذى يقوم علية تنظيمها ، خاصة وأنها تساعد على تقسيم العرض الى وحدات صغيرة لها عناوين محددة مما يمكننا من أدراك حدود التقرير . كما يساعد استخدام عناوين واضحة على أن يظل كاتب التقرير قادرا على التركيز فى نقاط معينة وتحول دون أن يخرج فى كتابته عن حدود تنظيم هذا التقرير(٢) .

---

(1) T. S. Wilkinson & p. L. Bhandarkar, Op. Cit., p. 332.

(2) W. J. Good, & P. K. Hatt, Op. Cit., p. 368.

ب ـ الهوامش والحـواشى :

واذا كان أسلـوب العناوين الرئيسية والفرعية يسـهم فى تنظيم المادة الاساسية التى يشتمل عليهـا (متن) التقرير ، فـان الباحث قـد يجد فى أسلوب الهوامش والحواشى ما يعينه على تنظيم بقية المـادة التى توصل اليها ولا يجد لها مكانا مناسبا فى متن التقرير . والـواقع انه يعلق على أسلوب الهوامش والحـواشى فى تقارير البحوث أهمية كبـيرة . ذلك لانها تفيد فى ابراز أفضال أولئك الذين سبقوا فى تناول المشكلة التى ندرسها فى هذا التقرير ، كمـا تعتبر غيابه دفاعا قـويا وفعليا من ما قام بـه هؤلاء الباحثون من اضافـات علمية تحققت على أيديهم . وتسـاعد الهـوامش والحواشى فى اطلاع القارىء على مدى الاهتمام بهذه المشكلة التى يدرسها البحث ، فى التراث ، والمواقع الذى يمكن أن يجد فيها المزيد من المعرفة التفصيلية حول هذه المشكلة ، ويشير الى السياق الاكبر لها ، ويعمل على التمييز بين الاسهامات التى أضافها البحث ، وبين غيرها من اسهامات كان قد أضافها هؤلا ءالباحثون السابقون ، الامر الذى يسهل من ناحية امكانية تقييم جهود هـذا البحث ، ويعمل من نـاحية أخرى على حمـايته من الهجوم والنقد(١) .

جـ ـ الجداول الاحصائية والرسوم البيانية والخرائط :

تفيد الجداول الاحصائية فى التدليل على الاستنتاجات التى تم التوصل اليها ، وتعتبر الرسوم البيانية من أكثر الاساليب شيوعا فى البرهنة على الاتجاهات ، وتستخدم الخرائط فى التحليل الايكولوجى وتوضيح الحدود الطبيعية للمجتمع المدروس مثلا ، غير أن هذه الاساليب لا تساعد فقط على تقديم وعرض البيـانات فى شكل يسهل قراءته وانمـا تسهم كذلك فى فهم الافكار واتاحة الفرصة لعقد المقارنات . وعلى ذلك تبدو أهمية الاستعانة بالجداول الاحصائية من الرسوم البيانية والخرائط فى حسن تنظيم هيكل البحث ، ولسنا فى حاجة الى أن نؤكـد أن اعداد الجـداول والرسومات والخرائط يتطلب عناية كذلك . فالمتبع عادة أن تجد هذه المواد مكانا لها

(1) Ibid, p. 367.

فى ملاحق البحث، كما أن المعتاد أن ندرج النتائج الرئيسية التى استخلصناها من هذه الجداول والرسوم فى متن التقرير ونصه الاصلى ، بحيث أنه اذا احتاج القارىء الى تفاصيل أكثر يمكن أن يجدها فى الملاحق ، والقارىء الذى لا يرغب فى التوقف لدراسة الجداول بامكانه أن يحصل على كل المعلومات ببساطة من خلال قراءة النص ·

وفى اللحظة التى يتم فيها اعداد هذا التخطيط، من الضرورى مراجعته بعناية للتأكد مما اذا كان هناك أى شىء هام قد تم حذفه وما اذا كانت الافكار التى تم تجميعها معا ترتبط فيما بينها ارتباطا منطقيا أم لا ؟ وقد يكون من المفيد أن نترك شخصا آخر يقوم بقراءة هذا التخطيط ويقوم بالتعليق عليه · وعندئذ اذا ظهرت هناك تغييرات فى البناء الاساسى للتقرير وبدت على أنها جوهرية ، فانه يمكن ادخالها قبل الشروع فى الكتابة الفعلية للتقرير · وعلى المدى الطويل ، يمكن توفير الوقت بكتابة المسودة الاولى للتقرير بالسرعة الممكنة · وعندما يظهر على الورق ، يكون باستطاعة الباحث أن يعود مرة ثانية ويعيد كتابة الجمل والفقرات ، مع مراعاة كافة هذه الملاحظات(١) ·

٤ ـ أسلوب التقرير ولغته :

هناك أساليب كثيرة للكتابة تستخدم فى وضع تقارير البحوث منها : الاسلوب المباشر الذى يكتب على لسان الشخص «اكتشفت ···» والاسلوب غير المباشر الذى يكتب على لسان الآخر « تم اكتشاف ···» وبرغم أنه ليس هناك اجماع على أسلوب معين منها ينبغى أن نأخذ به فى كتابة تقارير البحوث ، الا أنه يفضل عموما الاستعانة بالاسلوب غير الشخصى أو غير المباشر ·· وقد ظهر أخيرا اتجاها متزايدا نحو استخدام أسلوب الجملة الايجابية التى تبدأ «تشير البيانات الى ···» بدلا من أسلوب الجملة السلبية «من المقترح ···»(٢) فضلا عن استخدام أسلوب الجملة ذات

---

(1) T. S. Wilkinson & P. L. Bhandarkar, Op. Cit., p. 332.

(2) Nan Lin, Op. Cit., p. 361.

البناء البسيط ٠ والعبارة العلمية السهلة المستقيمة التى تفيد فى البرهنة والتدليل على نتائجه وبعيد عن العبارات الادبية والشعرية التى تميل الى الاغواء والاقناع(١) ٠ ويهتم بالعبارة الواضحة ذات البناء اللغوى الصحيح، وذلك لان من وظائف القواعد اللغوية المساعدة على استخدام اللغة بالطريقة التى تمكنا من توصل ما نريده مع أقل قدر من الغموض ، وليس هناك ما يضير الباحث فى استشارة ذوى الخبرة والتخصص فى اللغة أو غيرها وما قد يعينه فى التغلب على المشكلات الخاصة باختيار أسلوب كتابة التقرير واللغة المناسبة له(٢) ٠ طالما كانت كتابة تقارير البحوث نوع من الفن ، ويحتاج الامر الى البحث عن الاسلوب الافضل فى الكتابة الذى يجعل القارىء مهتما بما يعرض عليه ، فلا يرسى الجملة وراء الجملة بأعداد كبيرة فيشعر القارىء بالملل(٣) ٠

خامسا ــ مضمون التقرير وتنظيمه :

يتوقف مضمون التقرير أو المحتوى الذى يتكون منه هذا التقرير وكذلك تنظيمه أو ترتيب هذا المضمون وتوزيعه على أقسام التقرير المتباينة ، يتوقف على نوعية الجمهور المستفيد وعلى الهدف الذى يسعى اليه التقرير. ومن هنا كان من المتوقع أن يختلف مضمون التقرير ومحتواه باختلاف هذا الجمهور والهدف ، وتظهر هناك أطر مختلفة فى تنظيم محتويات تقاير البحوث ٠غير أننا سنركز هنا على مضمون التقرير الذى يقدم لجمهور العلماء وزملاء التخصص ٠ فهناك اطار واحد أكثر شيوعا يعتبر بمثابة التقرير النموذجى من حيث المضمون والتنظيم(٤) ويشتمل على العناصر التـــــالية :

أ ــ توضيح للمشكلة التى تعنى بها الدراسة ٠

---

(1) W. J. Good, & P. K. Hatt, Op. Cit., p. 364.

(2) T. S. Wilkinson, & P. L. Bhandarkar, Op. Cit., p. 332.

(3) H. F. Weisberz, & B. Bown Op. Cit., p. 225.

(4) Ibid. p. 224.

ب ـ الاجراءات المنهجية للبحث وتنطوى على :

١ ـ تصميم الدراسة ٠

٢ ـ الاستراتيجية المنهجية ٠

٣ ـ طريق البحث ٠

٤ ـ مجتمع البحث وطبيعته الفنية ٠

٥ ـ أساليب جمع البيانات ٠

٦ ـ مناهج التحليل الاحصائى أو الكيفى ٠

ج ـ النتائج الاساسية والاستخلاصات ٠

د ـ مضامين نتائج البحث بالنسبة للنظرية والتطبيق(١) ٠

أ ـ توضيح مشكلة البحث :

عادة ما يبدأ تقرير البحث بتوضيح للمشكلة التى يدور حولها البحث ويركز عليها جهوده مع تقديم المبررات النظرية والتطبيقية الكافية التى تؤكد أن هذه المشكلة تستحق ما بذلناه فيها من جهد ٠ وعموما ينصرف توضيح مشكلة البحث نحو تناول الموضوعات التالية :

١ ـ مقدمة عامة للميدان الذى تقع فيه مشكلة البحث ٠

٢ ـ عرض مختصر للبحوث السابقة فى هذا الميدان وذات الصلة بمشكلة البحث مما يساعد على وضع الدراسة فى السياق الملائم لها ٠

٣ ـ عرض للقضايا التى تطرحها الدراسة ، وابراز القضايا الاساسية التى تركز عليها ٠ والقاء الضوء على الفروض التى تنطلق منها الدراسة ، كلما كان ذلك ممكنا ، وتقديم التعريفات الشكلية والاجرائية للمفهومات الاساسية التى استعان بها البحث ٠

وينبغى توضيح العلاقات بين هذه العناصر والموضوعات ، والاشارة

---

(1) T. S. Wilkinson, & P. L. Bhandarkar, Op. Cit., p. 328.

صراحة الى التسلسل المنطقى للافكار المشتقة من النظريات القائمة ، ثم الى الفروض والمفهومات وأخيرا نتائج البحث(١) . على أن يحرص الباحث فى عرضه لهـذه الموضوعات أن يبين موقفه من هـذه القضايا فى ميـدان مشكلته ويبرز الاسهام الحقيقى الـذى أمكن له اضافته وأثره على التقدم النظرى والمنهجى فى هذا الميدان وأن يشير فى الوقت نفسه الى أوجه الضعف والقصور التى اشتمل عليها هذا الجهد(٢) .

ب ـ الاجراءات المنهجية للبحث :

ويحتاج القارىء المتخصص الى معرفة الكيفية التى أجريت بها الدراسة بالتفصيل الدقيق . فهو فى حاجة الى أن يعرف ما هـو التصميم الاساسى للدراسة . فاذا كان التصميم المعمول من النوع التجريبى ، يريد القرىء أن يعرف ما هو طبيعة المعالجات التجريبية ، وما هى النقطة أو المواضيع التى تم عندها أخذ القياسات القبلية والبعدية ... الخ .

كما ينبغى اطـلاع القارىء المتخصـص على وسائل جمع البيـانات المستخدمة فى اجراء هـذه الدراسة . فاذا كانت الاساليب المستخـدمة هى الاستخبارات أو المقابلات الشخصية ، فما هى بالضبط الاسئلة التى طرحت؟ وما هى نوعية الخبرة التى حصلها القائمون بالمقابلات ؟ وكيف تم تدريبهم عليها ؟ واذا كان القياس يعتمد على الملاحظة ، فما هى التعليمات التى حددت للقائم بالمـلاحظة ؟ وكيف تم ترجمة الملاحظات والاجـابات على الاسئلة الى قياسات للمتغيرات التى تهتم بها الدراسة ؟ مثلا ، أى أنواع السلوك الملاحظ ينظر اليه على أنه ملائم ؟ أو أى الاجابات تشير الى الروح المعنوية العالية(٣) .

ويحتاج القارىء أيضا الى أن يعرف كيف تم التحقق من ثبات وصدق أدوات القيـــاس .

---

(1) Ibid, p. 328.

(2) Nan Lin, Op. Cit., p. 362.

(3) T. S. Wilkinson, & P. L. Bhanarker, Op. Cit., 328.

وفيما يتعلق بالعينة المدروسة فى البحث ، يحتاج القارىء الى أن يعرف من هم المفحوصين ؟ وما هو حجم العينة ؟ وما هو أسلوب سحب العينة ؟ ... الخ • وتعتبر هذه المعلومات حيوية فى مساعدة القارىء المتخصص والتى يفترض أن يكون مطلعا عليها كواحد من فئة العلماء ليتمكن من تقدير الحدود الممكنة لامكانية تعميم النتائج • وقد تكون الدراسة المركزة على عدد صغير من الحالات والتى لا تشكل عينة عشوائية أخذت من جمهور ذو خصائص محددة ذات قيمة كبيرة • ولكن ينبغى أن نوضح عدد وخصائص المفحوصين الذين ادخلت دراستهم لنتائج البحث ، حتى يتمكن القارىء المتخصص من استخلاص استنتاجاته فيما يتعلق بدرجة تمثيل هذه النتائج•

ويهم القارىء المتخصص أيضا كل ما يتعلق بتحليل البيانات • فهو فى حاجة الى أن يعرف الاساليب المستعان بها فى تحديد ما اذا كانت المجموعات تختلف فيما بينها من حيث خصائص معينة (مثل التعليم) وتوضح له أن هذه الاختلافات بالقياس المناسب تفوق أى اختلاف يتوقع بالصدفة • وعادة ما نذكر اسم الاسلوب المستخدم (اختبار T أو اختبار Z) ونشير الى مستوى الثقة الذى قبله الباحث فى تقرير ما اذا كانت الفروق لها دلالة أم لا؟(1) •

جـ ـ النتائج الاساسية والاستخلاصات :

والقاعدة الاساسية فى عرض النتائج أن نقدم كل الشواهد ذات الصلة بمشكلة البحث سواء أكانت هذه النتائج تتطابق مع وجهات نظر الباحث أم تتعارض معها •

وهذه هى القاعدة التى يعمل حسابها فى وضع التقرير العلمى • فالمؤلف فى ميدان العلم ليس حرا فى اختيار ما سوف يميل اليه وما سوف لا يميل اليه الا أن عليه أن يظل حريصا على القيام بنوع من الاختيار فى ضوء ما هو مناسب وذو صلة بموضوعه اذ يمكن أن يسترشد القرار الذى يحدد ما هو مناسب أساسا بمشكلة البحث والفروض (اذا كانت هناك فروض) التى تعنى بها الدراسة •

---

(1) Ibid., p. 329.

د ـ مضامين نتائج البحث بالنسبة للنظرية والتطبيق :

وعادة لا يكون مجرد التعبير عن النتائج كافيا لتوصيل ما تنطوى عليه من معانى ، فالقارىء يهمه المضامين التى تنطوى عليها النتائج فيما يتعلق بالفهم الشامل والاوسع للحياة الاجتماعية أو السلوك الانسانى[1] . ولذلك كان من الضرورى مناقشة مضامين النتائج والاستخلاصات وقيمتها بالنسبة للنظرية والتطبيق . وتشتمل مناقشة هذه المضامين على الجوانب الرئيسية التـــالية :

التعبير عن الاستخلاصات المستنبطة من نتائج الدراسة والتى قد يتوقع امكانية تطبيقها على مواقف مماثلة . أو ربط الاستخلاصات بنتائج البحوث السابقة والقضايا النظرية فى ميدان البحث دعنا نضرب مثالا على ذلك : فاذا كان الباحث قد وجد أن هناك أداءا أفضل فى مستوى تعلم الطلاب فى مواقف الفصل الدراسى ، تلك التى تتميز بالمناخ الديموقراطى (وقد يطلق المناخ الديموقراطى فى الفصل الدراسى على أنه ذلك الذى يتميز بالحرية المتاحة للطلاب فيما يتعلق باختيار المشكلات التى تحتاج الى مناقشة وانتقاء قائد المناقشة . ومساءلة المدرس ... الخ) ، فقد يستخلص الباحث نتيجة مفادها:أنه فى مواقف أخرى يمكن أن تتاح فيها مثل هذه الحرية للمشاركين، فى اختيارهم لمشكلات المناقشة بينهم أو اختيــار قائد المناقشة ... الخ ، يمكن أن نلاحظ فى هذه المواقف نتائج مماثلة ، وعلى أية حال ، فقد يرغب الباحث فى أن يرتفع باستنتاجاته الى أعلى مستوى فى التجــريد ، وعلى الاخص اذا كانت هناك نظرية حديثة التكوين يمكن أن يربط بها نتائجه أو اذا كان هناك دراسات أخرى قد عنيت بمشكلات مختلفة غير أنه يمكن تفسيرها فى ضوء نفس الفكرة المجردة . فقد يجد الباحث مثلا أن المدرسين عموما يشعرون بعدم الرضا أو عدم السعادة برغم التحسينات فى مرتباتهم وذلك راجع الى أن العاملين فى الوظائف الاخرى قد أعيد النظر فى مرتباتهم وبالزيادة وظهر للمدرسين أن غيرهم من موظفين قد فاقوهم فى هذه الزيادة،

---

(1) Ibid, p. 330.

وقد يعالج الباحث هذه المسألة (التى تتميز بعدم الرضا بين المدرسين برغم تحسين مرتباتهم) كمثال على المفهوم المجرد والمتعلق بالحرمان النسبى (relative depriviation) (1) • وعلى أساس هذا المفهوم، قد يتمكن الباحث من الربط بين نتائج دراسته وبين نتائج بعض الدراسات الاخرى التى انتهت الى أنه فى المجتمع المحلى الذى يتعرض لكارثة طبيعية فان بعض السكان الذين عانوا هم أنفسهم وفقدوا ممتلكاتهم وانطلق هؤلاء المصابون bereavement الى مساعدة أسر غيرهم بسبب ما تعانيه هذه الاسر الاخرى من فقد وحرمان كما أحس بهم أولئك الذين هبوا الى مساعدتهم، وكانوا بنسبة كبيرة بالمقارنة بنسبتهم • وبرغم أن هذه الظاهرة تختلف عن الظاهرة المشار اليها سلفا فى المضمون الا أنه بالامكان فهمها فى ضوء نفس الفكرة المجردة التى تفسر عدم الرضا بين المدرسين برغم المكاسب المتزايدة التى حققوها • فالاشخاص الذين قد أصابهم الفقد والحرمان فى المثال الثانى قارنوا ما يفقدوه بما فقده غيرهم من سكان فى المجتمع المحلى ووجدوا أن خسارتهم أقل بكثير من غيرهم وأنهم كانوا فى ظروف أفضل بالمقارنة بظروف غيرهم، ومن ثم نمى لديهم شيئا من التعاطف بأحوال غيرهم، برغم أنهم فى حاجة من الناحية الموضوعية الى من يتعاطف معهم(2) •

كما ينبغى أن تشتمل مثل هذه المناقشة لنتائج الدراسة على التساؤلات الجديدة التى تثيرها الدراسة، وعلى اقتراحات لانواع من البحوث التى يحتمل أن تساعد فى الاجابة على هذه التساؤلات • وينبغى أن يشمل ذلك أيضا كل التساؤلات وثيقة الصلة التى لاتزال فى حاجة الى اجابة فى المستقبل •

سادسا ـ المسئولية الاختلاقية فى كتابة التقرير :

على الباحث كاتب التقرير أن يتحمل مسئوليته الاخلاقية فى كتابة التقرير • وتشتمل هذه المسئولية على :

١ ـ حماية المفحوصين أو الذين ساعدوه فى الدراسة •

---

(1) Ibid, p. 330.
(2) Ibid, p. 331.

٢ – تقديم المعلومات الكاملة والدقيقة ٠

اذ على الباحث عندما أكد للمفحوصين أن ما يدلون به من بيانات سيتم المحافظة على سريتها ، عليه أن يتأكد من أن هذه السرية محفوظة ٠ وهذا الامر يعد حاسما وحيويا خاصة عندما تتعلق البيانات بأوجه نشاط غير قانونية أو شاذة ٠ فعلى الباحث شأنه شأن الصحفى أن يحمى مصادر معلوماته وهناك كثير من الجدل والنقاش حول المدى الذى ينبغى اليه الاعتراف بالمسئولية الاعلاقية للباحث ٠ فمثلا فى دراسة للمجرمين ، هل يمكن للباحث حماية من ارتكبوا القتل والذين لم يتم بعد الكشف عن جرائمهم بمعرفة الهيئات التى تدعم القانون ؟ أو هل على الباحث الذى يدرس باعة العقاقير غير القانونية أن يفشى سر شخصياتهم ؟ وتبدو مثل هذه الحماية من وجهة نظر المجتمع غير أخلاقية ٠ وعلى اية حال ، اذا تم الحصول على بيانات الباحث من مفحوصين قد وعدهم الباحث بأنه لن يكشف عن شخصياتهم ، فان على الباحث أن يلتزم بالمحافظة على هذا الوعد ٠ ولقد تعرض أخيرا ، العديد من الباحثين لخطر الادانة والسجن فى اضطلاعهم بهذه المسئولية الاخلاقية وحماية شخصيات المفحوصين(١) ٠

وعلى الباحث ايضا مسئولية أخلاقية تلزمه بأن يقدم المعلومات الكاملة والدقيقة وان يبذل اقصى ما يستطيع من قدراته ومعارفه٠وتتمثل المعلومات الدقيقة فى المعلومات غير المتحيزة من خلال التحريف المتعمد والتلاعب والمراوغة بالبيانات من جانب الباحث واعوانه ٠ ولا يعكس عرض جانب واحد فقط من المعلومات بالرغم من أنها قد تكون دقيقة ، لا يعكس الالتزام بالمسئولية الاخلاقية للباحث ٠ ولا ينبغى أن يسمح لضغوط النشر أن تتدخل فى عرض الباحث للمعلومات الدقيقة والكاملة ٠ ولسوء الحظ ، قد يكون هناك ميلا كبيرا لعرض النتائج الايجابية فقط ٠ وترفض الكثير من الدوريات على سبيل المثال نشر النتائج التى لم توفق فى تأييد الفروض المراد اختبارها ، بسبب المشكلة العملية المتعلقة بتوزيع المساحات المحدودة

---

(1) Nan Lin, Op. Cit., p. 363.

بها ٠ ولا يشجع هذا الاجراء بطريقة مباشرة توثيق النتائج غير الموائمة أو التى تهدم حتى البناء القائم للمعرفة من ناحية ، ويشجع فقط نشر النتائج الايجابية من ناحية أخرى ٠ وينبغى التغلب على نظرات سياسات التحرير مع زيادة توافر الدوريات وغيرها من أساليب النشر فى ميدان التخصص أمام الباحثين ، وكلما شارك العلماء فى القرارات المتعلقة بالنشر والتحرير كلما قدرت أهمية الاسهامات الايجابية للنتائج السلبية فى تعديل وتطوير الابنية النظرية(١)٠وفى نفس الوقت٠على الباحث أن ينجز عمله ملتزما بالمستويات الاخلاقية العليا٠وسوف لايحول سوء العرض أو النقص فى عرض المعلومات فقط دون نمو المعرفة العلمية ، وانما قد يظهر الاعتراف والتقدير للباحث عندما يحاول باحثون آخرون تكرار أو تطرير بحثه ٠

(1) Ibid, p. 364.

المراجـــــع

أولا ـ مراجع بلغة عربية ومترجمة :

١ ـ د٠ ابراهيم أبو لغد ود٠ لويس مليكة ، البحث الاجتماعى : مناهجه وأدواته ، مركز التربية الاساسية فى العالم العربى ٠ سرس الليان ، ١٩٥٩ ٠

٢ ـ د٠ أحمد عبادة سرحان ، مقدمة فى الاحصاء الاجتماعى ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ ٠

٣ ـ د٠ أحمد خليفة ، المنهج العلمى والاشتراكية ، الدار القومية للطباعة والنشر ٠

٤ ـ أفلاطون ، الجمهورية ، ترجمة حنا خباز ، مطبعة المقتطف والمقطم ، ١٩٢٩ ٠

٥ ـ ارسطو ، السياسات ، ترجمة الاب أوغسطينس بربارة البوليسى ، بيروت ، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الانسانية ، ١٩٥٧ ٠

٦ ـ د٠ السيد محمد خيرى ، الاحصاء فى البحوث النفسية والتربوية والاجتماعية ، دار النهضة ، ١٩٧٠ ٠

٧ ـ انــــدروز ، منــاهج البحث فى علــم النفس ، ترجم باشراف د٠ يوسف مراد ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٩ ٠

٨ ـ د٠ توفيق الطويل ، قصة الاضطهاد الدينى فى المسيحية والاسلام٠ دار الفكر العربى ، ١٩٧٠ ٠

٩ ـ د٠ جمال زكى والسيد يس ، أسس البحث الاجتماعى ٠ دار الفكر العربى ، ١٩٦٢ ٠

١٠ ـ د٠ حامد عمار ، المنهج العلمى : وضعه وحدوده ، معهد الدراسات العربية العالية ، جامعة الدول العربية ، ١٩٦٠ ٠

١١ ــ حسن محمد حسين ، البحث الاحصائى ، أسلوبه وتحليل نتائجه ٠ مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٢ ٠

١٢ ــ د٠ عبد الباسط محمد عبد المعطى ٠ علم اجتماع الادب ٠ المجلة الاجتماعية القومية ٠

١٣ ــ د٠ عبد الباسط محمد حسن ، أصول البحث الاجتماعى ، مطبعة لجنة البيان العربى ، ١٩٦٦ ٠

١٤ ــ د٠ غريب سيد احمد ، الطبقات الاجتماعية ، الجزء الاول : النظرية والقياس ، دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٣ ٠

١٥ ــ د٠ غريب سيد أحمد ، الجماعات الاجتماعية ، دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٣ ٠

١٦ ــ د٠ غريب سيد أحمد ود٠ عبد الباسط محمد عبد المعطى ، البحث الاجتماعى ، الجزء الاول : المنهج والقياس ، دار الكتب الجامعية ١٩٧٤ ٠

١٧ ــ د٠ غريب سيد أحمد ود٠ عبد الباسط محمد عبد المعطى ، البحث الاجتماعى ، الجزء الثانى : التصميم والاجراءات ، دار الجامعات المصرية ، ١٩٧٥ ٠

١٨ ــ د٠ غريب سيد أحمد ود٠ عبد الباسط محمد عبد المعطى ود٠ على عبد الرزاق جلبى ، المدخل الى علم الاجتماع المعاصر ، دار الكتب الجامعية ، ١٩٧٤ ٠

١٩ ــ د٠ سيد عويس ، من ملامح المجتمع المصرى المعاصر ، ١٩٦٥ ٠

٢٠ ــ الدكتور سيد عويس وآخرون ، النشل عند الاحداث ، المجلة الجنائية القومية ، المجلد الحادى عشر ، نوفمبر ١٩٦٩ صص ٥٠٩ ــ ٥٢٢ ٠

٢١ ــ ليفى بريل ، فلسفة أوجست كونت ، ترجمة د٠ محمود قاسم ود٠ السيد بدوى ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٢ ٠

٢٢ ـ د. محمد زهره ، ببليوجرافيا الدراسات السكانية فى الوطن العربى معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة .

٢٣ ـ د. محمد عارف عثمان ، المفهوم الاجتماعى للرشوة ، المجلة الاجتماعية القومية ، ١٩٥٦ .

٢٤ ـ د. محمد عاطف غيث . علم الاجتماع ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٣ .

٢٥ ـ د. محمد عاطف غيث . القرية المتغيرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢ .

٢٦ ـ د. محمد طلعت عيسى . تصميم وتنفيذ البحوث الاجتماعية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٧١ .

٢٧ ـ د. محمد عاطف غيث ، دراسات فى علم الاجتماع التطبيقى دار الكتب الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٧٣ .

٢٨ ـ د. محمد عاطف غيث ، الموقف النظرى فى علم الاجتماع ،دار الكتب الجامعية ـ الاسكندرية ، ١٩٧٣ .

٢٩ ـ د. محمد على محمد ، علم الاجتماع والمنهج العلمى ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٨١ .

٣٠ ـ د. محمود عوده ، الهجرة الى مدينة القاهرة ، دوافعها وانماطها وآثارها ، المجلة الاجتماعية القومية ، العدد الاول ، يناير ١٩٧٤ ـ المجلد الحادى عشر ص‌ص ٥ ـ ٦٠ .

٣١ ـ د. محمود قاسم ، المنطق الحديث ومناهج البحث ، مكتبة الانجلو ، الطبعة الثالثة .

٣٢ ـ المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، السرقة عند الاحداث ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

٣٣ ـ المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، البغاء ؛ القاهرة ، مسح اجتماعى ودراسة اكلينيكية ، القاهرة ، دار ومطابع الشعب ، ١٩٦١ ٠

٣٤ ـ المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، دليل المجلة الجنائية القومية ، القاهرة ـ العدد الثانى ، يوليو ، ١٩٧١ ٠

٣٥ ـ المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، دليل المجلة الاجتماعية القومية ، القاهرة ، ١٩٧١ ٠

٢٦ ـ المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، قائمة باعمال المشتغلين بعلم الاجتماع ، القاهرة ، غير منشور ٠

٣٧ ـ المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ،تعاطى الحشيش، التقرير الاول ، القاهرة ، ١٩٦٠ ٠

٣٨ ـ د٠ مصطفى الخشاب ، النظريات والمذاهب السياسية ، مطبعة لجنة البيان العربى ، ١٩٥١ ٠

٣٩ ـ د٠ مصطفى سويف ، مقدمة لعلم النفس الاجتماعى ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٠ ٠

٤٠ ـ منظمة تطوير العلوم الاجتماعية فى الشرق الاوسط ، دليل المشتغلين بالعلوم الاجتماعية ، الجامعة الامريكية القاهرة ، ١٩٧٨ ٠

٤١ ـ د٠ نجيب أسكندر ود٠ لويس مليكه ود٠ رشدى فام منصور ، الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعى ، مؤسسة المطبوعات الحديثة ، ١٩٦١٠

ثانيـا ـ المراجـع الاجنبية :

1. Ackoff, Russell L., The Design of Social Research, Chicago, 1953.
2. Barron, M. (ed.), Contemporary Socioligy. New York, 1965.
3. Bymer, J. & R. M. Stribley, Social Research Priniciples and Procedures, Longman Open Univer, New York, 1979.
4. Cochran, W. G., Sampling Techniques, New York, 1953.
5. Deutrcher, Irvin, Public & Private Opinions, In : Nagi & Corwin (eds) The Social Context of Research, New York, 1972.
6. Fallding, H., The Sociological Task, New York, 1968.
7. Farichild, Dictionary of Sociology, New York, 1944.
8. Festinger, Leon & D. Katz. Research Methods in Behavioral Sciences, New Delhi, 1970.
9. Frank, L. K., Projective Methods, Illinois, 1948.
10. Goode, William & Paul K. Hatt, Methods in Social Research, New York., 1952.
11. Hagood, M. J., & D. O., Price, Statistics for Sociologists, New York, 1952.
12. Klopfer, Brano et. al., Development in The Rorschach Technique, New York., 1954.
13. Krausz E. & S. H. Miller, Social Research Design, Longman,. London, 1974.
14. Labovitz S. & G. Hagedorn, Introduction to Social Research edt, McGraw - Hill Book Company, New York, 1971.

15. Leedy, paul. d. Practical Research, Planing & Design, Macmillan, pul. Co, Inc, New York, 1974.

16. Lin, Nan Foundations of Social Research, McGraw Hill, Book, Comp. New York, 1976.

17. Lundberge George A. Social Research, New York, 1948.

18. Mayer Robert R. & Ernest Green Wood, The Design of Social Policy Research, Prentice - Hall Englewood, Clife, New Jersey,

19. Merton, R. Social Treory & Social Structure Toward Codification of Theory & Research, Free Press, New York, 1949.

20. Miller, D. C. Handbook of Research Design & Social Measurement, David Mckay Comp. Inc, New York.

21. Mode, Elmer B., Elements of Statistics, New Jersey, 1961.

22. Moser, C. A., Survey Methods in Social Investigation, London 1969.

23. Nachmias D. & C. Nachmias, Research Methods in the Social Sciences, St. Martin's Press, New York, 1981.

24. Nagi, S. & Ronald G. Corwin The Social Context of Research, New York, 1972.

25. Oppenreim, A. N. Questionnaire Design & Attitude Measurement, Heinemann, London. 1972.

26. Riely, M., Sociological Research, New York, 1963.

27. Right, Chareles, R. W. Evaluation Research, in : International Encyclopedia of Social Sciences, 1980.

28. Ripple, L. Problem Definetion & Formulation, in : Polanslsy, Social Work, Research.

29. Rorschach, H., Psychodiagnostics, Tran, by : P. Lenkan & B. Kronenbery, New York, 1942.

30. Rosental. M. &. P. Yadin, A. Dictionary of Philosophy, Mosco, 1967.

31. Ross, J. et, al,. Methodology in Social Research, London. 1975.

32 Selltize, C. et al., Research, Methods in Social Relations, Holt, Rinhart & Winston, U.S.A. 1961. ...

33. Smith, H. W. Strategies of Social Research, Prentice, Hall. Inc, London, 1975.

34. Stacey, Margaret, Methods of Social Research, New York, 1969.

35. Suchman, Edward, A., Principles & Practices of Evaluation Research,

36. Tomkins, Silvan S., Contemporary Psychopathology Cambridge, 1943.

37 Weisberg H. F. & B. D. Bowen, An Interoduction to Survey Research & Data Analysis, W. H. Freeman & Company San Fransisco, 1977.

38. Weiss, Robert S., Statistics in Social Research, London, 1968.

39. Wilkinson, T. S. & P. C. Bhandarkar, Methodology & Techniques of Social Research, Himaloyx, Pall House, Bombay, 1979.

40. Young, Pauline, V., Scientific Social Suveys & Research, New Delhi, 1973.

41. Znaniecki, Florian, The Method of Sociology, New York, 1934.

الفنية للطباعة والنشر
٤٨ شارع عبده - رأس التين - الاسكندرية
تليفون ٨٠٣٢٥٠